الموسوعة العربية

مختارات

فلسفة – إجتماع

عقائد

5

ALEXANDRA.AHLAMONTADA.COM

العلمانية

العلمانية مذهب قانوني . سياسي يتميز بإقصاء النفوذ الديني عن الدولة. ولهذا المذهب جانب نظري فلسفي بوصفه نتاجاً للنظر العقلي، وجانب عملي بوصفه ينشأ عن جملة من الممارسات والإشكاليات التي تتصل بالعلاقة بين الدين والدولة، بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية، ومن ثَمَّ بين الإلهيات والإنسانيات.

الفرنسية laïcisme والعلمانية لفظة عربية مستحدثة مقابلة لكلمتي اللاتينية المتأخرة التي تعني العامي أو ابن الشعب؛ أي المدني غير المتعلم، laizisms و التي تعني رجل الدين. وهي مشتقة من العَالَم، وليس من العِلْم، clerc مقابل كلمة ونقيضها الإكليريكية (نسبة إلى الإكليروس: طبقة رجال الدين)؛ مذهب من يقول بضرورة تدخل رجال الكهنوت في الشؤون العامة.

وتعني العلمانية من الناحية القانونية، عدم كفاءة الكنيسة في الشؤون العامة والمجال الزمني، كما تتضمن بالمقابل عدم كفاءة الدولة في المجال الروحي، فالحرية الدينية شرط أول ومطلق، وبانتفائه تنتفي العلمانية من أساسها. لكن هذا لايعني أن الدولة العلمانية دولة لا دينية، أو دولة تنكر الدين، بل هي دولة لاتميز ديناً من دين. أما فلسفياً، فهي تعني تأسيس حقل معرفي مستقل عن الغيبيات والافتراضات الإيمانية السابقة، أي مستقل عن المرجعيات المتعالية التي تعطي نفسها حق تنظيم العلم وتضع لحرية الفكر حدوداً تتنافى مع ماهية الفكر بالذات. فالعلمانية ليست إلحاداً، أو نفياً

للاعتقاد، بل هي تحرير له من القيود الخارجية. وتاريخياً، تعد إشكالية العلمانية غربية، وفي المقام الأول فرنسية، ففي فرنسا صيغ المفهوم أول مرة، وعرف الصراع بين الدولة والكنيسة أكثر أشكاله ضراوة، فتطور، عبر فلسفة الأنوار وورثتها، فكر فلسفي معاد للدين أو لرجاله أو لكليهما معاً.

اقترنت العلمانية بتيارات العقلانية والحداثة، التي ظهرت في أوربا المسيحية بداية العصر الحديث، وخاصة منذ القرن السابع عشر، وقد شكلت ثقافة واسعة انتشرت في المجتمعات الأوربية، وتجلت في منظومة فكرية، اعتمدت على المنهج العلمي في تفسير الطبيعة و الكون ونشاط الإنسان وفاعليته في حركة المجتمعات وتطورها، واتخذت موقفاً مناوئاً إزاء الفكر والسلطة الكنسية، التي كانت تشكل الخلفية الثقافية والسياسية لنظام الإقطاع الذي كان يحتمي بكهنة الكنيسة وهيمنتها على عقول الناس والمجتمعات.

وفي ظل الثقافة العلمانية ظهرت الأفكار الفلسفية المتباينة، منها العقلانية، والمذاهب الطبيعية والوضعية والمادية والمثالية، ومفاهيم الدولة الحديثة الصناعية، ونظرية فصل السلطات، وفصل الدين عن الدولة والمجتمع المدني، ونشأت معها مفاهيم الحقوق والواجبات والديمقراطية وسيادة القانون والدساتير والأمة والقومية.

وقد أسهمت عوامل عدة في بلورة الفكر العلماني داخل النظام الإقطاعي الكنسي نفسه منها:

. إسهام مجتمعات المدن الناشئة في العصور الوسطى التي كانت تمتهن الحرف والصناعة، وكونت لاحقاً مجتمع البرجوازية الصناعية في بنى اجتماعية قابلة للتحديث ورفض النظام الاجتماعي والاقتصادي وثقافته القائمة.

. دعوات الإصلاح السياسي والتي كانت تظهر بين آونة وأخرى في إطار الصراع بين الكنيسة وبعض أمراء الإقطاع عند بعض المفكرين السياسيين، كالمفكر الشهير مكيافيللي[ر] الذي عادى السلطة الزمنية للكرسي المقدس، ولم يكتف بالدعوة إلى علمنة الدولة، بل أراد أن يخضع الدين بصورة كاملة لسلطة الأمير، ولذلك فقد فصل بين مدينة الله ومدينة البشر التي يقودها العقل البشري وحده، وصاغ فلسفة لا أخلاقية للسياسة لتبرير تمجيد الدولة وسلطان الأمير.

. دعوات الإصلاح الكنسي، التي كان أهمها دعوة مارتن لوثر، التي أدت إلى ظهور البروتستنتية، ومهدت لقيام كنائس قومية؛ أي كنائس مستقلة عن الزعامة المركزية البابوية وتابعة للأمير المحلي. وقد أدى تفتح الوعي البرجوازي وازدياد السلطة المطلقة للملوك والإمارات في مواجهة الكنيسة وتحدي سلطتها إلى بلورة الأفكار العلمانية في القرن السادس عشر. ففي فرنسا بالذات، تطور المذهب الأنغليكاني الذي يقر لكنيسة فرنسا باستقلال نسبي عن الكرسي البابوي، ولملوك فرنسا باستقلال مطلق في المجال التشريعي الزمني.

وقد ولّدَ ظهور التيارات العقلانية وفلسفة الأنوار في أواسط القرن الثامن عشر، نزعة ضاربة في عدائها للإكليريكية،لا على الصعيد النظري فحسب، بل كذلك على الصعيد العملي من خلال الإجراءات القانونية والاقتصادية التي اتخذتها الثورة الفرنسية ضد الكنيسة والسلك الكهنوتي. فعلى الصعيد النظري ـ الفلسفي، وجدت الأيديولوجيا العلمانية أو المعادية للإكليريكية خير ناطقين بلسانها في أشخاص مفكرين مشاهير، من أمثال روسو، داعية الدين الطبيعي، وفولتير الذي نادى بتوحيد السلطة الزمنية والدينية معاً في وحدة سياسية، والموسوعيين من أمثال مونتسكيو الذي دعا إلى مبدأ فصل السلطات، وديدرو ودالمبير، اللذين جعلا من المادة مبدأ أول، ومن الإنسان، لا الله، مركز الكون.

فضلاً عن ذلك فقد نشأت مذاهب سياسية واقتصادية كبرى كالمذهب الليبرالي، والراديكالي الذي انبثق عنه اتجاهات اشتراكية مادية و مثالية، ونظم الاشتراكية الإصلاحية والثورية.

كما تأسس المذهب الوضعي على يد سان سيمون وأوغست كونت، الذي يدعو إلى هيمنة العلم على السياسة، تحت شعار النظام والتقدم، وتكريس العلم منهجاً في الحياة مما أدى إلى ثورة في البنى الاجتماعية، والنهضة الاقتصادية، والتفتح الفكري والفني والرخاء المادي، والتحرر من ثقافة رجال الكنيسة وتسلطهم، وإحلال مفاهيم إنسانية لمصلحة الفرد في مجتمعه ومفاهيم سياسية تحصن حقوق الفرد وحرياته، وتنظم علاقاته مع السلطة والدولة في إطار الحق و الواجب.

وبهذا فرضت العلمانية نفسها في فرنسا، في شكل سياسي عام 1879، وباتت الغالبية في البرلمان للعلمانيين، وأمكن إصدار سلسلة من القوانين وضعت حداً شبه نهائي لتدخل الكنيسة في الشؤون العامة، فحل التشريع المدني بدل الكنسي في مجالات عدة، ولعل أهمها ميادين التعليم والأحوال الشخصية وإقرار الزواج المدني، مع كل ما يرتبط بذلك من تغيرات اجتماعية وتربوية، مما استتبع قطع العلاقات الدبلوماسية مع الفاتيكان سنة 1904، وفي عام 1945 كرس الدستور الفرنسي بصورة نهائية علمانية الدولة، وإقرار فصل تام بين السلطة الدينية والسلطة السياسية.

وكانت إسبانيا من أسبق الدول الأوربية إلى إعلان علمانيتها بعد فرنسا، وذلك في ظل الحكم الجمهوري بين عامي 1868 و1876. أما في أمريكا، فعلى الرغم من الطابع الليبرالي والعقلاني لإعلان استقلال الولايات المتحدة في عام 1776، فإن المكسيك كانت هي السباقة إلى التكريس العلني لعلمانية الدولة منذ أواسط القرن التاسع عشر، كما كانت تركيا في عهد مصطفى كمال أتاتورك أول دولة إسلامية تتبنى العلمانية. وبالمقابل فإن الدولة اليهودية، أي إسرائيل، ماتزال بين سائر دول العالم أكثرها طائفية،لأنها جعلت من الدين نفسه قومية، ولم تتخذ لنفسها دستوراً لأن أي دستور معناه الحد من سلطة التوراة والشريعة الموسوية.

وباستثناء ما تبقى الدول الاشتراكية (رغم أنها لاتعد علمانية خالصة بسبب دعايتها الإلحادية)، يندر اليوم وجود أي دول أو دساتير علمانية خالصة، فالقانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية)، الصادر في عام 1949، يؤكد مثلاً أن «الشعب

الألماني واعٍ لمسؤوليته أمام الله». ودساتير النرويج والسويد لاتبيح أن يكون رئيس الدولة غير بروتستنتي، كما لايبيح دستور إنكلترا أن يكون الملك غير أنغليكاني، أما دستور سويسرا الاتحادي الصادر عام 1874، فيعزز مبدأ سيطرة الدولة على الكنيسة، وهو أحد الأسباب التي جعلتها تمتنع عن التصديق على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948. كذلك تشترط دساتير بعض الدول العربية والإسلامية التي أخذت بالحداثة أن يدين رئيس الدولة بدين الإسلام، وتنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع

ومع هذا فلم تقتصر العلمانية على الغرب وحسب، فسرعان ما تسربت أفكارها إلى الشرق، وكان لها تأثيرها في توجيه الأفكار الإصلاحية، فراجت بعض الدعوات للاقتداء بها والأخذ بما ينسجم مع روح الدين الإسلامي ومع التطور الاجتماعي. وقد أسهم كل .من رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي، وهما من أوائل المصلحين، في ذلك

والشعار الذي طرحته العلمانية العربية هو الدعوة لقومية عربية يكون الرابط فيها اللغة لا الدين، وتكون القيم السائدة فيها هي القيم الإنسانية العالمية، لا القيم الدينية. من هنا كان توجه هذا التيار العلماني توجهاً اجتماعياً إنسانياً، فرض نظرة تجديدية للمجتمع ترتكز على مقومات سياسية ومعرفية جديدة. ومن أبرز الممثلين المسيحيين لهذا التيار العلماني القومي العربي بطرس البستاني وأديب إسحاق وأنطون سعادة وناصيف اليازجي وشبلي شميل وفرح أنطون وأمين الريحاني وغيرهم. ورغم أن العلمانيين المسيحيين كانوا السباقين لطرح موضوعاتهم ضمن هذا الإطار العلماني بفعل أوضاعهم الاجتماعية وبفضل اطلاعهم على الأفكار الأوربية التي احتضنت هذا الاتجاه، إلا أن ثمة تيارات عريضة من العلمانيين المسلمين قد شقت طريقها وسط فكر

عصر النهضة، متحدية بذلك الاتجاهات المحافظة والتقليدية، ودعت إلى مزيد من الحرية والعلم والتربية، أمثال عبد الرحمن الكواكبي وقاسم أمين، أبرز رواد التربية الحديثة. وقد ترافقت دعوة قاسم أمين هذه مع دعوة إصلاحية مماثلة، قال بها محمد عبده ودعت إلى تحرير العقل من قيود التقليد ومهدت بذلك لتقبل الإصلاحات السياسية، بيد أن دعوة أمين كانت أكثر برمجة وتحديداً، إذ أدرك أن العلم وحده هو الذي يحرر الإنسان من الخوف والجهل، ويمنحه الحرية الفردية وحق التعبير بحرية عن معتقداته ومبادئه ونشر آرائه بعيداً عن أي مؤثرات دينية تقليدية، إضافة إلى النهوض بالمجتمع ومواكبة الحضارة والرقي والتقدم.

ولم يكن قاسم أمين النموذج الوحيد عن العلمانية العربية التي برزت في القرن العشرين، رغم تميزه، وذلك لتوسع الموضوعات التي طرحتها هذه العلمانية، ففي إطار التفكير القومي يبرز ساطع الحصري ممثلاً للقومية العلمانية، بنظريته المنهجية التي تبين أن روابط اللغة والتاريخ والثقافة المشتركة، وليس رابط الدين، هم أساس القومية العلمانية العربية. ومن الدعوات البارزة أيضاً في إطار العلمانية العربية دعوة علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» إلى الفصل التام بين الدين والدولة. وكذلك دعوة طه حسين بمنهجه الشكي الذي طال به قسماً من المقدسات الإسلامية والقصص القرآنية، كما كان لدعوة إسماعيل مظهر النقدية في العلمانية الروحية ولدعوة عبد الرازق السنهوري في العلمانية التشريعية إضافة إلى العلمانيين شكيب أرسلان، ورفيق العظم، ومحمد حسنين هيكل وغيرهم، أثر كبير في المجتمع العربي، فما زالت أفكارهم تلقى اهتماماً بالغاً.

سامي هابيل

العنف

لغة هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو يتضمن ثلاثة عناصر violence العنف أساسية هي الشدة والإيذاء والقوة المادية، ويُلاحظ في اللغات المختلفة أنه في قلب كلمة .العنف تكمن فكرة القوة، فتأتي ممارستها مضادة للآخر، مما يعطيها طابع الإكراه

تتجلى مظاهر العنف في تاريخ الإنسان بأشكال شتى، وأنواع مختلفة، كممارسات فردية تارة، وجماعية تارة أخرى، ويظهر ذلك في مراحل التطور البشري المتعددة، فعلى الرغم من مساهمات الحضارات القديمة، الصينية والهندية والفارسية والبابلية وغيرها، في تطور الإنسان وما قدمته من نتاج ثقافي وحضاري، إلا أنها قامت في جزء كبير منها على مظاهر العنف وممارسة القوة، فقد تعرض المسيحيون الأوائل لأشد أنواع التعذيب على وأتباعه المؤمنون أشد أنواع التعذيب r يد الوثنيين والرومان، ولقي الرسول الكريم الجسدي والمادي والاقتصادي والاجتماعي، عندما أخذت الدعوة الإسلامية تهدد الوجود .المعنوي والمادي للشرك والوثنية

الاتجاهات العامة في تفسير ظاهرة العنف

يولي الباحثون في علوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد والسياسة اهتماماً كبيراً ، وبالطبيعة المتوحشة Freud بمظاهر العنف، فهي تُفَسَرْ بغريزة العدوان عند فرويد

، وبالكائن Hobbes ، وبالإنسان الذئب عند هوبزLombrozo للإنسان عند لمبروزو ، وبالخطيئة الأولى في الفكر المسيحي، وبالإنسان المقهور Kant الطبيعي عند كَنْت ، وقد ساد الاعتقاد لفترة طويلة من الزمن بأن Rousseau اجتماعياً في فلسفة روسو تطور البشرية يخضع لمظاهر الصراع والجدل الحتمي بين القديم والحديث، وبين القوي والضعيف، كما هو الحال في نظريات التطور.

التفسيرات النفسية

يرى علماء النفس والعاملون في ميادينه المتعددة أن العنف يأتي نتيجة الإحباط، إذ تكشف دراسة مراحل النمو الجسدي والنفسي والاجتماعي للطفل أن أي حاجز يحول دون تحقيق إشباع حاجاته العضوية ينمِّي لديه الشعور بالإحباط، ويؤدي إلى سلوك عدواني كتحطيم الألعاب والأشياء، وقد يستمر هذا السلوك في شخصية الطفل إذا وُجِدَتْ الظروف المعززة له، فيصبح العنف بالنسبة إليه سلوكاً طبيعياً واستجابة تعويضية عن الإحساس بالنقص أو الضعف.

التفسيرات الاجتماعية

يجد العاملون في ميادين علم الاجتماع أن العنف سلوك اجتماعي يأتي من خلال التعلم، ومن خلال ما تعززه البيئة الثقافية والاجتماعية المحيطة من ميول واتجاهات نحو الأشياء عامةً، ونحو الآخرين من بني البشر خاصةً، وغالباً ما تقترن الاتجاهات المعززة

للسلوك العدواني بمظاهر التفكك الاجتماعي والانحلال في نسيج العلاقات الاجتماعية، وكلما كان ارتباط الفرد أقل بالمنظومة الثقافية والحضارية والاجتماعية للجماعة التي ينتمي إليها ظهرت في سلوكه أنماط عدوانية، وأشكال من العنف، في حين يؤدي الارتباط بالمنظومة الثقافية والحضارية إلى ظهور أنماط من السلوك، قوامها التضافر والآخرَ ضمن المنظومة الاجتماعية والثقافية الواحدة.

التفسيرات الثقافية والحضارية

بتفسير مظاهر العنف من خلال Anthropologie يأخذ علماء أصل الإنسان طبيعة البنية الثقافية والحضارية للجماعات، فالعنف ظاهرة ثقافية تختلف في طبيعتها وحجمها وأشكالها بين مجتمع وآخر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى، تبعاً لخصوصيات التجربة التي تعيشها هذه الجماعة أو تلك، فشروط الحياة في البيئة القبلية والصحراوية تدفع الجماعة لتنظيم شؤونها في ضوء ظروفها الطبيعية، وقد يكون العنف واحداً من عناصرها الأساسية للتفاعل مع الآخر، في حين تأخذ جماعات أخرى بمبدأ التضافر والتعاون بغية تحقيق حاجاتها، ولهذا يجد علماءُ أصلِ الإنسان أنه لابد من العودة إلى المعايير السائدة في المجتمع، والتي تسوِّغ العنف أو ترفضه تبعاً لخصوصياتها التاريخية والثقافية والحضارية.

النظريات العلمية المفسرِّة لمظاهر العنف عند الإنسان

يفسِّر الباحثون في العلوم النفسية والاجتماعية والاقتصادية مظاهر العنف وفقاً لنظريات عديدة، منها: التحليل التاريخي، والتحليل الوظيفي، والتحليل البنيوي.

التحليل التاريخي

يرى منظِّرو هذا الاتجاه أن العنف لا يمكن تفسيره بطبيعة الفرد، بل هو نتاج لتاريخ الحياة الاجتماعية، وغالباً ما يقترن بانتشار مظاهر غياب المساواة في توزيع الخيرات، فيرى سارتر J.P.Sartre أن العنف وليد الندرة، حيث لا مواردَ تقابلُ الحاجات، بل إن الموارد الأساسية والضرورية لإعادة إنتاج الحياة محدودة وغير كافية، غير أن نوربر إلياس Norbert Elias يجد أن العنف يتراجع تاريخياً، ويعود ذلك إلى تطور الاتجاه نحو التحكم في الغرائز، أو ما يسميه بحضارة الأخلاق.

التحليل الوظيفي

ينظر أصحاب هذا التوجه من ناحية وظيفة العنف الاجتماعية، فهو يسمح بظهور قيم وتوازنات جديدة تساعد على التقليل من شدة التوترات، وتسهم في تعزيز الأمن، أي إن العنف يمكن أن يكون وسيلة لبلوغ هدف أو غاية مشروعة اجتماعياً.

التحليل البنيوي

أن العنف **Johan Galtung** يجد أصحاب التحليل البنيوي، ومنهم جوهان غالتونغ البنيوي ينتج من النظام في حدِّ ذاته، ويقوم على عدم التكافؤ في توزيع السلطة، ومن ثمَّ .عدم تكافؤ الفرص، أي إن العنف البنيوي يرتبط بغياب العدالة الاجتماعية

تجليات العنف في جوانب الحضارة المعاصرة

إذا كانت الحضارة المعاصرة ردَّ فعلٍ على اضطهاد الأنساق الدينية الكنسية للعقل والذات، وظهر ذلك في إعادة الاعتبار للعقل وتركيز سلطته واحتكاره لترتيب شؤون الحياة الفردية والجماعية، فإن هذه الحضارة ما لبثت أن أخضعت العقل ذاته إلى الاستلاب المؤسساتي، والتي تحول معها إلى أنظمة شمولية (توتاليتارية) ملصق بالسلطة السياسية تقيد حرية الفرد بعقلنة سلوكه وضبطه، حتى صار العقل ينتهج اللاعقلانية باستمرار، ويراكم التوترات النفسية والاجتماعية التي تتفجر بين حين وآخر، كما أن النظام الجمعي (الجمعنة) بوصفها نمطاً من أنماط المجتمع التكنوقراطي تولد أيضاً .ألواناً جديدة من العنف أشد من عنف الفرد للفرد

إن العنف كممارسة، كما يبدو ذلك في التاريخ، يأخذ صورة استعمال القوة دفاعاً عن الوجود في حيِّز الوجود المادي أو المعنوي، ويحدث في كلتا الحالتين عند الإحساس بما يُهدِّد الوجود، وتكشف الحداثة عن وجهها الآخر من خلال العنف لحظة تعبيرها عن ذاتها ومواجهتها للآخر، سواء أكان ذلك في حالة الهجوم وإنتاج الحداثة بالحرب، أم في

حالة ما يسمى بالتحديث الدفاعي الذي يقتضي القمع وضبط المجتمع بتركيز الدولة على مفاصله.

كما أن التباين في توزيع الثروات المادية في العالم المعاصر، واستجرار الخيرات لشعوب من دون غيرها، وإفقار شعوب أخرى، يسهم في تعزيز مظاهر العنف على المستوى الدولي، إذ إن مظاهر الظلم والعدوان التي تنتشر مع انتشار مظاهر الحداثة وتطور التقانات تنتج مظاهر أخرى للعنف للتعبير عن رفض غياب العدالة في توزيع الخيرات، مما يدلُّ على أن ممارسة العنف لاتؤدي إلا إلى مزيد من العنف.

كامل عمران

الكتاب المقدس

هو اسم الكتاب التاريخي والتعليمي اليهودي . **The Holy Bible** الكتاب المقدس مشتقة من الكلمة **Bible** المسيحي، لقائمة الكتب المقدسة في هاتين الديانتين. وكلمة ، التي تشير إلى مدينة بيبلوس (جبيل حالياً) على الساحل السوري، **Byblos** اليونانية كان اليونانيون يستوردون منها لفافات الورق المصنعة في مصر من نبات البابيروس .، ثم صارت تطلق على الكتاب عامة**Papyrus**

وهو **Old Testament** ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين كبيرين: العهد القديم التسمية العلمية لأسفار اليهود وضعها عام 170م مسيحي يدعى مِليتو الساردِيسي لتمييزها من العهد الجديد. ويؤلف العهد القديم الجزء **Melito of Sardis** عند اليهود قبل **scriptures** الأكبر من الكتاب المقدس، ويشمل الكتابات المقدسة را.][**(Pentateuch Torah)** المسيحية بما فيها التوراة (الأسفار الخمسة الأولى ، وهو الكتاب المقدس الأساسي في المسيحية، **New Testament** والعهد الجديد ويشمل الكتابات المقدسة المسيحية في العصر المبكر. ويحتوي على مجموعة التعاليم التي أتى بها السيد المسيح و نشرها بين أتباعه، ثم قام تلاميذه الحواريون بكتابة هذه التعاليم ونشرها في الأصقاع. ويحتوي كل قسم على مجموعة مختلفة من الأسفار كتبها مؤلفون مختلفون، وتضمنت العديد من الفنون الأدبية والكتابية التي تظهر .عقلية المؤلف وبيئته. فهو ليس كتاباً منزلاً بل مكتوب بإلهام

وقد قامت الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثالث الميلادي بتجميع الكتابات العبرية المقدسة . التي يقبلها اليهود جميعاً، أو التي ترجمت إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعينية Septuagint) ويقبلها بعض اليهود في أماكن مختلفة من العالم . وألّفت منها الكتاب المقدس، وتعد نسخة الملك جيمس الموثقة عام 1611 أفضل ترجمة معروفة في اللغة الإنكليزية للكتاب المقدس، على الرغم من وجود ترجمات أخرى كثيرة. .ويتألف العهد القديم في هذه النسخة من 39 سفراً، والعهد الجديد من 27 سفراً

العهد القديم

يعد العهد القديم مقدساً لدى اليهود والمسيحيين، لكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون، في حين يرفض المسيحيون بعض الأسفار لدى اليهود بدعوى أنها مضافة، ويرون في العهد القديم النبوءات التي أنبأت عن حياة المسيح وموته وقيامته ورجوع الملك ودينونة العالم. ففي المسيحية تختلف النسخة الكاثوليكية عن النسخة البروتستنتية، إذ تتفق الكنائس البروتستنتية مع اليهود في قبول 39 سفراً فقط، وهي تلك التي دونت باللغة العبرية رافضة عد الكتب المدونة باليونانية أسفاراً قانونية موحاة. في حين تزيد النسخة الكاثوليكية (عدا الطبعة الأمريكية الكاثوليكية) سبعة أسفار على العهد القديم لتصبح 46 سفراً، وهي أسفار الأبوكريفا Apocrypha) الأسفار المحذوفة أو المشكوك في صحتها أو في صحة نسبتها إلى العهد القديم)، في حين تبقى أسفار العهد الجديد كما هي في طبعة الملك جيمس (27).

يقسم العهد القديم في التقليد اليهودي الذي يعترف به البروتستنت ثلاثة أقسام: مع أن فترة u القسم الأول: «التوراة» وتتألف من خمسة أسفار تنسب إلى موسى كتابتها تزيد على عشرات السنين، وهي التكوين . الخروج . اللاويين . العدد . التثنية[ر: التوراة]؛ والقسم الثاني: «أسفار الأنبياء»، وهي نوعان: . أسفار الأنبياء المتقدمين: وتضم أسفار يشوع (يوشع بن نون) . القضاة . صموئيل الأول . صموئيل الثاني . الملوك الأول . الملوك الثاني . أسفار الأنبياء المتأخرين: وتحوي أسفار إشعيا . إرميا . حزقيال . هوشع . يوئيل . عاموس . عوبديا . يونان (يونس) . ميخا . ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجّى . زكريا . ملاخي. والقسم الثالث: «الكتابات»، وتتشعب إلى أنواع ثلاثة: . الكتب العظيمة وتشمل أسفار المزامير (الزّبور[ر]) . الأمثال (أمثال سليمان) . أيوب. . المجلات الخمس: وتشمل أسفار نشيد الأناشيد . راعوث . المراثي (مراثي إرميا) . الجامعة . أستير. . الكتب: وتضم .أسفار دانيال . عزرا . نحميا . أخبار الأيام الأول . أخبار الأيام الثاني

لكن بعض رجال اللاهوت اليهودي لا يوافقون على ضم سفري الجامعة ونشيد الأناشيد إلى أسفار العهد القديم، كذلك لا تؤمن طائفة السامريين إلا بأسفار موسى الخمسة، وبعض منهم يضيف سفري يوشع والقضاة إلى أسفار موسى ويرون في هذه الأسفار .السبعة كتابهم المقدس

أما الأسفار السبعة التي أضافتها الكنيسة الكاثوليكية إلى العهد القديم عام 1546 فهي: طوبيا . يهوديت . الحكمة . يسوع بن سيراخ . باروخ . المكابيين الأول . المكابيين الثاني. كما تجعل من أسفار الملوك أربعة، ويأتي أولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني. وبذلك يقسم الكاثوليك أسفار العهد القديم وعددها 46 إلى خمسة أقسام: .

أسفار الحكمة وهي أسفار موسى المتضمنة شريعته . والأسفار التاريخية وعددها 16 . .وأسفار شعرية وعددها 6 . وأسفار الأنبياء وعددها 17 . أسفار تعليمية وعددها 2

ومن الأسفار ما هو طويل كثير الإصحاحات كسفر المزامير الذي يصل إلى150 مزموراً، وإشعيا الذي يحوي66 إصحاحاً، وإرميا الذي يتكون من52 إصحاحاً، والتكوين وبه 50 إصحاحاً؛ ومنها ما هو قصير كسفر عوبديا وبه إصحاح واحد، وحجى وبه .إصحاحان، وصفنيا وحبقوق وناحوم وكل منها يتكون من ثلاثة إصحاحات

والعهد القديم عموماً سجل فيه شعر ونثر، وحكم وأمثال، وقصص وأساطير، وفلسفة .وتشريع، وغزل ورثاء، مع بلاغة أسلوب وفصاحة عبارات في كثير من الحالات

تمتد مرحلة كتابة العهد القديم بين 1200 . 100ق.م وقد كتبت جميع أجزائه .باللغة العبرية عدا مقاطع قليلة باللغة الآرامية

العهد الجديد

Canon يؤلف العهد الجديد الجزء الثاني من قانون الكتاب المقدس المسيحي ، وهو قائمة الكتب أو الأسفار التي اعترفت بها الكنيسة رسمياً **Christian Bible** قواعد للإيمان في القرن الرابع في مجمع نيقية عام 325م. ويتكون من 27 سفراً مختلفة الحجم، كتبت جميعها باليونانية في القرن الذي تلا وفاة السيد المسيح، واشترك في كتابتها ثمانية كتّاب. وأطلق عليها عبارة «العهد الجديد» في أواخر القرن

الثاني؛ لما تحتويه من أحكام تحدد عباراته العلاقات بين الله وخلقه في المرحلة الأخيرة من تاريخ الخلاص، إذ يرى المسيحيون في العهد الجديد إتماماً للنبوءات السابقة ولنصوص العهد القديم التي عدّها المسيحيون زمناً طويلاً كتابهم المقدس الأوحد ومصدر التشريع المسيحي، وسموها «الشريعة والأنبياء».

وقد بلغ عدد الكتب التي تحتوي نصوص أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين أكثر من خمسة آلاف كتاب باللغة اليونانية، كتب أقدمها على أوراق البردي، وكُتب الباقي على الرق. وأقدمها كتابان مقدسان على الرق، يعودان إلى القرن الرابع: «المجلد الفاتيكاني» المحفوظ في مكتبة الفاتيكان، و«المجلد السينائي» المحفوظ في المتحف البريطاني في لندن. ويمكن تصنيف قانون أسفار العهد الجديد في ثلاثة أقسام:

إنجيل (Evangil) قسم الأسفار التاريخية: ويشمل خمسة أسفار هي الأناجيل الأربعة متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا)ر(ورسالة أعمال الرسل Acts of Apostles التي كتبها لوقا، وسميت بالأسفار التاريخية لاحتوائها أعمالاً قصصية تاريخية، حيث يسرد جميعها سيرة حياة السيد المسيح ، مآثره وأقواله وأعماله ومعجزاته. كما أن رسالة أعمال الرسل تروي تاريخ الكنيسة الأولى، وقصة حياة معلمي المسيحية القديس بطرس والقديس بولس.

قسم الأسفار التعليمية، ويضم 21 رسالة توزع بين كتّابها كالآتي: 14 رسالة كتبها بولس وبعضها محدد التاريخ، منها رسالتان إلى أهل تسالونيكي الأولى والثانية عام 51 .

52، ورسالته إلى أهل غلاطية عام 54، ورسالته الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس ربيع وخريف عام 57، ورسالته إلى أهل روما عام 58، ورسائله وهو أسير في روما عام 61 . 63 إلى أهل أفسس وفيلبي وكولسي وفيلمون، ورسالته إلى تيطس عام 65، ورسالتان إلى تلميذه تيموثاوس عام 65 . 67، ورسالته إلى العبرانيين (تنسب إليه في طبعة الملك جيمس، لكن العلماء يرون أن بولس لم يكتبها بل كتبها أحد تلاميذه أو أعوانه).

، ورسالتان من **John the Apostle** ثم ثلاث رسائل من كتابة يوحنا الرسول ، وأخيراً رسالة **James** ، ورسالة واحدة من كتابة يعقوب**Peter** كتابة بطرس **revelation** . القسم الثالث هو سفر رؤيا **.Judah** واحدة من كتابة يهوذا ، إضافة إلى الرواية الرابعة **Patmos** «القديس يوحنا الذي كتبه في المنفى «بطموس للإنجيل وثلاث من الرسائل العامة. وهو السفر النبوئي الوحيد في العهد الجديد الذي يتحدث عن نهاية العالم، وعقاب الآثمين والخطاة، ويدافع عن الصالحين وأنقياء القلب. ومعانيه تشبه سائر ما كتبه القديس يوحنا، مع بعض الاختلاف في اللغة والإنشاء. وقد كتبه في أيام اشتد فيها اضطهاد السلطة الرومانية للكنيسة (في زمن القيصر دوميتيانوس **Domitianus** عام 95)، ويرى بعض العلماء إن فصولاً عدة كتبت في أيام نيرون. وتسمى بالرؤيا؛ لأنها أشبه بالأحلام، ولكن يوحنا رآها في اليقظة، ووضعها في السفر بصورة رمزية من غير أن يعنى بتنسيقها أو إقامة اللحمة بين أجزائها بإحكام، حتى قال بعض المفسرين إنها كانت في الأصل جزأين وضعهما الكاتب في أوقات مختلفة، ثم دمجهما فيما بعد في سفر واحد.

سوسن بيطار

عيسى ، يسوع المسيح

عيسى ابن مريم بنت uهو السيد المسيح Jesus Christ عيسى أو يسوع المسيح عمران، أحد أنبياء بني إسرائيل، المبعوث بعد موسى عليه السلام. بشّر بالديانة المسيحية ثانية الديانات السماوية الكبرى. ويُدعى في الإنجيل «يسوع Christianity الناصري». ولد في بيت لحم قرب أورشليم (القدس)، في فلسطين، قبل موت حاكمها ، أي قبل أربع سنوات من التقويم الغربي المسيحي المعمول Herodes هيرودس الكبير .به اليوم

لايعرف عن تاريخ حياته إلا النزر اليسير مما جاء في أناجيل «العهد الجديد»، لأن ظهوره ودعوته لم تسترع اهتمام المؤرخين الإغريق والرومان الذين عاصروه سوى تاكيتوس كما أن المؤرخين اليهود .Pilatus الذي ذكر موته في عهد بيلاطس Tacitus Josephus الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي أمثال يوسِفوس فلافْيوس ، لم يذكروا عنه سوى بعض المعلومات القليلة. وقد أوجزت هذه الأناجيل Flavius من مولده إلى دعوته، فلم تذكر منها إلا قليلاً، كما أنه لم uالكلام عن حياة عيسى يكتب الإنجيليون سوى أنه كان يزاول النجارة (متى 13: 55). وقد نشأ فيما يبدو كما ينشأ الصبيان في عهده، وكان ينتقل مع أمه بين الناصرة وأورشليم (القدس)، وكانت معاصراً ليوحنا uلغته الآرامية لغة سكان فلسطين في ذلك العصر. وكان عيسى هربت به أمه إلى مصر خوفاً .John the Baptist (المعمدان (نحو 4 ق.م. نحو30م

من الملك هيردوس الذي أراد قتله، ثم عادت به إلى أورشليم بعد موت الملك، وذُكِر في الإنجيل أنه عاش في مدينة الناصرة قرب الجليل.

امتاز عيسى u بذكاء خارق وبصيرة نافذة وعمق في المعرفة، وقد عرف عنه حب النقاش والفهم والغوص في أعماق الأمور. وقد عرف التوراة معرفة عميقة، ونال من العلم قسطاً كبيراً، وساءه ما آلت إليه حال قومه من بني إسرائيل من ضلال، وما خضعوا له من ترهات وأكاذيب؛ فقد فسدت أخلاقهم وانغمسوا في متاع الدنيا، وأنكر فريق منهم القيامة والحشر، ومن ثم الحساب والعقاب، وغرقوا في الأمور المادية وبعدوا عن الروحية.

دعوته ومعجزاته . عظاته

بُعِثَ السيد المسيح وهو في نحو الثلاثين من عمره، وكانت مدة دعوته بحسب «إنجيل يوحنا» ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. بدأ رسالته العلنية بعد أن تلقى التعميد في نهر الأردن على يد الواعظ يوحنا المعمدان. بشر بالديانة المسيحية، وبالخلاص وتجسيد ملكوت الله. وأعلن تشريعاً جديداً يتمم ناموس «العهد القديم»، كما أعلن عودته الأخيرة مع تلاميذه لإدانة البشرية ولاسيما الشعب اليهودي. وكان لب دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة u كثيراً من التلاميذ، وانتقى لمشاركته مهمته، وكانت منطقة الجليل Apostles (منهم اثني عشر حوارياً (رسولاً ميدان دعوته المميز، وبعد عام من النشاط اتجه إلى الجنوب نحو «الضفة الغربية» إلى أورشليم لنشر السلام، وقام ببعض الرحلات إلى المقاطعات والمدن الوثنية في شمالي

فلسطين، وعلّم في أورشليم خاصة على امتداد سنوات تجواله، وحيال ازدياد شعبيته وتكاثر أتباعه، خشيت منه السلطات الرومانية فاعتقلته قبيل عيد الفصح في السنة الثلاثين للميلاد، وكان ذلك بتحريض من اليهود ومجلس كهنتهم السَّنْهِدريم Sanhedrim الذين اتهموه بالهرطقة والتحريض على الثورة وطالبوا بقتله ورفعوا أمره إلى الوالي الروماني بيلاطس الذي حكم عليه بالصلب وهي عقوبة الثائرين المعهودة آنذاك.

منح الله عيسى u معجزات كثيرة، وكانت له آيات ظاهرة، كخلق الطير من طين، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما هو مجهول، وإنزال المائدة التي طلبها الحواريون، ومعجزة الخمر في عرس قانا، وتكثير الخبز والسمك والمشي على الماء، وتسكين العاصفة، وطرد الشياطين وغير ذلك. وتتفق معجزات عيسى u في صميمها مع طبيعة مولده، فمعجزاته من نوع مولده ترمي إلى إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح التي أنكرها بنو إسرائيل.

واللافت أن عيسى u لم يكتب قط، وكل ما يعرف من كلامه وتعاليمه وأعماله جمعه ومرقص Luke ولوقا Matthew أربعة من الحواريين ودونوه في الإنجيل[ر]، وهم: متى ويروي متى عظات ونشاطات كثيرة جرت في الجليل وأورشليم. John. ويوحنا Mark ويقدم تعاليم السيد المسيح ودعوته في خمس عظات أهمها عظة الجبل (الفصول: 5 ـ 7) التي تكشف عن الركائز الكبرى في الأخلاق المسيحية، وترشد إلى قواعد في التعامل المثالي والسلوك الزاهد الخالص من الشوائب، وإلى العلاقات البشرية القائمة على التعاون والغفران والمحبة، والاهتمام بالفقراء والجياع، وترى أن تعاليمه إكمال لا إبطال

للشريعة والأنبياء السابقين وكتب اليهود. وتشمل العظات الباقية موضوعات كثيرة تتناول أعمال البر والعبادة والتقوى وتزكية النفس وتطهير القلب والزهد، كذلك بعض الفضائل المسيحية، والدعوة إلى ملكوت السموات، ووصايا تتعلق بالأخوة والشفقة والرحمة، وتنبه العظة الخامسة على خراب الهيكل، وانقضاء الدهر، وقدوم الساعة، ورجعة المسيح بعد موته إلى العالم.

أطلق على عيسى u ألقاب كثيرة مثل: ابن الله، ابن الإنسان، ابن الملك داود، الخبز وماء الحياة، حَمَل الله، المخلِّص، لكن لقب المسيح كان الأكثر تردادا بينها. وقد سماه الشعب (المسوح أو المعمد)، وبعد موته وبعثه (Messiah يوم الشعانين «ابن داود» . المسيح لقب «حمل الرب» إشارة ضمنية إلى التضحية بحمل عيد الفصح من قبل بني إسرائيل في مصر، كما فرض عليه بيلاطس على الصليب لقب ملك اليهود.

لكن عيسى u لم يدّع قط أنه من عنصر فوق الطبيعة: أنه ابن الله، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعاً بنسبه المألوف ابناً لمريم بنت عمران. وقد ورد في الأناجيل u قوله عن نفسه: «ابن الإنسان». كما وردت عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن السيد المسيح بشر وأنه رسول الله، وقد روى متى عن عيسى قوله: «إن أباكم واحد الذي في السموات» (23: 8)، وكذلك صراخه على الصليب: «إلهي! إلهي! لماذا خذلتني» (27: 51)؛ ورواية مرقص عن قول عيسى «الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه» (12:30 . 31)؛ كما جاء في إنجيل لوقا: قوله: «لا يمكن أن u «قد خرج فينا نبي عظيم» (7: 16) كما روى لوقا عن عيسى (يهلك نبي خارج أورشليم. يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين» (13: 23.

اختلف الحواريون وغيرهم في قصة رفعه إلى السماء، وتعود اختلافاتهم إلى أمرين، أحدهما كيفية نزوله واتصاله بأمه، وتجسد الكلمة، والثاني كيفية صعوده وتوحد الكلمة؛ وفي الأول قضوا بتجسد الكلمة وقالوا في الاتحاد والتجسد إنه أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، وقال بعضهم بل انطبع فيه انطباع النقش في الشمع، وقال آخرون ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، وقال نفر منهم مازجت الكلمة جسد السيد المسيح ممازجة اللبن الماء، والماء اللبن.

وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة، فقالوا إنه جوهر واحد، يعنون به القائم بالنفس، وليس التحيز والحجمية، فهو واحد بالجوهرية، وثلاثة بالأقنومية، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم، وسموها الآب والابن وروح القدس. وقالوا في الصعود إنه قتل وصلب، قتله اليهود حسداً وبغياً، وإنكاراً لنبوته ودرجته، ولكن القتل لم يرد على الجزء اللاهوتي، وإنما ورد على الجزء الناسوتي. ولهم في النزول اختلاف؛ فبعضهم يقول ينزل قبل يوم القيامة، ومنهم من يقول لا نزول له إلا يوم الحساب. ويقال إنه بعد قتله وصلبه نزل السيد المسيح ورآه شمعون وكلمه وأوصى إليه، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء، فكان وصيه شمعون، وهو أفضل الحواريين علماً وزهداً وأدباً، غير أن شاؤل الملقب ببولس الرسول[ر] غيّر أوضاع كلامه وخلطه بكلام الفلاسفة.

في الإسلام uعيسى

بتقدير فائق واحترام عظيم له ولأمه مريم، ولكنه uيذكر القرآن الكريم حياة عيسى ينتقد بقوة إيمان المسيحيين بيسوع وما ينسبونه إليه من ألوهية، فيرفض تجسد ابن الله،

والفداء، ويرفض أيضاً سر الثالوث. وقد تكرر ذكره في سور عدة من القرآن الكريم، وعرضت جوانب من حياته مفصلة في سور ثلاثة [آل عمران والمائدة ومريم].

وقد وردت قصة ولادته البتولية من مريم بفضل تدخل إلهي مباشر في سورة مريم في عشرين آية {16 . 36} . ومختصر القصة في الآية [171] من سورة النساء.

وقد ضلّ بشأن مولده فريقان: فريق اتهم أمه البتول بالفاحشة، وهم اليهود، فتوعدهم الله على هذا البهتان:)ومَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنَا فِيه منْ رُوْحِنا((التحريم:12). وفريق زعم أنه ابن الله وثالث ثلاثة، فرد عليهم الله في القرآن الكريم، إذ جعله آية للناس في ولادته من غير أب وكلامه في المهد الذي أقر فيه:)إنِّي عَبْدُ اللَّه آتانِي الكِتابَ وجَعَلَنِي نَبيّا((مريم: 30). كما جاء في سورة الأنبياء (91))والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنَا فِيْها مِنْ رُوْحِنا وجَعَلْنَاها وابْنها آيَةً لِلْعَالَمِين(. ويبين الله تعالى في سورة آل عمران؛ أن هذا المولود وجيه في الدنيا وفي الآخرة، وهو من المقربين إلى الله، يجترح المعجزات وهو في المهد:)إذ قَالَت المَلائِكُة يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرك بِكَلِمةٍ منهُ اسْمُهُ المسَيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وجيْهاً في الدُّنْيا والآخِرةِ ومِنَ المُقَرَّبيَّن، ويُكَلِّمُ النّاسَ في المَهْدِ وكَهْلاً من الصّالِحِيْن ((54. 64)،)ويُعَلِّمُهُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ والتَّورَاةَ بشأنه:)إنَّ مثْلَ عِيْسَى عِنْدَ r والإنْجَيلَ((84). وقد حاجَّ الله وفد النصارى في زمن النبي (اللَّه كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ((آل عمران: 59).

روح القداسة، وأعطاه القدرة على اجتراح العجائب uويذكر القرآن أن الله وهب عيسى كما في سورة آل عمران:)وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائِيْل أنِّي قَدْ جِئْتُكُم بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُم أنِّي أَخْلُقُ لَكَمْ مِنَ الطِّين كهَيئةِ الطَّيرِ فأَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُوْن طَيْراً بِإذْنِ اللَّهِ وأُبْرِئُ الأكْمهَ والأَبْرَصَ، وأُحْي المَوْتَى بإذْنِ اللَّهِ، وأُنبِّئكُمُ بما تَأْكُلُونَ وما تَدَخِرُونَ في بُيُوتكُمْ إنَّ في ذَلِكَ لآيةٍ لّكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنَيْنْ((آل عمران 49) وكذلك في (سورة المائدة 110).

ويدعو القرآن الكريم النصارى إلى ترك تجاوز الاعتدال في أسلوب تعبيرهم عن الإيمان بالسيد المسيح، وإلى الكف عن تأليهه:)وإذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّه قَالَ سُبْحانَكَ ما يَكُوّنِ لي أَنْ أَقُوْلَ ما لَيْسَ لِي بَحقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمّتهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي ولا أَعْلَم ما فِي نَفْسِكَ إنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ((المائدة 116).

وكذلك قوله تعالى)يا أَهْلَ الكِتاب لا تَغْلُوا في دِيْنِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إلاَّ الحَقَّ إنَّما المَسِيْحَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهُ وكَلِمتُهُ أَلْقاها إلَى مَرْيَمَ وَرُوْحُ مِنْهُ فآمِنُوا باللَّهِ ورُسُلِهِ ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهوا خَيْراً لَكُمْ إنَّما اللَّه إلَهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ له ما في السَّمواتِ وما في الأَرْضِ وكَفَى باللَّهِ وَكِيْلاً((النساء، 171).

ويزعم اليهود والنصارى أنه صلب، لكن الله نفى في القرآن الكريم ذلك بقوله:)وما قَتَلُوْهُ وما صَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُمْ((النساء 157). وفي قصة رفعه يقول سبحانه:)إذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيْسَى إنِّي مُتَوَفِّيْكَ ورافِعُكَ إلَيَّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِين كَفَرُوا وجاعِلُ

الَّذيْن اتَّبَعُوكِ فوق الَّذيْنَ كَفَرُوا((آل عمران: 55). كما ذكر القرآن الكريم أن ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتْي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ((:rقد بشر بمجيء محمد uعيسى .)(الصف: 6

سوسن بيطار

الغائية

الغائية teleology- finality هي النظرية التي تزعم أن كل ما في الطبيعة وما يجري فيها من عمليات إنما يتوجه إلى تحقيق غاية معينة، فالغائية هي علم الغايات؛ إذ ترى أن العلة هي الكامنة وراء أنواع التغيرات كلها، حتى السلوك الإنساني الأكثر عقلانية يفسر عامة بأنه خاضع لتأثير الغاية، والطبيعة أيضاً خاضعة للغاية، إلا أن الغاية فيها مزروعة بطريقة غير واعية، أما الإنسان فإنه يحدد غايته بطريقة واعية.

وترتبط الغائية بمذهب حيوية المادة ونظرية الأرواحية ومذهب وحدة الوجود[ر]. وتزعم أن مبدأ الحياة والوجود يكمن في المادة كونها تتألف من ذرات حية لها قدرة غامضة على التخيل. إن الغائية تسعى لتفسير الرابطة الكامنة الكلية بين الظواهر الطبيعية جميعها التي تخضع للقانون، فالمذهب الغائي هو المذهب المقابل للمذهب الآلي، ويُطلق على كل نظرية تعلل ظواهر الوجود بالأسباب الغائية، فإذا تناولت ظواهر الحياة سُميت بالمذهب الحيوي، وإذا شمل التعليل الغائي ظواهر الوجود جميعها سمي بالمذهب الغائي الكلي.

وكان أرسطو أول من عرّف الغائية، وقال إنها المبدأ الذي تتحرك الأشياء بمقتضاه نحو تمام صورها، التي هي وجودها بالفعل، وكل ما في الطبيعة يخضع لغاية واحدة أسمى. وبهذا وضع أرسطو أول مذهب غائي متماسك، وكان له أثر متميز في لاهوت الأكويني وفلسفة لايبنتز[ر] وهيغل[ر] وهايدغر[ر].

المذهب الأرسطي يقوم تماماً على الغاية، فالفكرة المحورية في فلسفته هي الهيولى والصورة، وهي الفكرة الأساسية في مفهوم الجوهر[ر]، عماد الفلسفة الطبيعية والميتافيزيقية عند أرسطو، ويقوم على ثلاثة مبادئ، أهمها المبدآن المتمثلان في المادة والصورة، فالصورة التي ينبغي الوصول إليها في عالم ما بعد الطبيعة عند أرسطو هي ما يكون ماهية الأشياء الطبيعية، ومن ثم الصورة النهائية لكل هذه الماهيات هي صورة الصور أي المحرك الأول الذي لايتحرك.

يسمي أرسطو الصورة بالكمال، والكلمة من حيث اشتقاقها باليونانية تدل على الغاية إذ تعني: ما يكون حاصلاً على الغاية أي ما يكون حاصلاً على الصورة، فالصورة هي الكمال بمعنى أنها غاية الحركة، والموضوع النهائي للحركة هو حصول المادة على الصورة متسلسلة من صورة إلى صورة أعلى حتى الوصول إلى صورة الصور. لقد فسر أرسطو الحركة بمعنى الانتقال من المادة إلى الصورة مستنداً إلى مفهوم الغائية، فغاية المادة الصورة، وتسعى المادة إلى الإتحاد بها والانتقال من صورة إلى صورة، من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وتستمر المادة في الانتقال من صورة إلى صورة أعلى حتى تصل إلى الصورة النهائية، وفي هذه الحال لن يكون المحرك الحاصل على صورة الصور باطناً في الأشياء وإنما لابد أن يكون شيئاً تميل الأشياء إلى أن تتحقق على أساسه، ومن هنا كان المحرك الأول الذي لايتحرك عالياً، ويتصل بالعالم عن طريق عشق الموجودات إيّاه، ومن ثمّ فهو الغاية النهائية التي تسعى الموجودات إليها. فالغائية عند أرسطو لا تخص الكائنات الحية فحسب، وإنما الجمادات أيضاً لها نصيب من هذه الغائية، فالطبيعة بكل ما فيها من ظواهر وبكل ما تحتوي من كائنات حية وكائنات غير حية محكومة بالغائية، وهذه الغائية كامنة في طبيعة الشيء، فهي ليست شيئاً خارج الكائن الحي وغير الحي وإنما هي توجهه من الباطن.

وتتجلى الغائية أيضاً في فلسفته الطبيعية في مبدأي القوة والفعل، بوصف الفعل كمال القوة وغايتها.

ويقوم مبدأ الغائية على أن كل ما هو موجود إنما هو موجود ويفعل من أجل غاية ما، والغايات الجزئية في العالم مرتبطة بغاية كلية واحدة، وقد استخدم هذا المبدأ لدى فلاسفة عدة لإثبات وجود الله، وهذا ما أطلق عليه اسم البرهان الغائي. ويقوم هذا البرهان في جوهره على الانطلاق من العالم الطبيعي وما فيه من ترتيب ونظام وعناية للتوصل إلى إثبات أن وراء هذا العالم غاية واحدة؛ إذ إنه من المستحيل أن تتوافق أشياء مختلفة في نظام واحد إذا لم توجد علة هي التي أحدثت التوافق، علة مدبرة للكون، ولما كان الكون متوافقاً على اختلاف أشيائه دوماً كان من الضروري الإقرار بوجود علة حكيمة مدبرة هي التي أوجدت هذا النظام وهي التي تحفظه عليه. ومن الفلاسفة الذين اعتمدوا على هذا البرهان في إثبات وجود الله «توما الأكويني»، فالموجودات عنده إنما تفعل لغاية، وهي لا تبلغ الغاية بصورة عرضية وإنما عن قصد، وبما أن هذه الموجودات عنده خالية من المعرفة كان لابد أن يكون هناك موجود عارف يوجهها نحو غايتها، وهذا الموجود هو الله، وقد أخذ الأكويني هذا الدليل من كتاب «السماع الطبيعي» لأرسطو، ويذهب في الاتجاه نفسه الكندي وابن سينا في البرهان على وجود الله.

لقد جعل أصحاب مذهب الغائية العالم بكل ما فيه يتوجه نحو غاية غير واعية لدى الموجودات الطبيعية، وواعية بالنسبة الإنسان، لقد قدموا تفسيراً للعالم يقوم بمجمله على غاية نهائية تحدد أشكال التغيرات في العالم كلها، وإذا كان بعض الغائيين قد قصر ميدان الغائية على الأفعال الإنسانية فإن بعضهم الآخر قد وسّع هذا المفهوم ليشمل كل الموجودات، ومن ثمَّ أصبح هذا المفهوم عندهم منهجاً لتحصيل المعرفة حيث يميز بعضهم بين النشاط الغرضي والنشاط

الوظيفي، على أساس أن النشاط الوظيفي، كنشاط الكبد مثلاً، نشاط له أثره في الكائنات الحية، ولكنه ليس نشاطاً يتوجه إلى الهدف ويصر عليه، مهما تغيرت الظروف، ويتسم بالحساسية للظروف التي تواجهه ويعدل نفسه بمقتضاها يتلاءم معها أو يتغلب عليها، وهي المواصفات الثلاث التي يتصف بها النشاط الغرضي. وقد جرَّ الخلط بين النشاطين إلى الحديث عن أيهما أحدث، واحتدم الجدل بين الفلاسفة للتفريق بين النشاطين. ويقترح فلاسفة العلوم حلاً يتمثل في الاستغناء عن اللغة الغائية بالكف عن اللجوء لتعبيرات مثل «وظيفة»، «غرض»، «هدف»، بترجمتها إلى لغة علمية، كأن نقول «الكلية جهاز لازم للتخلص من البول» بدلاً من «وظيفة الكلية هي التخلص من البول». وهذا ما جعل كثيراً من فلاسفة العلم يرفضون مبدأ الغائية لأنه يتناقض بجلاء مع العلم الذي ينطلق من مفهوم السببية والحتمية، فليست الغايات هي العلة الكامنة وراء التغيرات في الكون، وإنما إذا توافرت الأسباب نفسها في الظروف نفسها أدت إلى النتائج نفسها، وهذا ما أعطى العلم إمكانة التعميم ومن ثمَّ التوصل إلى القوانين، فمناهج العلم المتمثلة في الاستقراء والاستنتاج لا تقوم على افتراض غاية سابقة تحكم الوجود، وإنما هناك قوى كامنة في طبيعة الأشياء تفعل فيها.

عبير الأطرش

الغنوصية

كلمة يونانية الأصل تعني المعرفة أو العرفان، ثم تطورت واتخذت Gnosticism الغنوصية معنى اصطلاحياً «العرفانية»، وصارت تعبّر عن تذوق المعارف مباشرة أو التوصل بنوع من الكشف والإلهام إلى المعارف العليا، ومثلت الغنوصيَّة نزعة فلسفية صوفية دينية معاً، غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل، وبالوجد لا بالاستدلال، أي بالذوق والكشف. لهذا تطلق أيضاً على المذاهب الباطنية. ويذهب بعضهم إلى أنها ترجع بأصلها إلى إلهام إلهي منذ البدء وتناقله أهل العرفان .(المريدون) سراً

جوهر الغنوصية وفلسفتها

تعدّ الغنوصية مذهباً تلفيقياً، بوصفها مزيجاً غير أصيل من أفكار دينية متباينة الأصول، أساسها التوفيق بين مختلف العقائد التي سادت جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية وانتشرت فيها قبل ظهور الديانة المسيحية وحين ظهورها. وقد نظر بعض آباء الكنيسة (أوريجين مثلاً) إلى النزعة الغنوصية على أنها وليدة تزاوج بين المسيحية وبين حركات روحية أخرى، أبرزها: اليونانية، والفارسية، واليهودية، وأن المذاهب الغنوصية نشأت من الديانات السرية ولاسيما (الفيثاغورية والأفلاطونية)، وجوهرها رفض العهد القديم وصبغ الأناجيل بالصبغة اليونانية وجعلها هيلينية، حين زعم أن الغنوصية حركة إضفاء A.V.Harnack وهذا ما أكده أدولف فون هارنك الطابع اليوناني على المسيحية. في حين نفى بعضهم أن تكون الغنوصية هيلينية تماماً، فهي ، W.Bousset شرقية الأصل، لكن شرقيتها كانت في ثوب هيليني، وحسب رأي بوست

رأي هارنك، بأن H.Leisegang الغنوصية ذات طابع شرقي فارسي. وقد أيد هانز ليزغانغ الغنوصية ضرب من التفكير اليوناني الصوفي، وعموماً تشغل الغنوصية مكاناً وسطاً بين الدين والفلسفة، وبين الشرق والغرب.

[تميزت الغنوصية بخصائص عدة أبرزها القول بالثنائية dualism أو الإلهية، وكشف الأسرار، وأخيراً تحقيق الخلاص أو النجاة، إذ تقول بوجود مبدأين (إلهين) للوجود هما الروح (الخير والنور) والمادة (الشر والظلمة)، وتجري أحداث الكون حسب ما بينهما من نزاع وتعارض، ودرجة تغلب الواحد منهما على الآخر، فإذا كانت الغلبة للمادة، كان الشر هو الغالب، وإذا كانت الغلبة للروح، كان الخير هو الغالب، وبهذا وضعت الغنوصية تخطيطاً عاماً للوجود أعلاه الله سبحانه وتعالى لأنه خير محض ووجود معقول - مفارق، لا يصدر عنه أي وجود مادي شرير، بل تصدر عنه أرواح زوجية (ذكر وأنثى)، سميت بالأيونات أو الأراكنة، وهي نماذج ومثل العالم اللامتناهي في صور مشخصة، تتدرج مراتبها وألوهيتها بتدرج بُعْدها عن مصدرها، وأحد هذه الأيونات واسمها الحكمة (صوفيا) فاض بها الشوق إلى الله، وامتلأت بالتفكير فيه، فتجرأت وتجاوزت حدودها ومرتبتها، فطردت من مملكة السماء. العالم المعقول، ونتيجة خطيئتها فاضت روح الشر أو إلهه الملقب أركون، وصدرت عنه أرواح شريرة مثله، وكذلك العالم المحسوس وما فيه من أجسام، وقد حبس ذلك الأركون الخاطئ النفوس البشرية في أجسامها، فكوَّن الإنسان. ولأن هذه النفوس تهفو إلى الخلاص والصعود إلى عالمها الأول؛ يحدث الصراع العارم في الإنسان بين قوى الخير وقوى الشر. فمن كانت فيه طبيعة الغنوص عاد إليها ربانياً، ومن تغلبت عليه طبيعة المادة بقي في عالمه الأدنى، أي إن الإلهي منها أو الغنوصي يصعد إلى السماء، والأرضي أو المادي يثبت على الأرض، ويتوسطها الحيواني، وهذه تتنازعها السماء والأرض، فصعودها إلى السماء مشروط بانتصارها على شهواتها.

الغنوصية في الفكر الشرقي

أول ما ظهر الغنوص في الأديان الفارسية التي جمعها الإسلاميون تحت اسم المجوسية، ويبدو أن أول مَنْ نُسبت إليه الغنوصية في الأساطير الفارسية كيومرت، وقيل إنه اسم آدم، وإنه أول من قال بأصلين للوجود هما يزدان وأهرمن. وتعد الزرادشتية[ر] أيضاً من الديانات الغنوصية الثنائية، وكذلك عُدَّت الديصانية (نسبة إلى ديصان)، والمانوية (نسبة إلى ماني بن فاتك)[ر] والمزدكية[ر] من الفرق الغنوصية. وفي العراق، ولاسيما في الجنوب، كانت المندائية أولى الفرق الغنوصية، ومن ثم مدرسة الحرنانية الغنوصية، والصابئة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

ويمكن الحديث عن غنوصية قبل قيام المسيحية، تلك التي تمثلت في الكتابات الهرمسية في صورتها الأولى التي وُجِدَتْ في الدوائر المصرية المتأغرقة (المتأثرة بالإغريق). وقد اعتقدت أغلب هذه الطوائف الغنوصية بالوجود السابق وبالتجدد الروحي للنفوس البشرية، ونظرية الروح السحرية.

أما الغنوصية المسيحية فقد ظهرت في بادئ الأمر في السامرة، ثم في الإسكندرية، وازدهرت في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد. وانتشرت في أغلب بلاد الشرق الأوسط ولاسيما في مصر. وامتد أثرها إلى اليهودية والإسلام، فتمثلت في صور وأشكال مختلفة منها الغنوصية اليهودية والمسيحية والإسلام.

تجلت الغنوصية عند اليهود فيما يعرف باسم «القبالة»[ر]، فقد كانت القبالة أكبر غنوص عرفه تاريخ الأديان، حيث انتشرت بسرعة من فلسطين إلى الإسكندرية، واختلطت بالفلسفة الذي مهد لظهور المسيحية، وكان له أكبر الأثر في Philo اليونانية عن طريق فيلون اليهودي يوحنا الإنجيلي، وكان من أبرز الشخصيات الغنوصية المسيحية في القرن الثاني الميلادي، ثلاثة يعتمد .Marcion ومرقيون Valentinus وفالنتينوس Basilides هم باسيليدس مذهبهم على المعرفة الصوفية التي تهدف إلى الخلاص من العالم الحسي والاتحاد بالله، وذهبوا في تأويلهم لعقائد المسيحية مذهباً خاصاً بهم، ولاسيما في عدائهم للدين اليهودي، فرفضوا تعصب اليهود وادّعاءهم بأنهم شعب الله المختار، وعارضوا التوراة بالإنجيل وكرهوا إله العهد القديم، فقالوا بإلهين، واحد جبار للعهد القديم، وآخر محب للعهد الجديد، وعدّت الغنوصية الأول إلهاً شريراً خلق العالم المادي مصدر الشر والنقص، ونبذوا التوراة، وقدم الغنوصيون نظرية خاصة بالخلق تقول بوجود قوى روحانية بعد الله أو الإله الأعلى، وعددها 33 قوة ترمز إلى عمر السيد المسيح، منها ذكور ومنها إناث، وكلها مظاهر للإله يكوّن مجموعها الصفات الإلهية، سماها فالنتينوس بالأيونات، وبرأيه أن صوفيا، قوة الحكمة، أحد هذه الأيونات، قد ضلّت، فخلقت العالم بوساطة ابن ماكر لها هو إله اليهود، لكن أيوناً آخراً - وهو المسيح - بُعث ليعيد الحكمة إلى صوابها ويرجعها إلى زمرة المجموعة الروحانية الخيّرة، إذ يعتقد فالنتينوس أن العالم المحسوس هو من خلق يهوا إله اليهود والتوراة، وهو ابن عاق للحكمة الإلهية، غير أن الإله الأعلى الخير لم يترك لإله اليهود الحكم المطلق في العالم فأرسل ابنه في شخص المسيح ليحرر الناس من أحد المدافعين الأوائل عن المسيحية - Irenaeus تعليمات موسى الخاطئة. بيد أن إيريناويوس . - حاول حماية العقيدة المسيحية من التضليل، مؤكداً أنه لا إله سوى واحد خيّر

في حين ذهب باسيليدس في مذهبه الغنوصي إلى تعظيم الشيطان لدرجة التأليه، وربط بين البوذية والهندوسية في نطاق المسيحية، وسلّم بالتجدد الروحي وأنكر بعث الأجساد، فكان تفسيره للمسيحية بوذياً عميقاً. أما مرقيون فقد نادى بثلاثة مبادئ رئيسية للوجود، الإله المتعالي، والصانع، والمادة الخالدة. ورفض نظرية الفيض[ر]، وأنكر على المسيح الطبيعة البشرية، ورفض العهد القديم، ونبذ الشريعة اليهودية، والكتب العبرانية المقدسة، فأصدر عهداً جديداً غير العهد المعروف يتكون من إنجيل لوقا ورسائل بولس لكن الكنيسة حرمته.

الغنوصية عند العرب والمسلمين وموقف علماء الكلام

عرف العرب الغنوصية، وتزندق منهم كثيرون وقالوا بالثنائية. ويذكر النديم من الفرق الغنوصية في الإسلام المغتسلة بنواحي البطائح؛ الذين يزعمون أن الكونين ذكر وأنثى، والجنحيين في جوخي على النهروان (في العراق اليوم بين بغداد وواسط)، والأزرمقانيين نسبة إلى خسرو الأزرمقان؛ ومن الغنوصيين الجعد بن درهم، وابن طالوت، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وبشار بن برد، وإسحاق بن خلق، وأبو العباس الناشئ، والجبهاني محمد بن أحمد بن عبد الملك الزيات، ويحيى بن زيادة، وأبو العتاهية، وكلهم من المتكلمين أو الشعراء أو الحكام، ونفذت الغنوصية إلى غلاة الشيعة، وكانت أساس الشيعة الإمامية والإسماعيلية، لكن علم الكلام، الذي قام أساساً للرد عليهم، قاوم كل هذه الطوائف والدعوات الغنوصية.

الغنوصية في الفكر الصوفي الإسلامي

سيطرت الغنوصية على فلسفة التصوف في الإسلام. ومثلت نوعاً من المعرفة الصوفية، يحدث للصوفي بطريق مباشر، أشبه بالومضة، وهو من قبيل الإدراك المباشر الوجداني، في مقابل الإدراك الحسي المباشر والإدراك العقلي المباشر. ودخلت فكرة الثنائية الغنوصية بين الله والمادة في عقائدهم، فأصبح محمد r ثم اللوغوس (الكلمة) ثم النوس (النفس) هو العقل الأول، ومنه خرج الأنتروبوس (الإنسان الكامل)، ثم عدد من الكائنات الروحية (الأيونات) في تدرج تنازلي، وصولاً إلى المادة أصل الشرور في العالم. لكن الإنسان يصعد إلى العقل ثانية بمنهج العرفان (الغنوص). وقد كان الحلاج، والسهروردي، وعين القضاة الهمذاني، وابن سبعين، ومحيي الدين بن عربي من ضحايا الغنوص، حتى ادعى ابن عربي والشلمغاني حلول روح الله فيهما.

وقد عرف الإسلاميون، من المذاهب الهندية الغنوصية، «البددة» جمع «بد» تحريف بوذا، حتى إن ابن سبعين كتب كتابه «بد العارف» وكان يقصد البوذية وانقسم الهنود إلى السمنية المعطلة التي تقول بالتناسخ[ر]، والبراهمة الملحدة. وقد نفذت هذه المذاهب الهندية إلى التصوف الإسلامي، ومن ثم كان هذا التصوف على أحد أمرين، إما أنه تصوف فلسفي متلق عن هؤلاء، وإما تصوف سني نشأ في رحاب القرآن والسنة. ومما لا شك فيه أنه كان للإسلام موقف عدائي من الغنوص الشرقي، كموقفه من الغنوص الغربي (الأفلاطونية المحدثة).

الغنوصية وانتشارها في الزمن الحاضر

ظلت الغنوصية قوية حتى القرن الخامس الميلادي، وذلك من خلال صلتها بالأفلاطونية الجديدة، وفيما بعد حُكم على تعليماتهم بالهرطقة، ومع هذا ما تزال الغنوصية حتى اليوم منتشرة في الهند وباكستان وإيران والعراق وسورية ولبنان والكويت والخليج العربي، وقد تم اكتشاف النصوص الأصلية لكتابات المؤلفين الغنوصيين أنفسهم، ويقارب عددها 51 كتاباً، كان قد عرف القليل منها، لأول مرة في عام 1945/أو 1946 بالقرب من مدينة نجع حمادي بصعيد مصر، أو ناحية قصر الصياد، ضمن مجموعة من المخطوطات القبطية وعددها 13 مخطوطاً كُتبت على ورق البردي ووضعت في جرة. وقد تمكن المتحف القبطي بالقاهرة عام 1952 Jung في من الاستيلاء على الجزء الأكبر منها، بعد أن بيع بعضها إلى معهد يونغ (زيورخ (مخطوط يونغ.

وقد أسهم بعض المصريين في نشر هذه النصوص عام 1956 من أمثال ياهور لبيب وعيسى عبد ، وكراوزهQuispel ، وكويسبلPuech المسيح، إلى جانب فئة من الأجانب من أمثال بويش ،. وتُرجم بعضها إلى لغات أوربية عدةBohling ، وبولينغKrause

سوسن بيطار

(- فرانكفورت (مدرسة

مدرسة فلسفية ذات نزعة نقدية، تأسست في الثلاثينات في القرن Francfort مدرسة فرانكفورت العشرين، وبلغت ذروتها عام 1968، وسميت بهذا الاسم لاتخاذ معهد الأبحاث الاجتماعية في ما Max Horkheimer«فرانكفورت مركزاً لها. تزعّم هذه المدرسة «ماكس هوركهايمر بين (1895 -1973)، وتمّ تحت إشرافه إصدار مجلة «الدراسات الاجتماعية» الناطقة باسم .Theodor W هذه المدرسة عام 1932. ومن أهم ممثلي هذه المدرسة تيودور فون أدورنو ما بين Herbert Marcuse ما بين (1903 -1969) وهربرت ماركوزه Adorno 1979- 1898)).

وبسبب ملاحقة النظام النازي لهم اضطروا إلى اللجوء إلى الولايات المتحدة، حيث طور كل منهم وتميز ممثلو .K.Marx وبطرق مختلفة تحليلاً نقدياً للمجتمع وبالاستناد خاصة إلى ماركس مدرسة فرانكفورت برفضهم القاطع الوضع القائم، وبرفضهم الحلول والأنظمة النسقية، ولهذه الأسباب جاءت كتاباتهم معظم الأحيان محاولات ومقالات وكتابات حكمية، وقد نشر تيودر Dialektik der «أدرنو بالاشتراك مع هوركهايمر كتاباً بعنوان «جدلية التنوير .، وهو من أهم المراجع التي أنتجتها مدرسة فرانكفورتAufklarung

Eros and Civilization «أما هربرت ماركوزه فقد نشر كتابين هما «الجنس والحضارة ونشر يورغن هابرماس .One -Dimensional Man «و«الإنسان ذو البعد الواحد آخر ممثل لمدرسة فرانكفورت، وينتمي إلى الجيل الثاني الذي تلا أدرنو Jürgen Habermas

وهوركهايمر وماركوزه، كتابه «العقل والحفاظ على الذات» Vernunft und Selbsterhaltung عام (1968)، محاولاً تأسيس نظرية اجتماعية نقدية، إضافة إلى هؤلاء برز عالم النفس أريك فروم Erich Fromm.

لجأت مدرسة فرانكفورت إلى المنهجية التي تقول بتعدد فروع العلم والمعرفة، والبحث عن معايير جديدة، والنقد الجذري من أجل تشكيل عقلاني للمجتمع؛ لهذا طرحت المدرسة قضايا عدة، أهمها النظر إلى الفلسفة الكلاسيكية - فلسفة كَنت (أو كانط Kant وهيغل Hegel - غير أنها أصبحت تقليدية ومثالية ولم تعد قادرة على تحليل المجتمعات الرأسمالية الحديثة ومواجهة التحديات المطروحة على المجتمعات الأوربية والغربية؛ لذلك لابد أن تحل العلوم الاجتماعية محل الفلسفة، فدعا هابرماس إلى جعل الفلسفة أكثر علمية ودقة، وأن تتخلص من طابعها التجريدي الذي يشبه الألغاز، وأن تقترب من العلوم الإنسانية والاجتماعية كعلم الأنثروبولوجيا وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والتحليل النفسي، وبهذا تريد المدرسة الفرانكفورتية إنزال الفلسفة من برجها العاجي إلى خضم الحياة الواقعية والهموم السياسية للبشر والمجتمع.

وهذا ما دعا فلاسفة فرانكفورت إلى اتخاذ اتجاه يساري أو ماركسي، ونقد مجتمعات الغرب الرأسمالية، وعدوا العقل والعقلانية من الأمور الأداتية المحضة، وبيّن هابرماس خطورة الدعوات التي تنادي بتجاوز الفلسفة والعقلانية التنويرية بحجة أنها أوصلت أوربا إلى الفاشية والنازية، وأن ما ينبغي تجاوزه ليس الفلسفة بحد ذاتها وإنما ذلك التعارض القائم بين الفلسفة والعلم.

لذلك دان هربرت ماركوزه الفلسفة الوضعية والتحليلية المهيمنة على العالم، ودعا إلى ثورة فكرية في الغرب تنتقل به من التصور القمعي والتقني للعقل إلى التصور التحريري والإنساني؛ لأن العقلانية الغربية اختزلت الإنسان إلى مجرد بعد واحد وحذفت بعده الآخر، وهنا تكمن مأساة الغرب وأزمته الحضارية.

وعلى صعيد علم الاجتماع، وضع ممثلو هذه المدرسة نظرية سميت «نظرية المجتمع النقدية أو نظرية نقد الأيديولوجيا» انتقدوا فيها الظواهر الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي، مثل المؤسسات الاجتماعية والحق والأخلاق والفن والفرد، وقد ظهر هذا النقد في مقالتي هوركهايمر و«النظرية المادية والميتافيزيقا» Der Materialism und die Metaphysik «التقليدية والنقدية» Die Traditionelle und die Kritische Theorie.

وقف الفرانكفورتيون موقفاً وسطاً بين الرأسمالية والاشتراكية في نظريتهم الاجتماعية، لزعمهم أن كلا النظامين صورتان مختلفتان من مجتمع العقل الأداتي الذي يُغرب كل ما هو إنساني.

فانتقد هوركهايمر وأدرنو المجتمع البرجوازي المعاصر، وأعلنا أن العقلانية تتسم بنزعة علمية إلى إفناء الذات، فالإنسان مُسيْطر عليه في المجتمع البرجوازي، وتلك هي آثار الحضارة الإنسانية والتقدم الاجتماعي، وما أدت إليه الاشتراكية. وطور هذه الأفكار فيما بعد ماركوزه إذ يرى أن الفن وأي نشاط خلاق إبداعي، والحب والمبدأ الذي يوحد بينهما (الإروس Eros) ، إنما توجد خارج الطبقات الاجتماعية، إذ تعبر عن ماهية بيولوجية أصيلة للإنسان سابقة على المجتمع

ومتقدمة عليه، وإشباع الغريزة الجنسية مصدر الحضارة وهدف الوجود البشري، ويعلن ماركوزه أن المجتمع الصناعي مجتمع ذو بعد واحد، أي إن كل الطبقات فيه متشابهة؛ لذا فليس لأي طبقة منها أن تكون ثورية، فهو يرى أن الطبقة العاملة قد تكاملت في الرأسمالية بصورة وطيدة ونهائية، أما القوة المهيأة للقيام بالثورة في المجتمع الصناعي فتتمثل في الفئات الخارجة عن طبقات المجتمع، المنسلخة عنها، يساعدها على ذلك الطلبة والمثقفون، فالمثقف لا ينبغي أن يبقى في برجه العاجي وإنما عليه أن ينزل إلى خضم الواقع ومشكلاته.

عبير الأطرش

اليسوعيون

هو رهبنة دينية للرجال The Society of Jesus أو مجتمع يسوع Jesuits اليسوعيون Ignatius of Loyola في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، أسسها القديس أغناطيوس لويولا عام 1540. وشعار هذه الرهبنة «المجد Paul III عام 1534، وثبت دعائمها البابا بولس الثالث ، أما هدفها فنشر الكنيسة بالوعظ والتعليم أو Ad majorem Dei gloriam «لله الأعظم إنجاز كل احتياجاتها الضرورية في حينها. وقد كانت الثقافة منذ البداية النشاط الرئيس لهذه .الرهبنة، فقدمت إسهامات بارزة للعلوم اللاهوتية وغير اللاهوتية على حد سواء

بدأ مؤسس هذه الرهبنة العمل بإصلاح ذاته وتجنيد الأتباع، تستحوذ عليه فكرة تقليد المسيح من دون أي خطة أو هدف لإيجاد رهبانية دينية. وحين مُنع لويولا من تحقيق فكرته عرض خدماته وخدمات أتباعه على البابا الذي سارع إلى استخدامه للإفادة من أعماله، وبعد مدة وجيزة اتُخذ قرار تأسيس الرهبنة وطُلب من لويولا وضع دساتيرها. وقد أنجز لويولا ذلك ببطء ومنهجية؛ إذ أدخل القوانين والأعراف أولاً وأظهر كيفية عملها، لكنه أبقاها بلا تصنيف مدة ست سنوات ومن ثم أمضى ثلاث سنوات في صوغ القوانين، وفي السنوات الست الأخيرة من حياة القديس لويولا تم .تنقيح الدساتير ووضعت موضع التطبيق في كل مكان

التحضير والعضوية

إن مدة التحضير المطلوبة من المرشح اليسوعي. ولاسيما لنيل عضوية كاهن وليس عضوية أخ. أطول بكثير من تلك المطلوبة لرسم كاهن عالمي أو لنيل عضوية في رهبانيات دينية أخرى. فبعد سنتين من العزلة والصلاة بوصفه مبتدئاً، ينذر المرشح نذوراً ثلاثة هي الفقر والعفة (العزوبية) ، ومن ثم يمضي سنتين في دراسة الموضوعات Scholasticوالطاعة، ويصير لاهوتياً سكولاستياً التقليدية ومراجعتها، تليها ثلاث سنوات في دراسة الفلسفة والرياضيات والعلوم الفيزيائية، ومن ثم عدة سنوات في التعليم، تعقبها ثلاث سنوات أُخر في دراسة اللاهوت ليُرسم بعدها كاهناً. وبعد السنة الرابعة من دراسة اللاهوت وسنة من العزلة والصلاة ينال المرشح الدرجة النهائية ليصير إما «مساعد أسقف» وإما «ناذر نذور».

يَعِدُّ «مساعد الأسقف» نذور الفقر والعفة والطاعة نذوراً بسيطة، في حين يَعِدُّها «ناذر النذور» نذوراً مقدسة، ويضيف نذراً مقدساً آخر يتمثل بالذهاب إلى أي مكان يريد البابا إرساله إليه، فضلاً عن ذلك ينذر «ناذر النذور» خمسة نذور بسيطة من بينها التخلي عن الوظائف الرئيسية وفق توجيهات الرهبنة.

وللرهبنة اليسوعية رئيس أعلى مقره روما، ينتخب مدى الحياة من قبل المجمع العام للرهبنة اليسوعية الذي يضم ممثلين من مختلف الأقاليم في العالم.

التاريخ

كان الهدف الرئيس لمؤسس هذه الرهبنة الحج إلى الأراضي المقدسة والتبشير فيها، بيد أن الحرب مع الامبراطورية العثمانية وقفت عائقاً أمام الوصول إلى الأراضي المقدسة؛ مما جعل أعضاء الرهبنة يقدمون إلى البابا دستوراً يقيدهم بالذهاب مبشرين إلى أي مكان يختاره البابا، وبعد أن تمت الموافقة على هذا الدستور تم انتخاب لويولا أول رئيس أعلى للرهبانية.

[وكان تطور الرهبنة سريعاً؛ إذ شارك أعضاؤها في «حركة الإصلاح المقابل» Counter Reformation وأسسوا مدارس وكليات في أرجاء أوربا، وظلوا نحو 150 عاماً رواد الثقافة الأوربية، ومع إطلالة عام 1640 كان لليسوعيين أكثر من 500 كلية في مختلف أنحاء أوربا، وبعد نحو قرن من الزمن ازداد عدد كلياتهم ليصل إلى أكثر من 650 كلية، فضلاً عن أن الرهبنة كانت مسؤولة عن 24 جامعة، كما تم تأسيس أكثر من 200 معهد لاهوتي ومدرسة يسوعية.

وُجهت ثقافة اليسوعيين في مرحلة «حركة الإصلاح المقابل» إلى تعزيز الكاثوليكية الرومانية في مواجهة انتشار البروتسنتية. وقد تركز الاهتمام الرئيسي لليسوعيين على تثقيف النبلاء وأصحاب الثروات، مع أنهم تولوا إدارات مدارس تجارية ومدارس للفقراء في أماكن بعثاتهم التبشيرية.

كان انتشار الرهبنة في الحقل التبشيري جيداً، فقد أسس القديس فرانسيس زافير Francis Xavier بعثات تبشيرية في الهند واليابان، وامتدت الرهبنة إلى داخل الصين والساحل الإفريقي، وقد تضمنت رسائل البعثات التبشرية التي أرسلت من كندا معلومات تاريخية وعلمية ومعلومات

، وهي مصدر Jesuit Relations «عن دراسة الأعراف، وطبعت بعنوان «علاقات اليسوعي فريد ومهم للمعلومات المتعلقة بقبائل السكان الأصليين لتلك البلاد. ولعل أبرز أعمال البعثات التبشرية اليسوعية في العالم الجديد تجلى في تأسيسها مجتمعات قروية صغيرة (مستوطنات) من السكان المحليين في أقاليم مختلفة من أمريكا الجنوبية، وكانت تجربة الباراغوي الأكثر نجاحاً؛ إذ أمضى اليسوعيون نحو 200 عام يقودون السكان المحليين فيها، وأسسوا 32 قرية بمجموع سكاني بلغ 160000 نسمة، وعمدوا إلى تعليم الأمريكيين الأصليين الزراعة والمكننة .والتجارة، كما دربوا جيشاً صغيراً للدفاع عن تلك المستوطنات

إن أبرز ما يميز تاريخ الرهبنة اليسوعية تزايد الإجحاف بحقها، ولاسيما في البلدان الكاثوليكية نفسها، فولاؤها للباباوية[ر] استنهض معارضة الحكام والقادة الوطنيين وعداوتهم، كما أن حماسها للإصلاح الكنسي استدعى خصومة رجال الدين، وفي مرحلة من المراحل تم إخراج الرهبانيات اليسوعية من بلدان أوربا كلها تقريباً. وفي عام 1773 حفز تحالف السلطات بقيادة على إصدار رسالة بابوية Clement XIV البابا كليمنت الرابع عشر Bourbon آل بوربون وامبراطورة Frederick II بقمع الرهبنة اليسوعية، بيد أن ملك بروسيا فريدريك الثاني اللذين كانا معجبين بالثقافة اليسوعية وتعاليمها Catherine II روسيا كاترين الثانية رفضا الرسالة البابوية، فحافظت الرهبنة اليسوعية على بقائها في هذين البلدين حتى عام تأسيس الرهبنة اليسوعية على Pius VII 1814، وهو العام الذي أعاد فيه البابا بيوس السابع المستوى العالمي. بيد أن المعارضة السياسية والدينية لم تتوقف منذ إعادة تأسيس الرهبنة، والهجوم عليها متواصل إلا في الدنمارك والسويد وبريطانيا والولايات المتحدة، ومع ذلك مازال .اليسوعيون يتابعون عملهم بصمت وهدوء

ثمة مقولة مشهورة تفيد أنه لو كان على بابا الڤاتيكان تأليف حكومة فإن حقيبة وزارة الدفاع ستكون من نصيب اليسوعيين لأنهم «جيش» البابوية الرومانية فعلاً.

غسان منيف عيسى

الفرنكوفونية

إلى عالم الجغرافيا الفرنسي أونسيم ركلوس Francophonie يُنسب مصطلح الفرنكوفونية الذي استخدمه عام 1880، للدلالة على البلاد التي تستخدم اللغة Onésime Reclus الفرنسية، ولكن في الستينيات من القرن العشرين بدأت حركة الفرنكوفونية بالتطور لتشمل البلاد التي تحررت من الاستعمار الفرنسي، وابتداء من عام 1970 أُضيف بعد سياسي للبعد اللغوي للمصطلح، ليشكل هذا الأخير حسب تعبير الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، أحد الآباء الروحيين للحركة الفرنكوفونية، «رابطة تجمع الدول والشعوب والحكومات المعنية بشكل أمتن مما يفعله المناخ أو الجغرافيا».

في منتصف الثمانينات أضيف إلى فرنسا ومستعمراتها القديمة دول ناطقة باللغة الفرنسية، مثل بلجيكا وسويسرا واللكسمبورغ ومقاطعة كيبك الكندية، وفي عام 1986 عقدت القمة الفرنكوفونية الأولى (قمة فرساي وباريس)، كما أحدثت قمة هانوي في 1997/11/15 منصب الأمين العام للحركة، ليكون سكرتيراً عاماً لها، وناطقاً رسمياً باسمها في المحافل والمؤتمرات والمنظمات الدولية، وقد تم انتخاب بطرس بطرس غالي أول أمين عام لها (1997 -2002).

تبنت الحركة ميثاق الفرنكوفونية، الذي يعدُّ ملاكها القانوني. وفي عام 1998، في بوخارست أُطلق مصطلح «المنظمة الدولية للفرنكوفونية L'Organisation Internationale de la Francophonie» للدلالة على الحركة، إضافة إلى مجموع الهيئات الفرنكوفونية. هذا

علماً أن مصطلح الفرنكوفونية يتضمن الإشارة إلى اللغة «الفرنسية» والناطقين بها، وهو مصطلح مشتق من اللغة اللاتينية، التي هي من عائلة اللغات الهندو - أوربية.

انتشار الفرنكوفونية

يقدر عدد الناطقين باللغة الفرنسية بنحو 170 مليون شخص في العالم، ويغطي مصطلح الفرنكوفونية معانيَ عدة، فهي قد تعني الجماعات والشعوب التي تتحدث بالفرنسية سواء كلغة رسمية أم كلغة ثانية، أو كلغة تواصل أو ثقافة، كما يعني المصطلح مجموعة الدول والحكومات التي تنضوي تحت لواء المنظمة الدولية للفرنكفونية والتي تحدد اتجاهاتها القمة الفرنكوفونية L'espace التي تعقد مرة كل عامين برئاسة أمينها العام، ويمثل المجال الفرنكوفوني francophone الدول التي لها علاقة باللغة الفرنسية جغرافياً أو لغوياً أو ثقافياً.

أهداف الفرنكوفونية

حددت المادة الأولى من ميثاق الفرنكوفونية أهدافها برغبة الحركة في استغلال الروابط التي تجمع الدول التي تتحدث اللغة الفرنسية من أجل خدمة السلام، كما تهدف إلى تحقيق التطور والديمقراطية، ومحاولة الحد والوقاية من النزاعات وتطوير تطبيق قانون حقوق الإنسان، كما تسعى إلى تعميق الحوار بين الحضارات، مما يساعد على تقارب الشعوب والتعارف المتبادل بينها. كل ذلك مع التشديد على مفاهيم عدة، مثل احترام سيادة الدول وثقافات شعوبها، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

البنيان المؤسساتي للمنظمة الدولية الفرنكوفونية

:للمنظمة ثلاثة أجهزة رئيسة، كما يتبعها عدد من المكاتب والمؤسسات الفرعية على النحو الآتي

- **قمة رؤساء الدول والحكومات: وهي الهيئة العليا للفرنكوفونية، وتجتمع مرة كل عامين، ومن مهامها تحديد خطة عمل المنظمة. تنتخب القمة الأمين العام للمنظمة، ويبلغ عدد الدول الأعضاء فيها 53 دولة حتى عام 2004، وكانت قد اشتركت في قمة عام (2004) عشر دول، منها الجمهورية العربية السورية بصفة Ouagadougouواغادوغو مراقب.**

- **المؤتمر الوزاري: حيث تُمَّثل الدول على مستوى وزراء الخارجية، ويحضّر المؤتمر جدول أعمال القمة، كما ينفذ القرارات الصادرة عنها، ويتولى كذلك مراقبة توزيع الموازنة للمكتب الفرنكوفوني.**

- **المجلس الدائم: وهو يتابع أعمال القمة تحت رعاية المؤتمر الوزاري، ويرأسه الأمين العام للفرنكوفونية، وهو مكوّن من ممثلين شخصيين لرؤساء الدول والحكومات الأعضاء في المنظمة.**

- الأمين العام للمنظمة: وينتخب لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، ويعد الناطق السياسي والممثل الرسمي للمنظمة على المستوى العالمي، إضافة إلى مهام أخرى كمسؤوليته عن إحياء التعاون الدولي.

- المكتب الفرنكوفوني: ويعدّ هذا المكتب المنظمة الحكومية الوحيدة على مستوى الدول الفرنكوفونية، ويسهم في نشر اللغة الفرنسية إضافة إلى دعم التعاون بين الشعوب المعنّية، ويحثُّ على حوار الثقافات والحضارات.

- المكتب الجامعي الفرنكوفوني: وهو يساعد على بناء مجال جامعي فرنكوفوني، عن طريق تشجيع التبادل بين جامعات الدول الفرنكوفونية، خاصة في مجال العلاقات بين الجنوب والشمال.

- المحطة التلفزيونية الخامسة TV5 – إفريقيا – آسيا – الولايات المتحدة الأمريكية – أوربا غير الفرنكوفونية – فرنسا – أمريكا اللاتينية – الشرق الأوسط – كيبك في كندا – بلجيكا وسويسرا، ويوزَّع البث فيها على ثماني أقنية محلية:

- جامعة سنغور Senghor باللغة الفرنسية: وهي جامعة للدراسات العليا ناطقة في الإسكندرية.

- إضافة إلى الجمعية الدولية لمحافظي المدن الفرنكوفونية، ومعهد الطاقة والبيئة الفرنكوفونية، والمعهد الفرنكوفوني للتكنولوجيا الحديثة للمعلومات.

أمل يازجي

(- فريدمان (جورج

(1902-1977

عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي عرف بدراساته Georges Friedmann جورج فريدمان المتخصصة في مجال علم اجتماع العمل، وانتشرت أعماله بعد الحرب العالمية الثانية، كما عرف عنه نقده اللاذع لحركة الإدارة العلمية التي ظهرت في بريطانيا، منذ بدايات القرن العشرين. وُلد في باريس سنة 1902، ودرس في دار المعلمين، وارتبط بالمعارضة، وأصبح أستاذاً في المعهد الوطني للفنون والمهن بعد الحرب العالمية الثانية، ومن ثم معلماً في المدرسة العليا للدراسات. بدأ نشر واسبينوزا Leibniz [أعماله عام 1946 بدراسته المقارنة عن فلسفة كل من ليبنتزار التي حلل فيها التناقض الأساسي بين هذين المفكرين، ولكن الفكرة الأساسية التي Spinoza Où «شغلته في الفترات اللاحقة تدور حول تساؤله الأساسي «إلى أين يمضي العمل الإنساني va le travail humain ، ويظهر ميله إلى القول إن نموذج التقانة يتجه آنذاك لأن يصبح عالمياً، غير مكترث بالنظام السياسي، ويتناول مثالاً على ذلك الصناعة الأمريكية، مما يشير إلى تأثره الواضح بنظرية التقارب التي سادت في تلك الأثناء.

ويجد فريدمان أن التقدم التقاني، إذا أصبح إنسانياً، يصبح طريقاً لبقاء المجتمع الإنساني وتطوره. لقد كتب على التوالي «أزمة التقدم la Crise du progrès، (1936) عام «ومشكلات أمريكا اللاتينية Problèmes de l'Amérique latine، (1956) عام «وسبع دراسات حول الإنسان والتقانة Sept Études sur l'homme et la technique 1966) عام).

وآلان تورين M.Crozier تأثر به عدد كبير من الباحثين الفرنسيين كميشيل كروزييه ، وغيرهما، وظهر تأثيره في منهجية الأبحاث التي كان يجريها من جهة، وفي A.Tourain مجموعة الأفكار المتعلقة بتفتيتية العمل، ونقده لحركة الإدارة العلمية من جهة أخرى، ففي الوقت الذي استحوذت طريقته في دراسة المشكلات على اهتمام عدد كبير من الباحثين، إذ اعتُمِدت في مجموعة من برامج البحوث التي أجريت بعد ذلك، انتشر انتقاده لتفتيتية العمل بين أوساط الباحثين الفرنسيين، فتفتيت العمل، برأيه، سمة أساسية من سمات الرأسمالية، وقد ظهرت من خلال السعي نحو فصل عمليات التنفيذ عن عمليات الضبط، ومن ثم عن العمال الذين فقدوا مهاراتهم المهنية إثر ذلك. ويجد فريدمان أن نظام العمل الحرفي التقليدي ينطوي على أبعاد أخلاقية وإنسانية واجتماعية بالنسبة إلى الأفراد الذين ينخرطون فيه لا تظهر واضحة في نظام تفتيت العمل وتجزئته، الذي يمارس قسراً تعليمياً وإنسانياً على المتدربين.

ولإيمانه العميق بفكرة العمل الحرفي الحر والماهر، فقد اندفع إلى الانخراط في نظام التدريب المهني بوصفه عاملاً معاوناً، الأمر الذي جعله يعيش تجربته الخاصة التي بنى عليها مجموعة واسعة من التصورات العملية فيما بعد.

حاول فريدمان في مؤلفاته العديدة الإجابة عن سؤال مهم شغل المفكرين الاجتماعيين والاقتصاديين في تلك الآونة، وهو ما المقصود بتعبير «العمل» ؟، وفي سياق محاولاته يجد فريدمان أن العمل هو السمة التي تميز الجنس البشري من الكائنات الحية الأخرى، فالإنسان كائن اجتماعي منشغل أساساً بالعمل الذي يعد قاسماً مشتركاً بين جموع البشر، وشرطاً أساسياً لكل حياة اجتماعية، وهو يرتبط بالمنفعة التي تعد واحدة من مزاياه الجوهرية، وهو الأمر

الذي أشار إليه معظم الاقتصاديين الليبراليين آنذاك، فالعمل هو الوظيفة التي يقوم بها الإنسان صاحب H.Bergson بقواه الجسدية والخلقية لإنتاج الثروات والخدمات، ويذهب برغسون ، إلى أن العمل الإنساني يرتكز على L'Evolution Créatrice «كتاب «التطور الخلاق تحقيق المنفعة، ولهذا يؤكد فريدمان ضرورة الاحتفاظ بالمنفعة ضمن غائية العمل، غير أن الذي أفاد Karl Marx الإسهام الأكثر عمقاً وأهمية برأي فريدمان هو إسهام كارل ماركس أن العمل قبل كل شيء هو عقد قائم بين الإنسان والطبيعة، Capital «في كتابه «رأس المال .فيؤدي الإنسان ذاته دور واحدة من قوى الطبيعة في سياق علاقته معها

وفي سياق العلاقة بين مفهومي العمل والسلوك، يجد فريدمان أن العمل لا يصبح سلوكاً إلا حين يعبّر عن الميول الشخصية الدفينة ويساعدها على التحقق، ويأخذ بعضاً من ملاحظات سيغموند بهذا الخصوص، فمن خلال العمل يرتفع الإنسان فوق مستوى الحيوانية، وهو S.Freud فرويد .العامل الأساس في تفتح الحضارات

وفي ضوء هذه التصورات يأخذ فريدمان بنقد مبدأ تفتيتية العمل، ونظرية الإدارة العلمية لتايلور ، فالعمل الذي لا يتكيف معه الفرد ولا يحسن اختياره يؤثر سلباً في حياة الإنسان F.Taylor النفسية والاجتماعية، وعلى المرء أن يتجنب الأعمال التي لا تناسب ميوله واهتماماته، في الوقت الذي لابد أن تتوفر في أي عمل الشروط الملائمة من النواحي النفسية والاجتماعية والتقنية لتجنيب العامل احتمال الشعور بالاستغلال والغبن، ولتعزيز شعوره بالاستقرار، وأنه يُكافأ على .عمله بما يناسب مؤهلاته وجهوده، وبالمقارنة مع غيره من العاملين

ويجد فريدمان أن العمل بوصفه نشاطاً إنسانياً، ينطوي على مجموعة من الجوانب المهمة والأساسية المتمثلة بالجانب التقني، ويراد به استخدام الفرد الأدوات والتقانات التي يستطيع من خلالها تحويل الأشياء وتغييرها من حال إلى حال، والجانب الفيزيولوجي، ويراد به التعب الذي يشعر به الفرد بعد ممارسته العمل، وهو نتيجة مجموعة من العوامل التي تختلف من عامل إلى غيره، ومن مهنة إلى أخرى، والجانب النفسي الذي يتفاعل العامل من خلاله مع العمل نفسه، ومع الظروف المحيطة به، من حيث الرضا عنه وتقبله وإتقانه، والجانب الاجتماعي الذي يسهم في تحديد المكانة التي يشغلها الفرد في محيطه الاجتماعي.

وللأهمية النفسية والاجتماعية التي يحظى بها العمل بالنسبة إلى الأفراد فإن غياب العمل يمكن أن يسبب اضطرابات عديدة بالنسبة إلى الأفراد الذين لا يجدون فرص عملهم التي تضمن لهم تلبية حاجاتهم المتعددة، وتسهم في بناء شخصياتهم وتحقيق التوازن النفسي لكل منهم، وغالباً ما يستطيع الفرد أن يحقق لنفسه موقعه الاجتماعي في الأسرة، والعائلة، ودور العبادة، وغيرها من المواقع التي يسعى الفرد إلى أن يشغلها ويصبح جزءاً منها، لما فيها من شعور بالأمن والأمان.

ويعود فريدمان مرة أخرى للتأكيد على أهمية الحرية في مفهوم العمل، ويرفض مبدأ الإكراه ، أو الإدارة العلمية للعمل، ويعتمد taylorisme والضغط، لينفذ من خلال ذلك إلى التايلورية في نقده لتفتيتية العمل على دراسات عديدة في علم النفس، التي تفيد بأن مصدر الإلزام غالباً ما يأتي من مصدرين أساسيين، أولهما الإلزام الداخلي، وينبثق من مثل أعلى وقيمة عليا يشعر بها المرء، أما المصدر الثاني فيتمثل بالضغوط الاقتصادية والإدارية والتنظيمية، وفي حين يؤدي الإلزام الداخلي إلى مزيد من تفاعل الفرد مع عمله، واندماجه فيه، يؤدي الضغط الخارجي إلى مزيد من الانفصال والخضوع لمظاهر العبودية.

لقد جعلت هذه الاهتمامات المركزة على موضوعات العمل من جورج فريدمان واحداً من المختصين في مجال علم اجتماع العمل، بل واحداً من مؤسسيه على مستوى العالم.

توفيق داود

فلسفة القيم

علم القيم أو نظرية axiology أو الأكسيولوجيا philosophy of values فلسفة القيم وتدل على معنى «ما هو ثمين» أو «جدير axios «القيم. كلمة يونانية ترجع إلى «أكسيوس بالثقة» فالأكسيولوجيا علم يبحث فيما هو ثمين، بتقدير قيمته، وتكون الفلسفة المتصلة به فلسفة قيم أو نظرية قيم.

ومن معاني القيمة الدوام والثبات والاستقامة والكمال، ففي مجال السلوك يقال: أمة قائمة، أي متمسكة بدينها، مواظبة عليه. والدين القيم، أي المستقيم الذي لا زيغ فيه، ولا ميلَ عن الحق. يقول تعالى:)وذلِكَ دِينُ القَيِّمة(وقوله تعالى:)فيها كُتبٌ قَيِّمة(أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواءٍ وبرهان.

بالمعنى الفلسفي - (Wert ويُذكر أن أول من استخدم لفظ «القيمة» - (وهو باللغة الألمانية ما بين (1817 -1881) واللاهوتي Rudolf H. Lotzeوعمل على ذيوعه هو لوتسِه ما بين (1822 -1889) وبعض علماء الاقتصاد النمسويين بوجه خاص Ritschel ريتشل Menger. أمثال مانغر

أثر كبير في ذيوع استعمال كلمة القيمة بين Nietzsche وكان لنجاح فلسفة نيتشه المثقفين. واحتلت فلسفة القيم المكانة الأولى في ألمانيا نحو عام 1900، وفي إنكلترا وأمريكا نحو عام 1910، ومن ثم في فرنسا.

وقد جذبت فلسفة القيم اهتمام طائفة من العلماء والفلاسفة، وكان كل منهم يعمل في اتجاه معين، وبروحٍ خاصة. فمن العلماء الذين كانت لهم دراساتهم المتخصصة في القيمة علماء اللاهوت مثل لوسكي Lossky (1870 - 1960)، وعلماء المنطق مثل لالاند Lalande ما بين (1874 - 1947)، وعلماء الأخلاق مثل شيلر Max Scheler [، والفلاسفة مثل بولان Bolin ما بين (1835 - 1924) وعلماء الفيزياء مثل كولَر Alban Köhler (1874 - 1947).

وتبعاً لاستخدامات لفظ القيمة في ميادين متعددة، مثل اللاهوت وعلم النفس والاقتصاد والمنطق والفن والأخلاق، يتحول معنى القيمة من دلالة مشخصة يومية إلى دلالات شتى مجردة ومعنوية. وإن الدلالة الأولية لكلمة قيمة تتجلى فيما يدل على صفة ما يقدّره إنسان ما تقديراً يزيد أو ينقص (قيمة ذاتية) أو يدل على ما يستحق هذا التقدير على نحو يزيد أو ينقص (قيمة موضوعية).

وعلى هذا انصرف الباحثون إلى دراسة القيم باعتبار علاقاتها بالحاجات الإنسانية، وبالميول والرغبات، وبالأمنيات البشرية كافة، سواء اتصلت كلها بالحياة الاقتصادية أو العاطفية أو العقلية أو الأخلاقية أو الروحية أو السياسية أو التربوية أو الفنية.

(طبيعة القيم (ذاتية وموضوعية

القيم نوعان: نوع ذاتي نسبي ينشده الناس كونه وسيلة لتحقيق غاية، ولهذا يختلف باختلاف الأفراد وحاجاتهم، بل يختلف باختلاف الفئات الثقافية، فقيمة السيارة مرهونة بما تؤديه من خدمات، ومن هنا أطلق على هذا النوع القيم الخارجية.

أما النوع الآخر فهو موضوعي مطلق، لا يحده زمان ولا مكان يُلتمس لذاته ويطلب كفاية، فجمال الوردة مثلاً يقوم لذاته. وهذا النوع يسمى بالقيم الباطنية.

تكون القيم ذاتية حين يكون مردها إلى الأفراد؛ فالطعام واللحن الموسيقي قد يكون لهما قيمة عند فرد، ولا يكون لهما لدى فرد آخر، وقد يثيرا اشمئزازاً وكراهية عند فرد ثالث، ومن هنا كان الاختلاف باختلاف الأفراد والزمان والمكان والظروف والأحوال، وتكون نسبيتها وانتفاء مطلقيتها. [وفي هذا يقول سبينوزا Spinoza: « نحن لا نرغب في شيء لأنه قيّم، بل إنه قيم لأننا نرغب فيه». فالقيم ذاتية نسبية، لأن القيمة تكون بالقياس إلى تفكير الإنسان أو رغباته أو شعوره. وهذا يفضي إلى عدم وجود حق بالذات أو خير بالذات أو جمال بالذات.

أما القيم الموضوعية المطلقة، فهي تتضمن قيمتها في باطنها، وهي مستقلة عن مصالح الإنسان وأهوائه ورغباته، وهي ضرورية ودائمة، وواضحة بذاتها، وهي عامة مطلقة تتخطى الزمان والمكان، ولا تتبدل بتبدل الظروف والأحوال، فهي كيان مثالي ثابت مستقل عن الأفكار والرغبات.

إن تأكيد أي جانب للقيم لا يعني نفي الجانب الآخر، وإن افتراض أن القيم يجب أن تكون مجرد [موضوعية، أو مجرد ذاتية، فهو افتراض يجانب الصواب، فعمومية القيم عند برتراند رسل[ر Russell تعني الذاتية والموضوعية في آن معاً، فالقيم ذاتية من حيث هي صادرة عن الذات، وموضوعية من حيث إنها ملتقى الناس جميعاً، وهذا ما تعرب عنه الصلة بين الواقع والمثل الأعلى. إن بعض جوانب القيم تتصل بالناحية الذاتية في أي كائن، وفي الوقت ذاته لها مصدر موضوعي في الواقع.

تصنيف القيم

يرى إرنست لوسين Ernest Le Senne أن القيم كلها تصدر عن الفكر أو الروح صدور الأشعة عن بؤرة تبدع الحرارة والنور، وقد وجد أن أمهات القيم الإشعاعية أربع هي:

. قيمة التحديد الطبيعي أي الحقيقة. وهي قيمة تتميز بها التحديدات المعطاة على أنها تسبق الفعل. وتتميز من التحديدات الخاطئة أو الموهومة أو الخيالية، أي من التحديدات الذاتية فقط. والحقيقة أساس؛ إنها قيمة المعرفة؛ والحقيقة هي الأساس الاجتماعي الأعلى.

. قيمة التحديد الصميمي أي الجمال، وهي قيمة ترى أن الطبيعة قوام التحديدات المعطاة. إنها تهز حساسيتنا الباطنية هزاً متسقاً.

. قيمة التحديد المثالي أي الأخلاق: فالقيمة الأخلاقية، قيمة الشرع، هي القيمة التي تصبح عند تحققها في الواقع فضيلة. وتعرف أنها ما ينبغي فعله، والقيمة الأخلاقية هي قيمة العمل، وهي قيمة الإرادة، كما أن الحقيقة قيمة المعرفة، والجمال قيمة التخيل، والحب قيمة الحب.

. قيمة الطاقة الروحية أي الحب أو الدين: الحب هو القيمة - الأم الرابعة - وتتناول ما يجب أن يكون، وترجع إلى الطاقة النفسية ذاتها، وتجعل هذه الطاقة روحية بدل أن تظل طاقة ذهنية، ومن مهمتها خلق العواطف واتحاد القلوب فيما يجاوز أي عمل من الأعمال. وهذه القيمة، قيمة الحب، قيمة الدين، هي أكثر القيم اتصافاً بالصفة الصحيحة. إنها - كالفضيلة - تتطلع إلى المستقبل، ولكنها لا تستهدف تناول الموضوع، بل إنجابه، بمعنى أن الإنجاب هو إيقاظ الروح.

.. وما يتصل بمفهوم القيمة أو يقرب منه ويشاكله مفهوم المعيار

. ويرى لالاند أن للمعيار ميزة تتجلى في جمع معاني المثل الأعلى أو الأنموذج أو الهدف، وهو يتيح تمييز فئات أساسية للمعايير وهي:

.(. معايير الفكر المنطقي (فكرة الحقيقة

.. والعمل الإرادي (الأخلاق) فكرة الخير

.(. التمثل الطليق للعاطفة (فكرة الجميل

فلسفة القيم

يعد نيتشه رائداً من رواد فلسفة القيم في الفكر الفلسفي، وتعدّ فلسفته كلها نظرية في القيمة. وقد ساعدت فلسفته على ازدهار نظرية القيمة، فالحياة في نظره، إرادة تقويم، وترجيح وظلم وهي .بالدرجة الأولى تملّك وعدوان وإخضاع الغريب والضعيف، وهي قسوة واضطهاد

اعتنق نيتشه فلسفة قيمية تدعو إلى القسوة بدل الإحسان، ورفض اتصاف القيم الأخلاقية بالصفة المطلقة، وزعزعَ يقين من سبقوه في مضمار القيم، رفض القيم الذائعة المفروضة على الإنسان من الخارج، فهدم القيم القديمة، وماتت الآلهة، والإله الجديد هو الإنسان الأعلى .السوبرمان وهو هادم وعازم ألا يكون رحيماً

والأخلاق عنده نوعان: أخلاق السادة، وأخلاق العبيد، أما أخلاق العبيد فإنها تصدر عن الكذب والبغض والحقد على السادة الأقوياء الأرستقراطيين وتتمثل في أخلاق الوفاء والصبر والشفقة والرحمة، وما دعت إليه اليهودية والمسيحية.

وأما أخلاق السادة فهي تتمثل في حب المخاطرة والقوة واحترام العنف والقسوة والكراهية.

وقيم العبيد هي قيم مزيفة، أما قيم السادة فهي قيم حقيقية، وإن السيد النبيل «أناني» حكماً، ورسالته تقضي جهوداً جبارة، لا يبلغها إلا القساة العاتون.

عند ماكس شيلر: من أشهر فلاسفة القيمة فضلاً عن أنه لا يخضع الكائن للقيمة، ولا القيمة . إلى القول: «إن كائن القيمة هو ما Kant [للكائن، وإنما يذهب على خلاف ما ذهب إليه كَنْتار يجب أن يكون؛ فالقيمة شيء موضوعي يترتب علينا اكتشافه، لا اختراعه (حسب نيتشه) والقيمة مطلقة وقصدية، وهي تحدد الشعور، بدل أن يحددها هو، ولها صفة ثانية».

ما بين (1883 -1951)، أن موضوع «جدل الحاضر Louis Lavelleويرى لافيل السرمدي» هو موضوع الاشتراك في الكل، وهو يهدف إلى اكتشاف اللانهائي، أي اكتشاف القيمة. والقيمة في نظره علاقة بين الشعور والسرمدي. وهي فكر ناشط واشتراك بتحقق في الحاضر، في عمل الإبداع. وقد يطلق صفة القيمة على جملة المنظومة الثلاثية التي تضم: الخير (وهو يقابل الكون) والقيمة (وهي تقابل الوجود) والمثل الأعلى (وهو يلازم الواقع). ويحتفظ

بكلمة «القيمة» للدلالة على الوجود، أي الانتقال من الكون إلى الواقع، إلى الوجود، وهذا الانتقال اشتراك فاعل.

والقيمة الأخلاقية عند لافيل هي «قيمة القيم» كونها ذاتاً مشتركة بين القيم جميعاً، ومن دونها لا يمكن طرح قيمة أخرى.

القيم والدين: يرجع ينبوع القيمة في نظر المتدينين إلى أصل لا إنساني، وهذا الأصل هو مصدر الوجود ومصدر التقويم معاً. إنه الأصل المطلق، ويسمى الله في الديانات السماوية، وله في غيرها أسماء كثيرة، ولكن القاسم المشترك في جميع الاعتقادات الدينية، يتمثل في معنى المطلق، ويتميز بمفهوم عام هو مفهوم المقدس، أو القيمة الأولى، مصدر سائر القيم، وهذه القيم جميعها تتميز من مصدرها الأسمى بصفة واحدة هي صفة العادي.

إن الدين، في نظر المؤمنين، ينبوع معرفة قيمته، ونشاط قيمي، يتفردان بصفة المطلق، وهو في الاصطلاح عند «أبي البقاء» وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبياً كان أو قالبياً. ويعرفه «التهانوي» بأنه «وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل».

أحمد أبو زايد

الفقر

الفقر poverty، بمعناه العام، هو حال للفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الأمة؛ تضعف فيها القدرات البشرية إلى مستوى ينحرف بها عن الوضع الوسطي أو النمطي في اتجاه الطرف الأدنى الذي يهدّد سعادة الإنسان وحريته وكرامته وبقاءه؛ وهي حال يُعاني الإنسان فيها الحرمان وانعدام الكفاية، فيُقصّر فيها الإنسان عن إشباع حاجاته وتلبية رغباته وتحقيق ذاته، ويخفق جزئياً أو كلياً في مواجهة التحدّيات أو دفع المخاطر والتهديدات إزاء متطلبات الأنا والآخر ومقتضيات الداخل والخارج، لقلة حيلته وضعف وسيلته؛ وهي حال تمنح الإنسان منزلة اجتماعية social status دونية هامشيّة، تجعله عرضة لانتهاك الحقوق في نطاق مجتمعه المحلّي، ويصبح معها تابعاً للآخر، محتاجاً إليه، مسلوب الإرادة، منقوص الحرية.

أنواع الفقر ومؤشّرات قياسها

تشير أدبيات العلوم الاجتماعية إلى صور متعددة من الفقر، منها الثنائيات المتقابلة الآتية: الفقر المطلق والفقر النسبي، والفقر المزمن والفقر العارض، والفقر الفردي والفقر الجماهيري. وربما استُعملت في صور أخرى للفقر على سبيل الاستعارة والمجاز، كالفقر المادي والفقر الروحي والفقر العاطفي والفقر الأخلاقي والفقر المعرفي أو الثقافي.

مستوى الحرمان الإنساني أو عدم absolute . الفقر المطلق والفقر النسبي: يبيّن الفقر المطلق كفاية موارد العيش للإنسان في نطاق مجتمع أو جماعة، يُحدد استناداً إلى معيار واحد يدعى خط الفقر. يُعرّف خط الفقر بطرائق متعددة، منها تعريفه بحدّ الكفاف، أي أقل مقدار ممكن من موارد العيش الضروري لبقاء الإنسان (الفرد) على قيد الحياة، ثمّ يحوّل هذا المقدار إلى وحدات الدخل المالية اللازمة لشرائه، لتسهيل عمليات القياس والمقارنة. وقد عرّفت الأمم المتحدة هذا الحد بأنه مستوى دخل الفرد اليومي البالغ دولاراً واحداً أو ما يعادله من العملات الوطنية، حسب الأسعار الرسمية لصرف قيمة الدولار. بيد إن هذا التعريف لا يخلو من مشكلات، أهمها أنه لا يتضمن معياراً واحداً يبرر استعماله على مستوى العالم، بسبب اختلاف القيمة الشرائية للدولار (ما يمكن شراؤه من سلع وخدمات بالدولار أو ما يعادله) بين أمم العالم.

فلا يُقاس بمقدار مطلق، بل بمقدار نسبي، كأن comparative أمّا الفقر النسبي أو المقارن يقال: إن الفقراء هم الـ20٪ الأقل دخلاً من مجموع سكان مجتمع ما. ويشير الفقر النسبي إلى ذوي المكانة الدنيا في المجتمع، التي يتكشّف عنها توزيع الدخل عند فئات المجتمع المحددة على أساس الجنس أو العمر أو مكان الإقامة أو الانتماء السياسي أو الديني أو القومي. وتشير البحوث الميدانية إلى أن النساء وكبار السن والأطفال والمعوقين والمنتمين إلى أقلّيّات إثنية يؤلفون الشرائح الأساسية الحاضنة للفقر في المجتمع المعاصر. ويُنظر بصفة عامة إلى الفقر النسبي على أنه باعث للتغيرات الاجتماعية.

. الفقر المزمن والفقر العارض: يمتد الأول على مدى فترة زمنية طويلة نسبياً (أكثر من 5 سنوات) أو يكون فقراً تتوارثه الأجيال في الأسرة الواحدة. وينجم الفقر العارض عن ظروف طارئة ((مثل الكوارث العامة والحوادث الشخصية.

. الفقر الفردي والفقر الجماهيري: يبيّن الأول السمات الفردية للفقر، وتُولى فيه أهمية خاصة للمسؤولية الفردية؛ أما الفقر الجماهيري فيُولى الاهتمام الأكبر فيه لإبراز السمات العامة للجماعة الفقيرة وللمسؤولية الجمعية. يتحدث اليوم أنصار العولمة عن دور العولمة في إفقار الجماهير، مثلما تحدّث الماركسيون من قبل عن دور تراكم الرأسمال في إفقار الجماهير.

متلازمات الفقر أو مظاهره

يتجلى الفقر في ثلاثة مظاهر، عرف بها في كل مكان وزمان، يمكن دعوتها متلازمات الفقر، فكل منها ملازمة للأخرى وملازمة للفقر، وتلك هي:

. ضعف القدرات الإنسانية: يلازم ضعف القدرة الفقر منذ نشأته الأولى، ويستمر معه في جميع مراحله، إنه السمة الأساس للفقر في جميع مراحله وصوره، وهو أسّ الفقر، وسبب ما عداه من مظاهر وسمات تُنسب إليه.

. الحرمان أو عدم كفاية موارد العيش المتاحة: يؤدي ضعف القدرات الإنسانية إلى عدم الكفاية والحرمان، أي الحرمان، مع ما يترتّب عليه من إخفاق في إشباع الحاجات وتحقيق الرغبات وبلوغ المآرب والغايات.

. المنزلة المنخفضة أو الدونية: تنشأ المنزلة نتيجة المقارنة والترتيب بين الأشخاص والجماعات من حيث امتلاك عناصر القوة أو القدرة، ومن ثم تصنيفهم في طبقات وفق نظم التدرّج الاجتماعي المعروفة. وحسب هذا النظام تعدّ الطبقة الأدنى أفقر من الطبقة أو social stratification الطبقات التي تعلوها.

وتُعدّ توزيعات الدخل (أو أيٍّ من عناصر القدرة الإنسانية الأخرى) التي تُرصد وفق معايير اجتماعية كالجنس أو العمر أو العرق أو الدين من الأدوات المناسبة لتعرُّف مستوى اللامساواة وخصائص نظام التدرّج الاجتماعي.

(محدِّدات الفقر (أسبابه وعوامله

إن ضعف القدرات الإنسانية . في المنظور الذي تقدّم ذكره ـ هو سمة الفقر الأكثر أهمية، وهو سببه الرئيس. وتدعى العناصر المكوّنة لهذه القدرات محدّدات الفقر أو أسبابه القريبة. تشمل محدّدات الفقر أو المكوّنات الأساسية للقدرة البشرية ثلاث مجموعات هي الآتية:

. القدرة الاقتصادية: تُقاس القدرة الاقتصادية بحجم الدخل وتدفق إمداداته من ثلاثة مصادر: أجور العمل، عائدات الثروات الخاصة ولاسيما المولّدة للدخل، العائدات المتأتّية من إمكانية الوصول إلى الثروات والخدمات العامة.

.. الرأسمال البشري والثقافي: يشمل الرصيد الصحي والتعليمي والمعرفي والقيمي والأخلاقي

. قوة التنظيم الاجتماعي والسياسي: يشمل هذا المحدّد عناصر القوة المستمدة من قدرة التنظيم الاجتماعي والسياسي على توفير الأمن والأمان وصيانة الحريات وتحقيق التضامن الاجتماعي .وتقديم الرعاية والمساندة وتقليص اللامساواة

في حين يُنظر وفق هذا المنظور إلى العوامل الأخرى، كالنمو السكاني والتركيب الديمُغرافي ومستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئة والبنية التحتية على أنها أسباب بعيدة تؤثر في .الفقر بصورة غير مباشرة من خلال تأثيرها في هذه المحدّدات

الفئات الاجتماعية الحاملة للفقر في المجتمع المعاصر

يمكن القول نسبياً إنه لا أمان من الفقر في المجتمع المعاصر إلا للطبقات العليا، لما يملكه أفرادها من مداخيل عالية ذات مصادر متعدّدة ومتنوعة. إنها الفئة الأقل تعرّضاً للفقر، وكل ما سواها :من فئات اجتماعية معرّض للفقر بدرجات متفاوتة. أمّا أكثر الفئات تعرّضاً للفقر فهي الآتية

.. العاملون بأجر من ذوي الدخل المنخفض الذين يكسبون رزقهم من قوة عملهم

.. السكان المصنفون خارج القوة البشريّة من كبار السن والأطفال والمعوقين

.. السكان المعرضون للتمييز كالنساء وأفراد الأقلّيات السياسية والإثنية

. أفراد الطبقة الوسطى من الفلاحين مالكي الحيازات الصغيرة والمتوسطة وأصحاب الأعمال الصغيرة والحرفيين المستخدمين ذاتياً، إذ ترتفع معدلات تعرّض هؤلاء للفقر بسبب الهزات الاقتصادية وتقلّبات دورات الأعمال والضرائب وسياسات التسعير والحماية الجمركية والتغيرات .الهيكلية وهبوط القوة الشرائية وضعف الرأسمال البشري

نتائج الفقر أو آثاره

لا يقتصر تأثير الفقر على الفقراء، بل يمتد إلى المجتمع كله وسائر شرائحه. يتسبب الفقر لصاحبه بشقاء إنساني كبير، ويُلحق به أذى جسدياً ونفسياً، فيدمّر قوته الإنتاجية والإبداعية ويفسد عليه حياته. تشير نتائج البحوث السكانية والاجتماعية إلى ارتفاع معدلات الوفيات والمرض والجريمة والجنوح والانتحار والتسرّب المدرسي والأميّة وعدم الالتحاق بالمدارس عند الفقراء بصورة لافتة للنظر. كما تشير إلى تميّز الفقراء بنماذج خاصّة لكل من الوفاة والمرض والانحراف الاجتماعي؛ إذ يموت الفقراء غالباً بسبب الأمراض الإنتانية والطفيلية وسوء التغذية .أو نقصها، وهم أكثر تعرّضاً لمخاطر الأوبئة والحروب والمجاعات والكوارث

وللفقراء معدلات ونماذج خاصة من المرض النفسي والعقل، فمع الفقر المطلق الملازم للحرمان ينشأ الإحباط والاكتئاب وينمو الخوف واليأس؛ ويتولّد مع الفقر المزمن الكسل والخمول واللامبالاة وقلّة الدافعية. وينمّي الفقر النسبي أو المقارن مشاعر الحسد والغيرة والشعور بالمرارة ويقود إلى الحطّ من قيمة الذات، ويفضي الفقر بوجه عام إلى المبالغة بقيمة السلع المادية؛ بينما يُسِفّ من القيم الفكرية والاجتماعية.

سياسات مكافحة الفقر وبرامجها

خلص النقاش الجديد والقديم لقضية الفقر والتنمية إلى نتائج مهمّة، كان لها كبير الأثر في إرساء التوجّه السائد حاليّاً لوضع سياسات عملية لمكافحة الفقر في العالم تلقى التأييد والاتفاق، يمكن إيجازها بالآتي:

. الفقر ظاهرة إنسانية غير حتمية يمكن التحرّر منها: زالت الغشاوة وعمّت القناعة اليوم بأن الفقر ظاهرة إنسانية، وأنه غير حتمي، وأنه يمكن الحدّ منه وإزالته؛ بل لقد أصبحت محاربته والقضاء عليه مطلباً ملحاً لحقوق الإنسان وضرورة أخلاقية وأولوية تنموية وقاعدة لإقامة السلم واجتثاث شأفة الحروب والفتن والإرهاب على مستوى العالم أو أيّ من مجتمعاته، فسقطت بذلك نظريات الفقر القائلة بحتمية غيبية، التي يمثلّ معظمها آراء شعبية ذات توجّه ديني؛ أو القائلة بحتمية طبيعية، كالمالتوسية والداروينية الاجتماعية.

. انتهاء الجدال المثار حول النهج الإصلاحي التدريجي والنهج الثوري لمكافحة الفقر: أنهت الضرورة العملية جدالاً كبيراً واسعاً في امتداده المكاني والزمني أُثير حول أسلوب مواجهة الفقر بين نظريات ذات توجّه ليبرالي، تدعو إلى اتباع نهج إصلاحي جزئي تدريجي (يقوم على إحداث إصلاحات اقتصادية وإنشاء آليات اجتماعية وثقافية تعمل على تعزيز التضامن الاجتماعي وتقليص اللامساواة الاجتماعية وتوسيع نطاق الحريات والمشاركة الشعبية) ونظريات أخرى ذات توجّه ماركسي تأخذ بنهج ثوري انقلابي يؤسّس لمجتمع جديد بكل بناه وعلاقاته، يقوم على المساواة. (يستدعي هذا القيام بجملة إجراءات منها الإطاحة بالبنية الاقتصادية والاجتماعية المتفاوتة والمنقسمة طبقياً وإزالة العلاقات الاستغلالية ومسبّباتها).

. ليست التنمية كافية بذاتها لمكافحة الفقر: بات جليّاً أن التنمية لا تكفي بذاتها للقضاء على الفقر أو حتى للحدّ منه، بل ربما عملت على توسيع رقعة الفقر عن طريق زيادة التفاوت بين الفئات الاجتماعية، ومردّ ذلك أن المشروع التنموي انتقائي بطبيعته، حيث يفضي إلى ظفر الأغنياء بالنصيب الوافر من مزايا التنمية وثمراتها، بما لهم من قوة ونفوذ، فتلك هي طبيعة الأمور. وهكذا تصبح التنمية غير ذات جدوى لمكافحة الفقر، ولهذا لابد من آليات تسوية اجتماعية لتقريب المسافة بين الطبقات وتقليص اللامساواة، إضافة إلى ضرورة تطهير برامج التنمية من الطابع الانتقائي للمشروعات.

. أصبح الفقر ظاهرة عالمية وباتت محاربته شأناً عالمياً: وضعت الأمم المتحدة خطة للتنمية، أسمتها خطة التنمية للألفية من أجل إزالة الفقر، تعاهدت بموجبها دول العالم على التعاون من أجل اجتثاث الفقر، بتحقيق الأهداف المحددة لهذه الخطة في غضون الفترة 1995 -2015 وتخفيض عدد فقراء العالم إلى النصف وفق جدول زمني محدّد.

مستويات الفقر واتجاهاته في العالم

قُدّر عدد فقراء العالم الذين يعيشون تحت خط الفقر (مستوى دولار واحد لدخل الفرد في اليوم) في عام 2002 نحو 1000 مليون نسمة، وقُدّر أيضاً أن معظم هؤلاء هم من سكان الأقطار النامية المقيمين في مناطق جنوبي الصحراء الأفريقية وجنوبي آسيا والشرق الأوسط. ويمكن القول إن الفقر المطلق المعرّف وفق حد الكفاف هو مشكلة العالم الثالث فقط، فقد أوشك على الاختفاء في الأقطار الأكثر تطوراً، ومازالت أعداد الفقراء ونسبهم في الأقطار الأقل تطوراً تزداد حتى اليوم.

وللفقر المطلق في البلدان المتقدّمة نموذج شديد الاختلاف عن مثيله في الأقطار النامية، فقد بلغ عدد من يعيشون في الولايات الأمريكية المتحدة بمستوى 12 دولاراً أمريكياً أو أقل لدخل الفرد في اليوم في عام 2001 نحو 33 مليون نسمة، يؤلفون نحو 12٪ من السكان. ومن المؤكد أنه لو استُعمل هذا المعيار لتعريف الفقر في بلد متوسط التنمية لكان معظم سكانه دون خط الفقر، بيد أن الاختلاف بين المجمعات المتقدّمة والمجتمعات النامية سيكون حول نموذج الفقر أكبر منه حول مستواه؛ ففي نموذج الفقر للولايات المتحدة يلاحظ أن 70٪ من الأسر الفقيرة كانت في عام 2001 تملك سيارة وأن 40٪ منها كانت تملك منزلها الخاص.

وأخيراً، مهما يكن الأمر، فإنه ربما أمكن توقع انتهاء الفقر المطلق المعرّف بحد الكفاف من العالم في غضون خمسة عقود قادمة، لكن من المتعذر توقّع أي نهاية لزوال الفقر النسبي من العالم في

الأمد المنظور، ويمكن التوقع أيضاً أن النجاح في مواجهة مشكلتي البطالة واللامساواة سيكون التحدّي الأكبر إزاء العالم وشعوبه للتغلّب على الفقر.

هاني عمران

(- الفلسفة (علم

كلمة يونانية الأصل philosophia أو الفيلوسوفيا philosophy الفلسفة مكونة من جزأين هما: «فيلو» وتعني محبة، و«سوفيا» وتعني الحكمة، وبهذا «φιλοσοφια» تدل كلمة «الفلسفة» لغوياً على محبة الحكمة أو إيثارها؛ واصطلاحاً على العلم الذي يبحث فيه عن حقائق الأشياء ومبادئها على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية، والعمل بما هو أصلح. وقد أوصى الله تعالى الناس بالحكمة، فقال)يُؤتِيَ الحِكمَةَ مَن يَشَاءُ، ومَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَد أُوتِيَ خيَرْاً كَثِيراً((البقرة 269).

بمعنى Homeros تشعبت الآراء واختلفت في معنى كلمة «فلسفة»، فاستخدمها هومر بمعنى Herodotos البراعة العملية في تشغيل الآلات وإدارة الأعمال، واستعملها هيرودوت التمرس القائم على التجربة الطويلة والدراية بالمسائل المختلفة، والرغبة في المعرفة أو الحكمة، العلم بأفضل الأشياء والقدرة على الانتفاع به بكلّ وسيلة ممكنة. Cicero [وعدّها شيشرون]ر

أول من Pythagoras وأَيَّده شيشرون أن فيثاغورَس Heraclitus [وقد زعم هيراقليطس]ر وضع معنى محدداً لكلمة «فلسفة». فقد نسب إليه القول «إن صفة الحكمة لا تصدق على أي مخلوق بشري، وإنما الحكمة لله وحده». لهذا دعا نفسه «محباً للحكمة» لا حكيماً. لكن بعضهم هو أول من استعملها، فقد وردت مراراً على لسانه، في Socrates [يرجح أن يكون سقراط]ر «محاورات أفلاطون»، بمعنى الحكمة الأخلاقية؛ وكذلك قوله في محاورة «الفيدون» إن «الحكمة لا تؤتى إلا للآلهة، أما البشر فحسبهم محبتها». ثمَّ جاء أفلاطون فتوسَّع في معناها،

وميَّز حب الحكمة عند سقراط من ادّعاء الحكمة عند السفسطائيين، وعرّفها بأنها علم الواقع الكلي أو العلم بأعمّ علل الأشياء ومبادئها.

أما أرسطو فقد وسَّع معنى الفلسفة لتشمل كلّ المعارف العقلية ابتداء من التشريع إلى الميتافيزيقا Aquinas، وعرّفها بأنها «المعرفة العقلية والعلم بالمبادئ الأعم»، واقتفى الأكويني أثاره، أما بيكون[ر] Hobbes [ر] فقد عرّف الفلسفة أنها علم وليد العقل؛ وشهد تعريف هوبز بأن «الفلسفة هي العلم بالروابط العلية بين الأشياء»؛ وكذلك عدّ ديكارت[ر] وليبنيتز[ر] وڤولف Wolf الفلسفة أنها علم موسوعي، وميّزوا فيه بين الفلسفة الخلقية والفلسفة الطبيعية، وبين الفلسفة السياسية والفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا[ر]، واستخدموا مصطلح الفلسفة بمعنى العلم. وهكذا نشأت الفلسفة والعلم وكأنهما موضوع واحد لا حدود بينهما ولا فواصل. والواقع أن جميع العلوم الخاصة كالفيزياء والفلك والرياضيات وعلم النفس كانت منضوية تحت لواء الفلسفة، ولهذا كان الفلاسفة القدماء علماء، وشملت كتاباتهم مباحث فلسفية وأخرى علمية على حد سواء، وبرز منهم الرياضي وعالم الطبيعة وعالم النفس والطبيب إلى جانب كونه فيلسوفاً. ومما أسهم في اندماج هذه العلوم في الفلسفة اعتمادها منهج بحث واحد أساسه التأمل العقلي النظري، لا المشاهدة والتجريب إلا فيما ندر، ولهذا قال ديكارت إن Descartes «الفلسفة أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء وفروعها الطب والميكانيكا والأخلاق».

واستمر اقتران العلوم بالفلسفة حتى مطلع القرن السابع عشر، ثم تمايزت عنها نتيجة دخول طرق الملاحظة والتجربة والفرضية والتحقق في مجال العلوم، فاستقلت الفيزياء بفضل كلّ من غاليليه[ر] Galilei [ر]، ثمّ الكيمياء على يد لافوازييه[ر] Newton [ونيوتن[ر] Lavoisier [،

والرياضيات وعلم الفلك؛ وفي القرن التاسع عشر استقلت العلوم الحيوية (الفيزيولوجيا ، وتبعها علم النفس ثم Claude Bernard والتشريح والطب بوجه عام) بفضل كلود برنارد ، وغيرهما من العلماء. ولم تنفصل العلوم A.Comte [علم الاجتماع على يد أوغست كونت[ر .عن الفلسفة تماماً إلا في القرن التاسع عشر

ومهما تشعبت آراء الفلاسفة واختلفت حول معنى «الفلسفة» وموضوعها ومنهجها وغايتها، فالكلّ مجمع، وإن تباينت مذاهبهم، أن الفلسفة شكل من أشكال الوعي؛ نشأ استجابة للحاجة التساؤلية والتعجبية لدى الإنسان لفهم الوجود والعالم وحل ألغازه، يتسم بالشمول، والوحدة، والتعمق، في التفسير والتعليل، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى؛ وبأن التفلسف نوع من التبصير، وضرب من النظر العقلي المنظم الذي يهدف إلى معرفة مبادئ الأشياء على حقيقتها، يقوم أساساً على التحليل والتجريد، والنقد والتأمل والنظرة الشاملة للكون. وربما اكتسب هذا الضرب من التفكير صبغة فردية، بوصفه ثمرة لمجهود أفراد من الفلاسفة، فيطلق عندئذ لفظ الفلسفة مجازاً على مذهب فلسفي معين، كفلسفة أفلاطون، أو فلسفة كَنْت Kant؛ أو يطلق على مجموع المذاهب الفلسفية في أمة Confucius ، أو فلسفة كونفوشيوس معينة، كالفلسفة اليونانية[ر]، والفلسفة العربية[ر]، والفلسفة الألمانية[ر] والفلسفة الفرنسية[ر]؛ أو في دين معين كالفلسفة الإسلامية والفلسفة المسيحية؛ أو في زمان معين كفلسفة العصور الوسطى[ر]، والفلسفة الحديثة[ر]، والفلسفة المعاصرة أو فلسفة القرن العشرين[ر]؛ أو تبعاً للطابع العام الفلسفي كالفلسفة التجريبية، أو المثالية، أو الوضعية المنطقية أو الفلسفة التحليلية أو .الحدسية ثمَّ الوجودية وما شابه

وأحياناً تضاف كلمة فلسفة إلى موضوع ما فتدلّ على الدراسة النقدية لمبادئ هذا الموضوع وأصوله، كفلسفة العلوم أو الإبستمولوجيا[ر] مثلاً؛ أو فلسفة التاريخ، أو فلسفة القانون، أو مصطلح الفلسفة على البحث في Bacon فلسفة الدين وما شابه. وبهذا المعنى أطلق بيكون المبادئ الصورية لجميع العلوم.

على الرغم من تطور العلوم واستقلالها عن الفلسفة، ما يزال للفلسفة علومها وموضوعاتها الخاصة التي تميزها، والتي لا تتناولها العلوم الأخرى، بل تنفرد وحدها بعبء البحث فيها. وقد صنَّفها فلاسفة اليونان القدامى في زمرتين : علوم نظرية وأخرى عملية، (وربما شعرية حسب أرسطو (Aristoteles ، أما النظرية فتنقسم إلى العلم الإلهي وعلم ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)[ر]، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي. بينما تنقسم العملية (أو المعيارية) إلى علم الأخلاق وعلم الجمال، وعلم السياسة. وقد تناولت الفلسفة عبر عصورها المختلفة موضوعات متنوعة طالت أحكام القيم، ونظرية المعرفة (الإبستيمولوجيا) والحضارة والإنسان واللغة، والعلم[ر]، والدين وغيرها. والمنهج الذي التزمت به الفلسفة في جميع مباحثها هو المنهج العقلي، القائم على براهين منطقية استدلالية لا تدحض.

[من الصعب أحياناً التأريخ للفلسفة بإرجاعها إلى الفلاسفة الطبيعيين الأوائل أمثال طاليس[ر Thales ، وأنكسيمانس[ر Anaximenes [، وكأن الفلسفة تمخضت عن تأملاتهم وأذهانهم، فمن المؤكد أن الأسطورة قد مهدت لظهور الفلسفة، فكان لكلّ شعب من الشعوب خرافاته الحيوية التي تشبع حاجته إلى الفهم وميله إلى المعرفة. والحق أن الفلسفة شرقية كانت أم غربية ماثلة بالضرورة في كل زمان ومكان، سواء كان ذلك في الأساطير الشعبية، أم في الأمثال والحكم التقليدية، أم في الآراء السائدة بين الناس، أم في التصورات السياسية التي يأخذ بها

المجتمع. فهي ليست حكراً على جنس بعينه أو حقبة معينة أو دين معين. ومع ذلك يمكن تقسيم تاريخ الفلسفة في الغرب إلى عصور عدة:

- العصر الإغريقي: ويمتد من القرن السادس قبل الميلاد حتى وفاة أرسطو. وقد اتخذت الفلسفة [اليونانية] في هذا العصر سبيلها من الأسطورة إلى اللوغوس Logos، وأنتجت الأفكار الفلسفية والمقولات الأساسية للغرب في تأمل الوجود والعالم والإنسان، وقد بلغت ذروتها في فلسفتي أفلاطون وأرسطو.

- العصر الهلنستي والروماني: الذي يمتد من وفاة أرسطو حتى نهاية الأفلوطينية المحدثة 322ق.م. 500م، وقد اهتم بالبحث عن سعادة الإنسان ومبادئ الأخلاق العملية.

- العصر الوسيط: ويبدأ من القديس أوغسطين Augustines في القرن الرابع حتى نهاية القرن الخامس عشر. وقد انشغلت الفلسفة في العصر الوسيط بالمسائل الدينية وتعقلها وفهمها، كما هي في الكتاب المقدس وعملت على التوفيق بين العقل والنقل أو الدين والفلسفة. وتعد مصنفات فلاسفة الإسلام ابتداء من الكندي وانتهاء بابن رشد رافداً من روافده.

- عصر النهضة: يبدأ من القرن الخامس عشر حتى بداية القرن السابع عشر. ويتسم هذا العصر بتحرر العقل الإنساني من المقولات الفكرية القديمة، كمقابل لنشأة العلم والمناهج الحديثة مع كبلر Kepler وغاليليه.

حتى نهاية القرن السابع عشر. وتتصف فلسفته Locke [عصر التنوير]: ويبدأ من لوك - بوضع أنسقة فلسفية موسوعية متكاملة عن العالم واستخدام المناهج العلمية، ولاسيما التجريب في البحث.

[وكَنْت] وتنتهي مع هيغل Lessing عصر الفلسفة الحديثة] الألمانية: وتبدأ مع لسنغ - وتتسم فلسفة هذا العصر بنزعتها المثالية، وإدراك شامل للتاريخ .Herbert [وهربرت Hegel والكون، وبثراء التفكير، وتكوين مذاهب فلسفية شاملة لكلّ جوانب الوجود (كالمادية والجدلية).

- القرن التاسع عشر: ويتميَّز بغلبة النزعة المادية الميكانيكية.

- القرن العشرون: وهو عصر فلسفة التحليل المنطقي للغة الفلسفة والعلم، والوضعية المنطقية].

وتنبع أهمية الفلسفة من كونها فعالية فكرية خالصة تحاول فهم العالم ككلّ. فما تتصف به الفلسفة من شمولية وتجريد يجعلها ذات طابع إنساني يتخطى حدود القوميات والأوطان، ويجعلها من أهم وسائل التفاهم والتعاون والتآخي الفكري بين أبناء البشر على الأرض. والواقع أن المستوى الثقافي لأي أمة من الأمم يقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها، حيث يدلّ رقي الأمم وتطورها على رقي تفكيرها الفلسفي وتطوره عند أبنائها، في حين يؤدي تدهور الثقافة

وضمورها في أي مجتمع إلى انحلال التفكير الفلسفي وجموده فيها؛ فالتطور الثقافي للأمم يتساوق مع التطور الفلسفي فيها رقياً وانحطاطاً، صعوداً وهبوطاً، ذلك أن الفلسفة تدعم الوعي الذاتي للإنسان وفهمه لدور الاكتشافات العلمية في التطور العام للثقافة الإنسانية، ومن ثم تقدم معياراً لتقديرها وربط الحلقات المنفصلة في نظرية شاملة واحدة.

ولاشك في أن الروح النقدية التي تتسم بها الفلسفة تسهم في تحرير العقل الإنساني من سلطان التقليد والنقل وتدعو إلى وضع الأفكار والاعتقادات الراسخة موضع النقاش والمراجعة والتعديل، الأمر الذي يساعد على شيوع روح التسامح الفكري والتعايش المذهبي بين الشعوب والثقافات والأديان.

سوسن بيطار

الفلسفة الحديثة

إلى حقبة تاريخية عرفت «بالعصر modern philosophy تنتمي الفلسفة الحديثة الحديث» شاعت فيه ثقافة عقلانية - ليبرالية، متحررة إلى حد ما من الثقافة الدينية التي سيطرت على مقاليد الحياة في العصور الوسطى، وأخذ جو من الديمقراطيات ينمو باطّراد، نابع من تزايد سلطة الدول على حساب سلطة الكنيسة. وقد اتسمت هذه الفلسفة بخصائص تختلف في جوانب عدة عما سبقتها من فلسفات، من أهمها: التحرر من السلطة، وانتقاد الفكر، والعناية البالغة بالعلم، فقد استقلت الذهنية الفلسفية عن أي سلطة إلا سلطة العقل ذاته، فانفصلت الفلسفة عن اللاهوت وانقضى عصر الفلسفة المدرسية، وبدت حقائق العقل متمايزة عن حقائق الدين. وشرع الفيلسوف الحديث ينقد الأساليب العرفية التي استخدمها أسلافه، فصارت طريقة الفلسفة طريقة نقدية يتناول أصحابها طبيعة الفكر ووسائله وينقبون عن حقيقة العلم والمعرفة بالكشف من عناصر تلك المعرفة ورسم حدود العلم، وتعيين شروطه وإمكاناته، فدار كثير من الجدل في المباحث الإبستمولوجية حول أدوات المعرفة ومصادرها والوقوف على حقيقة العلاقة بين الذات العارفة والموضوع، وامتد الجدل عند بعض المحدثين حول إمكان قيام المعرفة الصحيحة .ونتائجها على المستوى الأنطولوجي (الوجودي) وحتى الأخلاقي

ولئن تبلورت الفلسفة الحديثة أنساقاً فكرية شاملة أقامها أصحاب الاتجاه العقلي على العقل، وأقامها أصحاب الاتجاه التجريبي على التجربة، ابتداءً من القرن السابع عشر، إلا أن النظرة الحديثة كانت قد بدأت منذ عصر النهضة، فقد ساعد الجو الفكر المتحرر نسبياً، خاصة في إيطاليا، على دعم التمرد على العصر الوسيط واحتضار مدارسه الفكرية والتحرر من سلطة

Rabelais «الكنيسة، فاستردت الفلسفة استقلالها، وقام مفكرون أحرار في فرنسا مثل «رابليه ، وظهر في إيطاليا علماء متحمسون يدعون إلى العودة إلى الواقع Montaigne «و«مونتيني [ومعاينة ظواهره، ونقاد يُحرّضون ضد المعتقدات والقيم السائدة وفي مقدمتهم «ميكافيللي»[ر الذي أسّس بدعواته الحريات السياسية والعقلية، وطروحاته الجديدة عن Machiavelli السلطة، لتصور جديد عن العالم والإنسان، إضافة إلى انتقادات «إراسموس»[ر Erasmus [حول الانحرافات الكنسية وشرور رجال الدين، ونبذه لكل لاهوت أسست له الفلسفة المدرسية[ر: .[الفلسفة في العصر الوسيط

بيد أن التأثير الحاسم في الفكر الحديث كان نهضة العالم العارمة التي شهدها القرن السابع [و«غاليليه»[ر Copernic [ونظريات «كوبرنيكوس»[ر Newton [عشر، ففيزياء «نيوتن»[ر الفلكية، أحدثت تغيراً جذرياً في التصور السائد عن الأهمية الكونية للإنسان التي Galilee خصها به اللاهوت المسيحي، ورفض ما يدعى «بالفرضية» المتصلة بالعالم في التفسيرات العلمية الحديثة، وتقليص دور التدخل الإلهي وجزئيات العالم، فما إن يخلق الله العالم - بحسب نيوتن - حتى تسير أشياؤه بذاتها تبعاً لقانون الجاذبية دون تدخل إلهي مستمر في كل حركة، إضافة إلى أن انتصارات العلم أحيت الكبرياء الإنساني والرضا بالذات، بعد أن كان مستحوذاً عليه .مفهوم الإثم والشقاء الأزلي

احتضنت الفلسفة الحديثة هذه الروح الجديدة، وركّز فلاسفتها اهتمامهم حول «مشكلة المعرفة»، فالنظر العقلي الذي تحرر من السلطة الدينية سرعان ما تحول باهتمامه حول «الذات» Descartes [وديكارت[ر Bacon [بوصفها مصدر كل معرفة. فجاء فلاسفة مثل بيكون[ر ووضعا حقائق الدين خارج إطار التفكير النظري - العقلي، وعملا على تأسيس الفلسفة

الحديثة على العقل وحده، فحاول كل منهما الاهتداء إلى أداة عقلية جديدة في البحث، فدعا «بيكون» إلى «أورغانون جديد» منطقه الاستقراء، سلّط فيه الضوء على عقم المنطق الصوري [الأرسطي المتمثل بالقياس، واستبدل بفلسفة أرسطو Aristotle فلسفة أخرى استقرائية، تقوم على المنهج التجريبي الذي يقوم على الملاحظة والاختبار، تغدو الأداة الصحيحة لتقدم المعرفة بالطبيعة، ولذا فهو يطالب بضرورة التخلي عن الميتافيزيقا بدعوى أن الفلسفة الحقة هي «التي تسعى إلى «إيضاح لغة الكون وتفسير كلمات الطبيعة.

أما ديكارت فقد بقيت الفلسفة عنده علماً بالمبادئ الأولى غايتها تحصيل علم بموضوعاتٍ شتى، وهذا يتطلب الكشف عن مبدأ أسمى يمكن أن تستنبط منه بالعقل وحده كل حقيقة من حقائق المعرفة، فرسم صورة للفلسفة العقلية الحديثة أناط فيها بالعقل الوظائف النظرية المتعمقة بالمعرفة والأهداف العملية الرامية إلى توفير أسباب السعادة للإنسان. فتغيرت النظرة إلى العقل على يده، فبعد أن كان العقل يدرك الوجود، غدا مكتفياً بذاته لا يخضع إلا لسلطانه، فهو الحكم الفصل والقانون الأوحد لا يؤمن بشيء أنه حق ما لم يعقله ويدرك ببداهة الفكر أنه كذلك. والعقل يتصور الأشياء على مثال أفكاره فينتقل من الفكر إلى الوجود، وبه وحده تقوم مبادئ المعرفة الصحيحة، فأثبت ديكارت بفكره وجود «الأنا» وانطلق منها نحو إثبات حقائق وجود الله والعالم الخارجي، فأعلى من شأن «الأنا أفكر» وركّز على تجربة العقل الفردية دون سواها، وجعل من اكتشاف الفكر لقيمته الذاتية الأصل في كل بحث فلسفي، فاحتفظت الفلسفة الحديثة على يديه بطابع فردي – ذاتي وادّعت لنفسها معرفة الحقائق المحسوس منها وما وراء المحسوس.

وبمقابل التشديد على العقل وسلطانه في المعرفة تابع فلاسفة التجربة الإنكليز في القرن الثامن عشر ما أرساه بيكون من نظرة جديدة للفلسفة ومهامها، من استبعاد للميتافيزيقا والتركيز على الإبستيمولوجيا[ر]، إلا أنهم حاولوا فصل الفلسفة عن سائر العلوم وإقامة بنيان فلسفي قائم بذاته، ركزّوا فيه على «تحليل العقل البشري» وتفسير طرقه في كسب المعرفة، وذلك بإدخال المنهج التجريبي الاستقرائي عليه، فانصرف الفلاسفة عن دراسة أصل الأشياء إلى دراسة أصل الأفكار، فأصبحت الفلسفة علماً يدرس الأفكار ونشأتها وطريقة تكوينها وكيفية ترابطها، يُرجع نشوء الأفكار إلى التجربة وحدها، المعين الوحيد لتكوّن المعاني Locke [ف«جون لوك»[ر والصور الذهنية، ويجعل من العقل مجرد متلقٍ سلبي لتلك المعاني، فليس منه شيء سابق على [التجربة وإنما «صفحة بيضاء تخط عليه التجربة ما تشاء من سطور» . وفسر «هيوم»[ر الأعمال العقلية للفكر وترابط الأفكار بتداعي المعاني تداعياً آلياً ميكانيكياً، ولم تعد Hume الحقيقة مطابقة الفكر للواقع بقدر ما أصبحت «إدراك اتفاق الفكر مع ذاته» فغدا الفكر عند التجريبيين أسير يقينه الذاتي، ولم يتعداه إلى يقين موضوعي في وجود عالم مستقل، وكانت النتيجة القول «باللاأدرية» في معرفة العالم، فجون لوك يقول: «إننا لا نعرف سوى أفكارنا ولا قَصَرَ الوجودَ الحقيقي على الوجود المدرِك Berkeley [نعرف أبداً الواقع الخارجي»، وبركلي[ر وحسب، وشكك هيوم في إمكانية أن تقود المعارف إلى إثبات وجود خارجي مستقل، فعززت التجريبية[ر] النزعة الذاتية الفردية، وأصبحت الفلسفة على يد مفكريها أكثر شكية وأقل إلى تصحيح مسار الفلسفة الحديثة، كما عرفها Kant (يقينية، مما دفع كانت[ر] (كانط العقليون والتجريبيون معاً، فحمل بفلسفته النقدية على الميتافيزيقا التقليدية عند ديكارت وأتباعه، ورفض المذهب التجريبي الإنكليزي، وعدّ أن المحاولات التي تبذل من أجل استخدام العقل استخداماً نظرياً في دائرة الميتافيزيقا إن هي إلا محاولات عقيمة، فذهب إلى أن العلم بحقائق الأشياء متعذر عن طريق الأفكار والمعاني بما هي كذلك، وأن المعرفة هي اجتماع أمرين اثنين: التجربة والإدراك الحسي (مادة المعرفة) والعقل التصوري بمبادئه وصوره السابقة على التجربة

واللازمة لقيامها. ومهمة الفكر الكشف عن الأسس العقلية الأولية في النظر والعمل، فكانت فلسفة كانَت النقدية نزعة عقلانية جديدة، اتخذت من نقد العقل نقطة انطلاق من أجل إبقاء الفكر داخل حدوده المشروعة، وفحص إمكاناته وتبيان شروط قيام المعرفة العلمية الحقة من خلال طرحه لمشكلة «إمكانية المعرفة» فكان النقد الكانتي فاتحة لعهد فلسفي جديد، لم تثره الفلسفة السابقة عليه، اضطلعت فيه الفلسفة بمهمة «إعادة بناء العقل» عبر الفحص النقدي. الذاتي .لقدرات العقل المعرفية وطبيعة المبادئ التي يستند إليها في هذه المعرفة

والنظرة الحديثة لم تقتصر على العلم والفلسفة؛ بل طال التجديد الدين والسياسة والاجتماع، ففي الدين ظهرت فلسفات ملحدة لاقت رواجاً لها في فلسفات القرن التاسع عشر، وفلسفات لا تقول بنفس خالدة أو بإله شخصي مفارق للطبيعة، بل إن إدراك وجود الله وماهيته وعنايته – مثلاً – يتم بإدراك النظام الثابت للطبيعة وقوانينها التي هي Spinoza [فيما يراه اسبينوزا]ر عين قوانين الله، وهذا النظام عنده أوضح بيان لقدرة الله مما يتم بمعرفة المعجزات، ورفض كل ما من شأنه أن يناقض النظام السرمدي والضروري للطبيعة، حتى وإن تعارض مع المفاهيم والمعتقدات الدينية، وليس الخلود عنده بقاء النفس بعد فناء الجسم، فالنفس فكرة الجسم، لا توجد إلا بوجوده، وأزلية النفس تكون بالمعرفة الذاتية. العقلية للحقائق الأبدية. وإذا كانت المعرفة بالعقل عند اسبينوزا أعلى شأناً من المعرفة بالوحي، فإن الدين الحق هو الدين الذي يوجد .في العقل والنفس

وفي السياسة ظهرت دعوات ليبرالية – حرة تدعو إلى تقليص سلطة الملوك المطلقة، ورفض الموقف اللاهوتي الداعم لها (كما ورد في نظريات الحق الإلهي)، فانتقد «لوك» مبدأ الوراثة في الحكم، وفسّر أصل الحكومات بعوامل طبيعية – تاريخية، ودعا إلى فصل السلطات المدنية عن

الدين، مما يكفل للأفراد حقوقهم بعيداً عن انتماءاتهم الدينية ويحميهم من جور الملوك وتعسفهم، وذهب بعضهم في مسألة الفصل إلى تغليب السلطات الزمنية، فاسبينوزا يريد للدولة السلطة الزمنية أن تشرف على كل شيء على أن تكون مصالحها دائماً هي العليا، فكانت تلك الدعوات والنظرات قاعدة أساسية لتحرير الإنسان الحديث، تقوم على العقل وحده.

سوسان إلياس

الفلسفة العربية - الإسلامية

مجموعة من تيارات Islamic - Arabic Philosophy الفلسفة العربية - الإسلامية الفكر العربي الفلسفي، نشأت في أحضان الثقافة الإسلامية التي تمثلت في القرآن وفي العلوم العربية، وتميزت بحلول مبتكرة ذات طابع فكري حر.

ولما كانت الفلسفة، في جلّ ما في جوهرها، تفكيراً في الماورائيات، لم يعرف العرب هذا النوع من التفكير إلا في الإسلام. فقد جعلتهم الدعوة الإسلامية يتأملون في الله، في وجوده وصفاته، وفي خلود الروح وبعثها.

ولعل الفتوحات الإسلامية هي التي قرّبت بين حضارات مختلفة راقية وبين الحضارة العربية، فقد احتك العرب بالفرس والسريان والروم والمصريين والهنود، فكانت حضاراتهم روافد أسهمت في تقوية نهر الفكر العربي. ولم يكن اقتباس العرب من هذه الحضارات مجرد نقل دون إبداع، فالشرقيون أبدعوا في الاقتباس، ولم يمض ردح من الزمن حتى أمسكوا بدفة القيادة الفكرية العالمية، وجددوا وابتكروا في الفلسفة أكثر مما اقتبسوا، وليس أدل على ذلك التجديد من صوفية الغزالي[ر] ورؤية ابن خلدون[ر] وشروحات ابن رشد[ر] لأرسطو[ر].

ومما لاشك فيه أن انتشار الفلسفة اليونانية في شرق البحر الأبيض المتوسط، أي في منطقة ظهور الأديان السماوية الكبرى اليهودية والمسيحية والإسلام، قد أثر في الفلسفة العربية، لكن تأثر

الفلاسفة العرب بفلاسفة اليونان لم يقتل بادرتهم الفردية، بل أضافوا إلى الأصل واختلفوا معه أحياناً، فنسجوا على منوال أفلاطون[ر] وأرسطو[ر] وأفلوطين[ر]. ولكن الفلسفة العربية وإن شربت من منهل اليونان، فإن غايتها اختلفت، وصبّت في الدين فكانت توفيقية، وهذا ما جعلها تتميز من الفلسفات الأخرى.

ولم يكن تطور الفكر العربي الفلسفي سريعاً، فقد تطلب اختماراً زمنياً طويلاً قبل نضوجه. ومرّ بمراحل تمهيدية انتقالية حتى رسا مع استقلالية المنهج عند الفارابي[ر]، ويُؤرَخ لمرحلته الأولى مع ظهور علم الكلام[ر]، هذا العلم الذي نشأ ضرورة مستجدة، حينما اشتد هجوم أصحاب الثقافات الفلسفية الوثنية على المسلمات الدينية، فاضطر نفر من أرباب النظر المسلمين إلى التسلح بالمنطق للرد على المخالفين والدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية. وقد تمثل هذا الاتجاه في مواقف أهم علماء الكلام: المعتزلة[ر]، ومؤسسها واصل بن عطاء (699 -748م)، ومبدأهم أن العقل مقياس الحقيقة، فلا إيمان بالعقائد الموروثة إلا بالاقتناع، وإذا ما تعارض العقل مع النقل، وجب تقديم العقل على النقل، وذلك بالتأويل. وبهذه الصورة ظهرت الفلسفة الإسلامية محاولة للتوفيق بين الفلسفة اليونانية في صورتها المتأخرة وقضايا الإسلام الأساسية. ولم تمر هذه المحاولات بسلام، فقد حدثت ردود فعل مختلفة، وبدرجات متفاوتة إذ تصدى الغزالي للفلسفة وكّفر منتحليها في مسائل معينة، ولكنه ارتضى منها بعض مسائل أخرى، في حين رفض ابن تيمية[ر] ومدرسته ومن هم على شاكلته، دعاوى الفلسفة والمنطق كلها.

أما عن المرحلة الثانية لتطور الفكر العربي السائر نحو الفلسفة، فهي مرحلة الأشعرية التي أسسها أبو الحسن الأشعري[ر] (873 -935م)، وناهض رأي المعتزلة وأدى دور الحل الوسط بين البصريين والمعتزلة، فكان أول مفكر توفيقي، اعتدل فاستوعب أكثر الناس في مذهبه.

كما نبذ فريق آخر من المؤمنين أسلوب اللجاج العقلي ومضوا شوطاً بعيداً في طريق الإيمان الخالص، فسلكوا مسلك الحب والذوق والرياضة والمجاهدة، وبذلك ظهرت طوائف الزهّاد والعبّاد الخاشعين والبكّائين من أصحاب المواجد والأذواق الذين وضعوا البذور الأولى لقيام الحركة الصوفية في الإسلام، فكانت ردة فعل تطهرية، على جميع صور الجدل حول العقيدة. وعندما ذاعت قضايا الفلسفة واعتنقها المسلمون، كان على أساطين حركة التصوف الإسلامي أن يفسحوا لها مجالاً في مواقفهم المذهبية، وهكذا ظهر تيار التصوف الفلسفي عند ابن سينا[ر] والسهروردي[ر] وغيرهما.

وتلا مرحلة علم الكلام مرحلة فلسفية أخرى بشرت بولادة المنهج الفلسفي المستقل، وهي مرحلة الفيلسوف العربي الكندي[ر]، الذي يشبه دوره العربي الحضاري دور سقراط[ر] في الفلسفة اليونانية، إذ ظهر عنده منعطف الفلسفة في طريقها إلى المنهج المستقل مع الفارابي ومن تلاه، فالكندي كان أفضل من وضع اصطلاحات فلسفية استوحاها من أفلاطون، ومع كونه معتزلياً لم يرض أن يحدّه علم الكلام، فخرج إلى نطاق الفكر الفلسفي الصرف ضارباً بتخوف الناس من الفلسفة عرض الحائط، وأخذ على نفسه مهمة إثبات أن الفلسفة لا تعارض الدين[ر]، وأن الخلاف بينهما عرضيّ يزول باللجوء إلى التأويل[ر]. وبهذا استطاع الكندي وضع حجر الأساس في بناء الفلسفة العربية.

وعلى هذا يمكن القول: إن التراث العقلي والروحي عند العرب والمسلمين ينحصر في فروع ثلاثة: علم الكلام بمراحله الثلاث (العصر الأموي والعباسي والمتأخر) ومذاهبه ومواقفه المتعددة (المعتزلة والأشاعرة وما بين السلف والأشعرية)، والفلسفة الخالصة، والتصوف[ر] بأنواعه.

وقد اختلف الباحثون والمؤرخون في تقدير منزلة الفلسفة العربية والإسلامية من التراث الإنساني الفلسفي، وفي تسمية هذا التراث، فهل هو تراث فلسفي عربي استناداً إلى أن اللغة العربية كانت لغة الإنتاج الفلسفي، وأن القرآن وهو دستور المسلمين قد نزل بالعربية، أم أن هذا التراث يعدّ فلسفة إسلامية من حيث أن منتحليها وكبار شخصياتها كان معظمهم من شعوب إسلامية غير عربية، أي من الفرس والخراسانيين والأتراك. ومهما يكن الأمر، لا يمكن نفي حقيقة أن العرب هم الدعامات الأولى للحضارة العربية، بما فيها من أنشطة مادية ومعنوية، وهم الرواد الأوائل للثقافة الإسلامية، إلا أن اطّراد تقدمها وسمة انتشارها لم يتحققا إلا بفضل إسهام الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية من فرس وخراسانيين وأتراك، وقد كتب بعضهم بالعربية أو بلغاتهم الأصلية، يُضاف إلى ذلك مجهودات أفراد من المسيحيين واليهود ممن أظلتهم الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر.

وكانت مشكلة الجبر والاختيار من أولى المشكلات التي ثار الجدل حولها في بدايات علم الكلام، وانقسم المسلمون بصددها إلى: جبرية[ر. جهمية] يذهبون إلى أن أفعال الإنسان مقدرة أزلياً، وأنها تصدر عن إرادة الله دون أي تدخل إنساني؛ ثم إلى قدرية يقولون بحرية الإرادة، وأن الإنسان خالق لأفعاله، أي مختار في أفعاله حر في إرادته؛ ثم إلى المشبهة أو المجسمة الذين يشبهون الذات الإلهية بذات أخرى (أمثال السباية والبيانية والمغيرة، والهشامية واليونسية والجواربية والخابطية والكرامية)، وقد لقي مذهب المشبهة معارضة قوية من سائر أصحاب الفرق ولاسيما الجبرية والقدرية، كما كان موقف ابن كلاب الكلامي إرهاصاً مبكراً لموقف الأشاعرة الوسط.

ثم تطور علم الكلام في العصر الأموي مع المعتزلة، أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط، فأسسوا قواعد الخلاف وجمعوا بين النقل والعقل وأقاموا سياجاً قوياً من البراهين العقلية والحجج المنطقية للدفاع عن العقيدة في مواجهة المخالفين لها. وقد تبلورت عقائدهم في صورة أصول خمسة هي: «العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وتوسع المعتزلة في شرح هذه الأصول، ممّا أدى إلى ظهور خلافات كثيرة أسهمت في انقسامهم إلى 22 فرقة، لكل منها موقف خاص. فأثيرت مشكلات عديدة كان أبرزها مشكلة خلق القرآن، ونفي إمكانية رؤية الله في الآخرة، ثم مشكلة الاختيار.

وكانت تلك المشكلات نقطة انطلاق موقف جديد، مثلّه مذهب الأشاعرة الذي نهض للدفاع عن عقيدة السلف، ولِرد خطر غلو المعتزلة في آرائهم وتغليبهم العقل على النقل. فجهد الأشعري في بناء مذهب يندرج تحته المذاهب الفقهية الأربعة، لكن الشافعية تنكرت له، كما ثار عليه الحنابلة في بغداد عام 469هـ، وقد عبّر ابن تيمية عام 728هـ عن هذا الموقف الحنبلي المعارض للأشعرية في ردوده الحاسمة عليهم.

وقد توسط الأشاعرة بين المعتزلة والحشوية والمجسمة في مسألة الصفات الإلهية، فرفضوا التشبيه كالمعتزلة وأثبتوا الصفات المعنوية لله تعالى، والتزموا حدود السلف في التنزيه، وردوها إلى سبع صفات قديمة هي: القدرة والعلم والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وقالوا بقدم القرآن الكريم، وأقروا رؤية الله، واحترازاً من الوقوع في الشرك بإثبات قديمين: الله والعالم، قالوا: إن العالم مخلوق ومحدث. وللأشاعرة آراء في جملة مسائل؛ كرأيهم في معرفة الله والشفاعة والإمامة وغيرها.

وجاء الغزالي بمؤلفه «تهافت الفلاسفة» ليكون أقوى معبّر عن هذا المذهب، في العالم الإسلامي، في دوره المتأخر الذي يُؤرَّخ له في القرن السادس للهجرة، وقد امتزج به علم الكلام امتزاجاً تاماً بالمنطق والفلسفة، وسار على منواله فخر الدين الرازي[.

وكانت مشكلة العالم من أهم المشكلات التي واجهت المتكلمين والفلاسفة العرب، فاهتموا بها اهتماماً كبيراً، وكان تحديد الموقف من هذه المشكلة، يمثل الغاية الأساسية لأي عمل فكري أو فلسفي.

وكان القرآن الكريم قد أعطى للمسلمين تصوراً محدداً للعالم يبين فيه موقع الإنسان، ووردت آيات كونية كثيرة وجهت الأنظار إلى الكون أو الطبيعة وعلاقتها بالخالق وعلاقة الإنسان بهما بوصفه عنصراً فاعلاً في الطبيعة، وقد اتخذت هذه المشكلة عند المتكلمين والفلاسفة طابع البحث النظري المنظم، فكانت ثنائية الله - العالم (بما فيه الإنسان) تمثل القاسم المشترك في أعمالهم. وكان لتصور العالم عندهم مستويان: ميتافيزيقي، يتناول العلاقة بين الله والعالم، وفيزيقي يشرح مفهوم العالم بوصفه كل ما سوى الله، يهتم بفكرة الطبيعة والقوانين السببية التي تحكمها. وقد ارتبط المستوى الأول (الميتافيزيقي) عندهم بمسألة تصورهم للألوهية، لذلك كان البحث في هذا الموضوع مدخلاً للبحث في العالم، وكان لإثبات العلاقة أو المفارقة بينهما دور أساسي في بنية مذاهبهم الدينية والكلامية والفلسفية، لذلك كانت مشكلة «قدم العالم وحدوثه» في رأس قائمة اهتماماتهم الفكرية والفلسفية: هل العالم أزلي أم مخلوق؟ هل يحكمه قانون السببية؟ أم تحكمه المشيئة الإلهية؟.

وبرز على هذا الصعيد تياران متوازيان، وربما متناقضان: الأول هو تيار القائلين بحدوث العالم ويضم جميع المتكلمين مع تفاوت خاص بالمعتزلة، والثاني، تيار القائلين بقدم العالم، ويضم جميع الفلاسفة مع استثناء خاص بالكندي.

فقد أنكر بعض المتكلمين (المعتزلة) أي علاقة بين الله والعالم عدا علاقة الوجود، بينما حاول [بعض الفلاسفة (الفارابي وابن سينا) إيجاد نوع من العلاقة عن طريق «نظرية الفيض»[ر هذا بالنسبة للمستوى الميتافيزيقي، أما المستوى الفيزيقي (الطبيعي)، فقد .emanationism اهتم به المتكلمون والفلاسفة على حد سواء. فتناوله «المعتزلة» في نظريتهم عن الوجود والعدم والجوهر والعرض والسببية، كما فعلت «الأشاعرة» في نظريتهم الجزء الذي لا يتجزأ والجوهر والعرض ونفي السببية. في حين تناوله الفلاسفة من خلال مفاهيم الزمان والمكان والحركة والعلّة، وفي هذا المستوى برزت رؤيتهم للإنسان وأفعاله، فدارت أبحاثهم حول ما يسمى اليوم «مشكلة الحرية».

كما تناول المتكلمون مشكلة السببية الكونية من خلال تناولهم للسببية الإنسانية، في حين بحث الفلاسفة في السببية الإنسانية من خلال بحثهم للسببية في الكون، فالفرق لا يتعدى نقطة البدء.

واصطلح على تسمية هذه المشكلة في الفكر العربي - الإسلامي بـ«مشكلة الجبر والاختيار» التي توزعتها تيارات ثلاثة هي: الجبرية، والقدرية وتضم المعتزلة بمختلف فرقهم، والأشاعرة، التيار الذي أدخل نظرية «الكسب» محاولة منه للتوسط بينهما، «فالله هو محدث الأفعال، والعبد

مكتسِب»، فالفاعل الحقيقي إذن هو الله، وهذا القول أقرب إلى الجبر ولكنه جبريّة معدّلة، لذلك قالوا عن الأشعري أنه قال بالجبر وتبرأ من اسمه.

ولم تكن محاولات الفلاسفة العرب المسلمين (أمثال الكندي، والرازي، والفارابي، وإخوان الصفا، وابن سينا، والغزالي، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد) في نظرتهم لمشكلة قدم العالم أو حدوثه، محاولة للتوفيق بين العقل والنقل أو بين الفلسفة والدين وحسب، بل موقف جديد وأصيل قدّم به الفلاسفة العرب بوادر الحل الجديد الذي بدأ مع المعتزلة، واتضحت معالمه مع الفارابي وابن سينا وابن باجة وابن طفيل، واكتملت مفاهيمه وأبعاده مع ابن رشد[ر]. فقد وجد أن المواقف من العالم ثلاثة وليست اثنين، كما يبدو في الظاهر، موقف المتكلمين بحدوث الذين يقولون بحدوث العالم، أي الخلق من عدم مطلق، وينكرون حتمية القانون العلمي ومبدأ السببية، وهم - برأي ابن رشد - ليسوا على ظاهر الشرع، كما يقولون، بل هم متأولون، لأنه ليس في الشرع أن الله كان موجوداً مع العدم المحض؛ والموقف الدهري الذي ينكر وجود فاعل للعالم، ويلتقي مع القائلين بالمصادفة ونفي القوانين الموضوعية، لذلك يصفه ابن رشد بالسقوط بقوله: «إن من يجوّز أن ها هنا أشياء تحدث من تلقائها... هو قول بيّن السقوط بنفسه». فالدهريون، هم الفلاسفة الماديون الذين أنكروا وجود مبدأ روحي للكون ورأوا أن الطبيعة مكتفية بذاتها، وأن الدهر دائر، لا أول له ولا آخر. وموقف الفلاسفة المتوسط بينهما، عنه يقول ابن رشد: «إن الاختلاف في مسألة قدم العالم أو حدوثه راجع إلى الاختلاف في التسمية، لو أنهم اتفقوا على أن هنالك ثلاثة أصناف من الموجودات، طرفان وواسطة بين الطرفين، فاتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة بينهما».

ويرى ابن رشد أن المذاهب في العالم، ليست متباعدة بالقدْر الذي يؤدي إلى تكفير بعضها بعضاً، وهو في هذا يرّد على الغزالي الذي كفّر الفلاسفة في مسائل كثيرة كان أهمها قولهم بأزلية العالم.

عبد الحميد الصالح

الفلسفة في العصر الوسيط

تمازج فلسفي ديني ناتج من اتصال medieval philosophy الفلسفة في العصر الوسيط التقاليد الدينية الحية بالفلسفة اليونانية اتصالاً تاماً، أسهم في تكوينه المسلمون واليهود والمسيحيون على السواء، وكان الأساس الفلسفي الرئيسي في بلورته هو النصوص الأرسطية يصحبها تيار غامض من الأفلاطونية الجديدة أثّرت في تفسير أرسطو[ر]، واستطاعت أحياناً التعبير عن نفسها بطريقة مستقلة. وقد واجهت الأديان الثلاثة جميعاً الاختيار بين أولوية الدين، وأولوية الفلسفة، وإمكانية وضع مركب منسجم منهما.

اتصل المسلمون بالفلسفة اليونانية حين امتدت فتوحاتهم إلى آسيا الصغرى متجهة صوب أبواب القسطنطينية. وقد نجح ابن سينا[ر] في الوصول إلى مزيج منسجم يرضيه بين القرآن وبين نمط أفلاطوني جديد لنظرية صدور الأشياء جميعاً عن الله، أي الفيض[ر]، مصوغة بمصطلحات أرسطية. ويعد ابن رشد[ر] شارح أرسطو بلا منازع في العصور الوسطى، بيد أن تأكيده نظرية قِدَمَ المادة وإنكاره الخلود الفردي كان خروجاً على أصول الدين الإسلامي. وعقب وفاته، وضع رد الفعل اللاهوتي الذي مهد له الصوفي الغزالي[ر] حداً للمرحلة الحاسمة في الفلسفة العربية والإسلامية[ر].

وخضع المفكرون اليهود في إسبانيا لمؤثرات فلسفية مماثلة، إذ تأثر سليمان بن جبرول مؤلف [كتاب «ينبوع الحياة» بالروح الأفلاطونية الجديدة إلى حد كبير. وكتب موسى بن ميمون[ر] دلالة الحائرين» الذي يعد أفضل تطوير للفلسفة الأرسطية ينسجم مع » Maimonides

، St.Aquinas [التوحيد اليهودي، وكان له تأثير سلبي ملحوظ على القديس الأكويني[ر
.فأحدث ردة فعل لاهوتية قضت على النظر الفلسفي اليهودي في العصر الوسيط

أما الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط فهي فلسفة المجتمع الإقطاعي في أوربا الغربية التي امتدت من سقوط الامبراطورية الرومانية (القرن 5) حتى ظهور الأشكال الأولى للمجتمع الرأسمالي (القرنين 14و15). وقد صاحب انهيار المجتمع العبودي القديم تدهور في الفلسفة. إذ في أوربا scholastics (ضاع التراث الفلسفي القديم، ولم يعرفه المدرسيون (السكولائيون
.الغربية حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر

وتعرف الفلسفة الأوربية اللاتينية في العصر الوسيط باسم الفلسفة المدرسية
، أي التي كانت تعلّم في المدارس، وموضوعها لاهوتي، غير مرتبط بزمان أو Scholasticism مكان، أو بأي من المذاهب الفلسفية أو بالأديان. فهي تعبير عن موقف فلسفي لاهوتي أساساً، سواء عند مسيحيي الغرب أو عند العرب المسلمين أو اليهود، هدفها التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين العقل والوحي، مع غلبة الطابع الإيماني عليها. فقد اتخذت من السلطة الدينية معياراً للحقيقة، ومنحت حقائق الدين أولوية مطلقة، فجعلت الفلسفة خادمة للدين. وقد اعتمدت الفلسفة المدرسية على أفكار الفلسفة اليونانية[ر] أفلاطون وأرسطو، إضافة إلى اعتمادها المطلق على
.نصوص الكتاب المقدس[ر] وتأويله بغرض التوفيق بينهما من أجل أغراضها الخاصة

مؤسس الأفلاطونية Augustine [ومن أشهر أساتذة العصر الوسيط القديس أوغسطين[ر المسيحية، ومثقف العصر الوسيط بمؤلفاته الزاخرة بالأدب والفلسفة واللاهوت؛ وديونيسيوس[ر]

الأسقف السوري الذي كتب باليونانية، فكانت مؤلفاته مرجعاً للإلهيات Dionysius المنتحل نحو (480 -524) الفيلسوف الإيطالي الذي جعل مصادر Boethius والتصوف؛ وبويثيوس الفلسفة اليونانية في متناول العالم الغربي بفضل ترجمته وشرحه بعضَ التصانيف الأساسية في [لفورفوريوس[ر Isagogé «الفلسفة والمنطق الأرسطي، وكذلك كتاب «إيساغوجي وغيرها. وهذه كانت من أهم العوامل في تحول الفكر من الأفلاطونية Porphyry of Tyre إلى الأرسطية، فقد أدى تدريس المنطق الأرسطي تحت اسم الجدل، وملاحظات فورفوريوس في «إيساغوجي» إلى توجيه الأنظار إلى مسألة علاقة المعاني الكلية بالواقع.

وتنقسم الفلسفة المدرسية تاريخياً إلى ثلاث فترات: الفترة المبكرة وتمتد من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر، وكانت تحت تأثير الأفلاطونية الجديدة (أريجينا وأنسلم وابن سينا وابن رشد وابن ميمون)؛ والفترة الكلاسيكية وتمتد من القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر، وكانت تسودها الأرسطية المسيحية (ألبرت الكبير وتوما الأكويني)؛ والفترة المتأخرة التي تمتد من القرن الخامس عشر إلى السادس عشر، وقد هيمنت عليها المنازعات بين اللاهوتيين والبروتستنتيين (Cajetan وكاجيتان Francisco Suarez الكاثوليكيين (سواريز ، والتي أظهرت الصراع الذي شنته الكنيسة الكاثوليكية[ر] ضد (Melanchthon (ميلانختون .[حركة الإصلاح الديني[ر

وكان الدين الأيديولوجية السائدة. الكاثوليكية الرومانية والأرثوذكسية اليونانية. وهيمنت الكنيسة بمعتقداتها الجامدة حول الطبيعة والعالم والإنسان على مجال التعليم، وأدى تطور المدارس العلمانية والدينية وقيام أولى الجامعات في منتصف القرن الثاني عشر (في إيطاليا وإنكلترا وفرنسا) إلى دفع الفلاسفة ووضع تفسيرات فلسفية للمعتقدات الدينية السائدة. وهكذا

بقيت الفلسفة خادمة للاهوت قروناً عدة، وهذا هو الدور الذي قامت به على أيدي اللاهوتيين المدافعين عن المسيحية ضد الكفار. فكان أهم أعلام الفترة المبكرة - في القرن التاسع - جون [سكوت أريجينا]ر ، الذي أدى دوراً بارزاً بمذهبه الأوغسطيني John Scotus Erigena (الأفلاطوني الجديد) في صياغة فلسفة العصر الوسيط، ونادى بمقولة «الفلسفة الحقة هي الدين الحق».

ثم حدثت بعض الاضطرابات، عطلت الحركة الفكرية في القرن العاشر، استؤنف بعدها النشاط العقلي في القرن التالي، فنبغ جدليون ولاهوتيون كان أبرزهم القديس أنسلم[ر St. Anselm ، الذي دعا إلى تعقل العقائد والبحث في موجباتها، فوضع مؤلفه الشهير «بروسلوجيوم ومقولته «الإيمان الساعي نحو الفهم»، وذلك اقتداءً بقول أشعيا «إن لم تؤمنوا Proslogium فلن تفهموا» (9:7)، وابتكر فيه الدليل الأنطولوجي لإثبات وجود الله.

وعندما استقرت الحياة الاجتماعية، في القرن الثاني عشر، وازدهرت الصناعة والتجارة، ونشطت الفنون بأنواعها، ولاسيما فن بناء الكاتدرائيات، قامت رهبنات جديدة زادت في عدد المدارس إلى حد كبير، وخاصة في فرنسا كمدرسة «شارتر»، التي ناشدت الحركة الأدبية والحركة العلمية، فظهرت الموسوعات اللاهوتية الكبرى إضافة إلى سلسلة من المصنفات ذات طابع عملي وقانوني، ضمت مختلف الأحكام المتعلقة بالحياة المسيحية، عالجت القوانين الكنسية، البراءات والفتاوى البابوية، كان أشهرها تلك التي وضعها بطرس اللومباردي Peter Lombard) المتوفى سنة 1164)، الملقب بأستاذ الأحكام، وصارت أساساً لكل التعاليم اللاهوتية، كما ظهر لاهوتيون أفادوا من دراسة العلوم اليونانية واللاتينية، فترجموا كتب اليونان والمسلمين من فلسفة وعلوم، من العربية إلى اللاتينية، ككتب الكندي[ر] والفارابي[ر] وابن سينا، كما ترجمت كتب أرسطو

الرئيسية إلى اللاتينية، الكتب التي أثارت فتنة شعواء بسبب ما تضمنته من قضايا مخالفة للدين. وقابلتها الكنيسة في بادئ الأمر بالعداء، وصدرت إدانتها وتحريمها. بيد أن بعض المفكرين تشبث بآراء أرسطو على الرغم من التحريم الكنسي عام 1277، واعترفت الكنيسة فيما بعد بالنظريات الأرسطية أساساً فلسفياً مسيحياً، وغدت مفاهيم أرسطو وفلسفته مصدراً رئيسياً للفكر الوسيط، وأصبح المدرسيون شرّاحاً لأرسطو ويدافعون عنه، ولاءَموا الأفكار الأرسطية مع مفاهيمهم الدينية والفلسفية، وحولوا الجوانب البالية من مذهبه إلى عقائد قطعية كالنظرية القائلة إن الأرض مركز الكون، ومبادئ الطبيعة الأرسطية، ورفضوا كل بحث عن الجديد في العلم.

وتأسس النظامان الدومينيكاني (المذهب الأكويني الأرسطي المسيحي) والفرنسيسكاني (المذهب الأوغسطيني الأفلاطوني) في أوائل القرن الثاني عشر لمحاربة الهرطقات والنزعات المناهضة للكنيسة والأفكار الفلسفية الجديدة «الكاتاريين» (فرقة مانوية) و«الفالديين» (طائفة مسيحية صاحب الذهن التأملي الوقاد، النزعة Pierre Abélard إنجيلية). فعارض بيير أبيلار المتطرفة لدى هراطقة الجدل، كما قام المدرسيون اللاهوتيون المنتمون إلى هذين النظامين بتصحيح تعاليم أرسطو كي تلائم العقيدة المسيحية الكاثوليكية نزولاً عند رغبة البابا غريغوري التاسع، ثم ظهرت الجامعات في باريس وأكسفورد.

ويعدُّ القرن الثالث عشر العصر الذهبي لاكتمال فلسفة العصر الوسيط بوصفه فترة استيعاب نقدي لفكر أرسطو، إذ استخدم اللاهوتيون الأوغسطينيون، والأشد رجعية، المعرفة الأرسطية والمنهج الأرسطي الجديدين، مع إخضاعهما في الوقت نفسه إخضاعاً صارماً لتقليد اللاهوت المسيحي، فبرز آنذاك المدافعون الرئيسيون عن النزعة المدرسية أمثال بونافنتورا[

الذي وقف نفسه للعلم الجديد، Albert the Great ، ثم ألبرت الكبيرBonaventura ووضع تلميذه الأكويني تركيب العصر الوسيط الذي ألف فيه بين الأرسطية واللاهوت المسيحي، وخلفه في الجيل التالي جون دنس سكوت[ر Duns Scotus.] هذا وقد رسَّمت الكنيسة الأكويني قديساً وأعلنت تعاليمه مذهباً فلسفياً رسمياً لها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر.

وظهرت في الوقت نفسه حركة قوية مناهضة للمدرسية مثلّها في جامعة باريس أتباع أرسطو الأشد تطرفاً، وهم الرشديون اللاتينيون الذين أخذوا بتأويلات ابن رشد، وتزعمهم سيجر البرابانتي[ر Siger of Brabant]، ووصلوا إلى نتائج فلسفية مناهضة للدين.

ومع تطور الدين في القرن الثالث عشر، وتطور المدن والحرف والتجارة والطرق التجارية والاتصالات مع الشرق التي أقامها الصليبيون، نهضت الفلسفة، فتعين على فلاسفة العصر الوسيط أن يتعرضوا لمشكلة الكليات، فظهرت النزعة الواقعية والمذهب الاسمي، وكان النزاع حول الكليات بارزاً في الفلسفة الاسمية التي كان من أبرز ممثليها - في الفترة المتأخرة من القرن الرابع عشر [وليام الأوكامي[ر William of Ockham] - وأتباعه من المدرسة الأوكامية الباريسية، فقد استطاع بمذهبه الاسمي أن يصل بالفلسفة إلى نقطة للبداية ذات طابع تجريبي منطقي.

ومع إطلالة القرن الخامس عشر بدأ يظهر تيار جديد يسعى مفكروه إلى إحياء الآداب اليونانية والرومانية القديمة، فظهر المذهب الإنساني في عصر النهضة[ر]، ثم توالت المحاولات حتى القرن

التاسع عشر الذي شهد فترة إحياء كبيرة للفلسفة المدرسية، وحدت بين المدارس المختلفة للفلسفة الكاثوليكية، فظهرت الفلسفة التوماوية الجديدة والمدرسة الأوغسطينية الأفلاطونية والمدرسة الفرنسيسكانية وغيرها.

سوسن بيطار

(الفلسفة في القرن العشرين (ألمانيا

German Philosophy in the 20th century تميزت الفلسفة الألمانية في القرن العشرين بأنها «فلسفة تحليل» . فثارت على «المطلق» وعلى الجدل الروحي، ونبذ مبدأ التوحيد [بين الفكر والواقع، فكانت في جوهرها مجرد ثورة على هيغل]ر G.W.F.Hegel.

، Neo-Kantianism وشهدت تلك الفترة، إلى جانب انتشار الكانتية (الكانطية) الجديدة ، Neo-Positivism [ميلاد تيارين فلسفيين جديدين: تمثل الأول في الوضعية الجديدة]ر ، وإن كان يُعد في الوقت نفسه امتداداً existentialism [وتمثل الثاني في الفلسفة الوجودية]ر إلى جانب تضمنه لعناصر فينومينولوجية life philosophy للفلسفة الحياتية وقامت مدارس فلسفية أخرى .metaphysical وميتافيزيقية phenomenological كان لها مفكروها الذين دأبوا على تطوير آرائها، ولاسيما في الميتافيزيقا التي رفع لواءها مفكرون Neo- ، وكذلك التومائية المحدثة Nicolai Hartmann كبار من أمثال نيكولاي هارتمَن التي قامت على تعاليم الفلاسفة الكاثوليكيين الخلص أمثال جوزيف Thomism ما بين J.Geyser لما بين (1811 -1893) وجوزيف غيسر J.Kleutgen كلويتغن ما بين (1859 - Husserl (1869 -1948)، والفينومنولوجية التي أسسها هوسرل عند Bergsonism 1938)، والفلسفة الحياتية التي تجلّت في ظهور آخر أطوار البرغسونية ما بين (1880 -1946)، Hermann Keyserling الفيلسوف هرمان كيسرلينغ ومدرسة علم النفس التجريبي التي أسسها الفليسوف المثالي، وعالم النفس الفسيولوجي الألماني ما بين (1832 -1920)، حينما أنشأ Wilhelm Max Wundt ڤ لهلم ماكس ڤ ونت

أول معهد لعلم النفس التجريبي عام 1879 في لايبتزيغ، وقدّم مفاهيم فلسفية جمعت بين آراء وهيغل وغيرهم، فصاغ نظرية في Kant وكانت Leibniz [وليبنتزار Spinoza [اسبينوزاار المعرفة (المعرفة بالعقل) وهو موضوع الميتافيزيقا التي تجاوزت عنده ثنائية العلم الطبيعي وعلم Frankfurt school [النفس وحققت امتزاج المادية بالمثالية. وكذلك مدرسة فرانكفورتار T.Adorno وأدورنو M.Horkheimer التي كان أهم مؤسسيها ماكس هوركهايمر وغيرهم، فأنشؤوا معهد الدراسات الاجتماعية E.Fromm ، وفروم H.Marcuse وماركوزه .التابع لجامعة غوته في مدينة فرانكفورت على الماين

.وقد ذاع صيت هذه التيارات والمدارس الفلسفية الألمانية في القرن العشرين إلى حد كبير

الكانتية (الكانطية) الجديدة

، ظهر في ألمانيا في النصف Neo-Criticism «وهي تيار مثالي، ويدعى أيضاً «النقدية الجديدة ، وكان يسعى إلى تطوير Kant [الثاني من القرن التاسع عشر تحت شعار «العودة إلى كَانت»ار العناصر المثالية والميتافيزيقية في فلسفة كانت. وقد وجد هذا التيار تعبيره الكامل في مدرستين ، وتضم Baden School ومدرسة بادن Marburg School ألمانيتين: مدرسة ماربورغ ، ومدرسة غوتنغنFreiburg ومدرسة فرايبورغ Heidelberg مدرسة هيدلبرغ والمدرسة الأولى تولي اهتماماً خاصاً لتفسير مثالي للمفاهيم الموضوعية العلمية .Göttingen وللمقولات الفلسفية، التي تعدّها بمنزلة بناءات منطقية. وكان دعاتها الرئيسيون: نيكولاي ما بين (1842 -1918)، وباول Hermann Cohenهارتمن، وهرمن كوهن

يعتقدون أن E.Cassirer ما بين (1854 -1924)، وإرنست كاسيرر P.Natorpناتورب الفلسفة لا توفّر معرفة بالعالم، ولكنها تكون فقط منهجاً للبحث ومنطقاً مماثلين لمنهج بحث العلوم الخاصة ومنطقها. وقد أنكروا الواقع الموضوعي وحاولوا فصل المعرفة عن المعطيات الحسية. وعدّوا الإدراك عملية منطقية خاصة لتكوين المفاهيم. وأهمها ما يسمى «مبدأ الإلزام» الذي مدّت المدرسة نطاقه إلى علم الاجتماع أيضاً. وكان أتباع مدرسة ماربورغ ينكرون أن قوانين التطور الاجتماعي موضوعية وعدّوا الاشتراكية ظاهرة أخلاقية ليس إلا، وكذلك «مثلاً أعلى أخلاقياً» فوق الطبقات. وكان منظّرو مدرسة ماربورغ يطالبون بدعم الماركسية بالكانتية، وجرّدوا الشيوعية العلمية من مضمونها الاقتصادي والسياسي.

أما المدرسة الثانية: مدرسة بادن، فكان تأثيرها كبيراً في الفكر الألماني في القرن العشرين، بفضل Wilhelm [أساتذة جامعتي هيدلبرغ وفرايبرغ (وكلاهما في إقليم بادن) فيلهلم فندلباندر Windelband وقد ركّزت المدرسة انتباهها على .Heinrich Rickert [وهاينرش ريكرت تبرير التناقض بين العلوم الطبيعية والاجتماعية على أساس المذهب الكَانتي (الكانتي) في العقل العملي والعقل النظري، وعلى أساس السعي إلى إظهار استحالة المعرفة العلمية للظواهر الاجتماعية. وقد عارضت المدرسة المنهج التاريخي بالمنهج العلمي الطبيعي، وعدّت التاريخ علم الوقائع الفردية للتطور، والتي لها قيمة حضارية. أما العلم الطبيعي فهو دراسة قوانين الظواهر الطبيعية التي تكوّن نفسها، والتي هي ظواهر عامة. ولا يشكل أي من هذين المفهومين انعكاساً للواقع. فالعلم الطبيعي هو إدراك العام والتاريخ إدراك الفردي. ومدرسة بادن - محتذية حذو كانت - تضع الوجود نقيضاً للضرورة. ويرتبط إنكار قوانين التاريخ - وهو سمة مميزة لهذه المدرسة H.Müensterberg - بفلسفة القيم[ر]. وقد طوّر هذه النظريات هوغو مونستربرغ ما بين (1875 -1915). وطبقها على E.Laskما بين (1863 -1916)، وإميل لاسك

Max [وعلى علم الاجتماع أيضاً ماكس فيبر Cohen. علم الجمال هرمن كوهن ويجري تطوير أفكار مدرسة بادن في علم الاجتماع الألماني الحديث بروح من الذاتية Weber. والإرادية الشاملة التي تتعارض مع الماركسية. ويتزعم هذه المدرسة في علم الاجتماع في ألمانية الغربية يوهان ريتر J.Ritter (ما بين 1776 - 1810).

وتمارس الكانتية الجديدة نفوذها اليوم من خلال مدارس فكرية عديدة أخرى، صنفها المؤرخون وعرفوها بحسب اتجاهاتها، وقد ذاع صيتها في ألمانيا أمثال المدرسة أو الاتجاه الفيزيولوجي، الذي تزعمه «هرمن هلمهولتس Helmholtz. (ما بين 1821 - 1894)، و«فريدريش ألبرت لانغه A.F.Lange» (ما بين 1828 - 1875)، وهي مدرسة فسرت الصور الكَانتية بحسبانها «حالات فسيولوجية. والمدرسة أو الاتجاه الميتافيزيقي، الذي مثله «أوتو ليبمان O.Liebmann» (ما بين 1848 - 1930)، وهي J.Volkelt (ما بين 1840 - 1912) و«يوهانس ڤولكلت مدرسة اعتقدت بإمكانية قيام ميتافيزيقا نقدية. والمدرسة أو الاتجاه الواقعي، الذي تزعمه ما R.Honigswald» (ما بين 1844 - 1924) و«هونيغسڤالد ألويس ريل A.Riehl» بين (1875 - 1947). والمدرسة أو الاتجاه الأخلاقي الذي تزعمه فيلهلم فيندلباند، وهاينرش ما G.Simmel ريكرت، وهوغو مونستربرغ. والمدرسة أو الاتجاه النسبي الذي تبناه غيورغ زيمل L.Nelson بين (1858 - 1918)، والمدرسة أو الاتجاه النفسي الذي مثّله ليونارد نيلسون ما بين (1863 - 1947). والمدرسة أو الاتجاه المنطقي H.Kornelius» وهانس كورنليوس وكان أهم ممثليه هرمن كوهن وباول ناتورب وكاسيرر.

New Positivism [الوضعية الجديدة]

شهدت ألمانية في القرن العشرين إثر انتشار النزعات التحليلية في مضمار التفكير الرياضي وجون استيوارت ملّ D.Hume حركة وضعية محدثة، كانت بمنزلة امتداد لتجريبية هيوم ما R.Carnap [، تزعمها الفيلسوف الألماني رودولف كارناب[E.Mach ، وماخJ.S.Mill بين (1891 -1970)، ودعا زملاءه إلى فلسفة علمية، تكون مهمتها توحيد العلوم الخاصة، وتخليص الفلسفة نهائياً من كل أسباب اللبس والغموض عن طريق اصطناع منهج «التحليل المنطقي»، والعمل على ربط اللغة بالتجربة ربطاً علمياً، وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية.

ما بين (1891 -1953) واحداً من منظمي H.Reichenbachكما يعد هانس رايشنباخ جمعية الفلسفة العلمية في برلين، التي كونت مع جماعة فيينا[ر] الأساس لحركة الوضعية المنطقية.

phenomenalism [الفينومينولوجيا[ر

وقد .E.Husserl أو فلسفة الظواهر وهو تيار جديد أسسه الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل أُلقيت على عاتق هذه الفلسفة مهمة إضفاء شيء من الواقعية على المبادئ الأساسية للمثالية الذاتية، لكن دون المساس بجوهرها. وتتلخص أفكار هوسرل بأنه لا علاقة للفلسفة بالعالم المحيط، ولا بالعلوم التي تدرسه، ومهمتها تنحصر في دراسة ظواهر الوعي فقط، وأن ظواهر الوعي ليست نفسية، وإنما هي ماهيات مطلقة، مستقلة عن الوعي الفردي، وموجودة في هذا الوعي، لا

وجود لها خارجه. وهذه الماهيات لا تدرك بالذهن والتفكير المجرد، وإنما يتم الوصول إليها بالمعاناة المباشرة، ثم توصف، كما تبدو، حدسياً.

وقد أكد هوسرل ضرورة أن تكون الفلسفة علماً منطقياً، بالمعنى الدقيق للكلمة، وأن تكون مبادئها تعيينية مطلقة، كقوانين المنطق والرياضيات. فوقف ضد النسبية والريبية، مؤكداً وجود حقائق مطلقة، كما ألح على وجوب التفريق بين الفعل المعرفي بوصفه عملية نفسية تجري في وعي الإنسان، وبين محتوى هذا الفعل وقيمته. وحاول البرهنة على أن قوانين المنطق يقينية، وأن يقينها لا يتعلق بتلك العمليات النفسية التي تتم في وعي البشر.

existentialism [الوجوديةر]

ظهرت الفلسفة الوجودية في ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وقد تميز الجو السياسي والروحي الذي ترعرعت فيه بالأسى والحقد بعد الهزيمة العسكرية الألمانية.

ما بين (1889 -1976)، M.Heidegger وكان من أعلام هذه الفلسفة مارتن هايدغر ما بين (1883 -1965). وتعدّ الفلسفة الوجودية أحد أكثر K.Jaspers وكارل يسبرز تيارات الفلسفة الغربية المعاصرة انتشاراً، وقد جاءت بوصفها وريثاً شرعياً لأفكار برغسون ، واستعارت منهجها من فينومينولوجيا هوسرل، وأخذت Nietzsche ونيتشه Bergson وكان الوجود .Kierkegaard [أفكارها الأساسية من تعاليم المفكر الدنماركي كيركغاردر هو الموضوع الأساسي للفلسفة الوجودية.

metaphysics [الميتافيزيقا

تعد الميتافيزيقا أحد أهم تيارات الفلسفة الألمانية المعاصرة، وهو تيار يدّعي لنفسه أحقية تمثيل فلسفة الكينونة والتعبير عنها أكثر من غيره من التيارات الفكرية المعاصرة الأخرى. وقد اقتصر فلاسفة الكينونة على تحليل الكائن، ومهّدوا السبيل أمام القول بفلسفة في الطبيعة، ، إضافة إلى القول بعلوم أخرى. ويكمن الفارق بين هؤلاء anthropologism [وبأنثروبولوجيا الفلاسفة وبين غيرهم في أن الأنطولوجيا العامة والميتافيزيقا تُعدان أساساً لكل النظريات الفلسفية الجزئية.

ما بين (1882 -1950) واحداً من أكبر المفكرين N.Hartmann ويعد نيكولاي هارتمن الذين حدّدوا معالم الفلسفة الألمانية المعاصرة، وأحد رواد ميتافيزيقا القرن العشرين. ويتمثل فضله في دقة التحليل وبموهبته التي قلّما توجد عند غيره من الفلاسفة الألمان. وقد مارس مهنة التدريس بجامعتي ماربورغ وبرلين وغيرهما، وظل منتمياً إلى مدرسة ماربورغ الكانتية (الكانطية) الجديدة إلى أن نبذ نزعتها العقلانية الذاتية. وعلى الرغم من تأثره بأرسطو، إلا أنه لم ينج من تأثير الفينومينولوجيا وكانت وهيغل، ومع هذا فقد تحرر من ربقة فلسفات القرن التاسع عشر تماماً. وبنى على أساس الأنطولوجيا فلسفة للطبيعة وفلسفة للروح الموضوعية ومذهباً للأخلاق «ونظرية للقيم وعلم الجمال ونظرية للمعرفة. ووضع حولها كتب عدة أهمها: «فلسفة الأخلاق Ethik «عام (1926)، «أساس الأنطولوجيا Zur Grundlegungder der Ontologie «عام (1935)، «فلسفة الطبيعة Philosophie der Natur عام (1950)، «و«علم الجمال Asthetik (عام 1953).

Neo-Thomism التومائية المحدثة

وهي حركة تومائية تقدمية، راجت في منتصف القرن التاسع عشر في جامعتي مونيخ ومونستر Münster وأوتو غيير O.Geyer ، وبرز من أساتذتها مارتن غرابمان M.Grabmann وقد اتسمت بواقعيتها .J.Mausbach وجوزيف موسباخ G.M.Manser وغالوس مانسر التعقلية مقابل المثالية أو الظاهراتية الكانتية. فتطورت سريعاً، وانفتحت على العلم، وتهيأت [للحوار مع مختلف التيارات الفكرية المعاصرة، فتمسكت بجوهر فكر القديس توما الأكويني[ر ، وعملت على تجديده وإعادة كتابته بلغة حية معاصرة تلائم أفكار العصر. فقام Aquinas روادها بنشاط واسع لنشر فتاوى السلطة البابوية في الفاتيكان، وتمكنوا من تأويل اكتشافات .العلم المعاصر تأويلاً مثالياً دينياً

المذهب التاريخي والفلسفة الألمانية في الحياة

أولى الفلاسفة الألمان العلومَ الإنسانية، علم الاجتماع والتاريخ والحضارة، عنايةً خاصةً فاهتموا بدراسة التاريخ، ودراسة الصيرورة الروحية، فكان من أبرز فلاسفته نيتشه، وغيورغ زيمل، كما ما بين (1833 -1911) بفلسفة الحياة، والدراسات Dilthey [اهتم ڤـيلهلم دلتاي[ر ، فكان Historicity الروحية والفهم التاريخي وتفسيره، ووضع مبادئ ثلاثة لما أسماه بالتاريخية ما Manneheim [وتلميذه كارل مانهايم[ر Weber له تأثير كبير في نفس ماكس فيبر

«بين (1893 -1947) الذي وضع أهم كتبه «الأيديولوجية واليوتوبيا - الطوبى (عام 1929 Ideologie und Utopie).

أما الحركة الفلسفية الألمانية الأخرى في الحياة. وهي أقل اهتماماً بالتأريخ. فهي الفلسفة البيولوجية التي لا تنظر إلى الصيرورة بوصفها صيرورة تاريخية للذات، بل بوصفها تياراً جامعاً المولود في سنة L.Klages لعناصر حيوية بالمعنى الواسع للكلمة. ويُعد لودفيغ كلاغس 1872 من أهم مفكري هذه الحركة، ففي كتابه الرئيسي المسمى «الفكر خصم للروح» الذي صدر في الفترة ما بين 1929 -1932 في ثلاثة أجزاء، يسعى إلى بناء نظرية في اللاروحانية المتطرفة.

ما بين (1880 -1946)، Hermann Keyserling أما الكونت هرمان كيسرلينغ صاحب الكتاب الشهير «مذكرات رحلة فيلسوف» إضافة إلى عدد من المؤلفات الأخرى، فقد دعا إلى نظرية لا عقلية ذات صبغة برغماتية متطرفة.

ما بين (1880 -1936) أحد المهدين النظريين O.Spengler [ويُعد أوزفالد شبنغلر] للفاشية الألمانية، ففي مؤلفه الرئيسي «انهيار الغرب» (1918 -1922) سجلّ فلسفته في التاريخ، وقد لقي رواجاً بين المفكرين العقائديين للاستعمار، فقد مجدّ شبنغلر الروح البروسية القديمة. والحرب عنده هي الشكل الأبدي للوجود الإنساني، كما أنكر فكرة التقدم التاريخي وعارض بالقدرية النهج المادي للتاريخ، واعتقد أن الحضارة الغربية التي تبدأ من القرن التاسع عشر قد دخلت مرحلة الانهيار، وكان ازدهارها في عصر الإقطاع.

صالح شقير

(الفلسفة في القرن العشرين (إنكلترا

في القرن العشرين، آخر مراحل أطوار English philosophy تمثلت الفلسفة الإنكليزية الفلسفة البريطانية، بمذهب الواقعية[ر] المقابل للمثالية[ر]، والذي يؤرخ بدايته مع ظهور كتاب [تفنيد المثالية» (1903)، الذي ابتدع فيه منهج التحليل، وتابعه رسل[ر» Moore [جورج مور[ر في كتابه «مبادئ الرياضيات»، فصار المذهب الرسمي للفلسفة في بريطانيا بين Russell في كمبريدج، وحتى في أوج المثالية في Owing وأوينغ Broad الحربين، وواصله برود ما بين Thomas Keesأكسفورد كان هذا المذهب قائماً بفعل كتابات توماس كيس 1925- 1844)).

فمنذ الثلاثينات بدأ يظهر في إنكلترا ضرب جديد من الوضعية المنطقية[ر]، عرف باسم الفلسفة اللغوية. وقد لاقى هذا التيار انتشاراً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة في جامعتي أكسفورد وكمبريدج. فتميزت الفلسفة الإنكليزية بأنها تحليلية لغوية معادية للميتافيزيقا، علماً أنه لم يكن في أولها مبادئ تعارض الميتافيزيقا. ووفّق كل من مور ورسل في القضاء على خاصة في الفلسفة F.H.Bradley هيمنة الفلسفة المثالية الألمانية عامة ومثالية برادلي الإنكليزية. وذاعت آراؤهم في أمريكا خاصة، واتفقت إلى حد ما مع آراء البراغماتيين الأمريكيين وكان التحليل في رأيهما سواء تم .W.James [ووليم جيمس[ر Pierce من أمثال بيرس بالمنطق الرمزي أم باللغة العادية، هو الأداة الوحيدة لتوضيح المشكلات الفلسفية وحلها، وبهذا Alexanderفقد مهدا الطريق للثورة الحقيقية التي تولاها غيرهما، أمثال صامويل ألكسندر ما بين (1893 -1962)، Andersonما بين (1859 -1938) وتلميذه جون أندرسن

ما بين (1861 -1947)، وتزعمها بحق Alfred N.Whitehead وألفرد نورث وايتهد الذي كانت لفلسفته أعمق الآثار حتى اليوم في L.Wittgenstein [لودڤيغ فتغنشتاين]ر التقليد البريطاني، وكان كتابه المبكر «الرسالة المنطقية الفلسفية Tractatus Logico-Philosophicus, عام (1922)؛ أكبر تعبير عن الذرية المنطقية التي توصل إليها هو ورسل. عام (1953)؛ Philosophical Investigations «ثم كتابه المتأخر «أبحاث فلسفية الذي تخلى فيه عن فكرة اللغة المثالية التي دافع عنها في كتابه الأول، وعرض فيه أفكاره الجديدة في التحليل اللغوي وكانت له أصداؤه على الفلسفة المعاصرة.

وقد حاول عدد من الفلاسفة الإنكليز الذين تأثروا بمور ورسل الأخذ بالتحليل الفلسفي، ورفض المثالية لتحقيق الهدف المحدود الذي رسمته جماعة ڤيينا[ر]، مدفوعين بفلسفة ڤتغنشتاين، وهو تخليص الفلسفة من المبهمات الميتافيزيقية والاعتبارات الأخلاقية، التي تنشأ عن الجهل بمبادئ الرمزية وسوء استخدام اللغة، فمهمة الفلسفة اللغوية توضيح اللغة والأفكار منطقياً، وتحليل الإطارات المعرفية. ومن أشهر ممثلي هذا التيار اللغوي آير[ر] Ayer في كتابه «اللغة والصدق والمنطق»، وكارل بوبر[ر] Karl Popper في كتابه «منطق الكشف العلمي».

وقد اختلف الفلاسفة فيما بينهم حول اللغة موضوع التحليل، فركّز بعضهم أمثال رسل وڤتغنشتاين في مرحلته المبكرة، وأيضاً كارناب Carnap على تأسيس أنساق لغوية جديدة (أنساق رمزية رياضية)، وهؤلاء عرفوا بالوضعيين المناطقة، واهتم فلاسفة اصطناعية artificial) بتحليل اللغة الطبيعية Austin آخرون أمثال مور وڤتغنشتاين (المرحلة المتأخرة) وأوستن التي تستخدم في عملية التواصل، وبالمقابل اتفق natural ordinary language العادية الفلاسفة جميعاً على أن الفلسفة في حقيقتها ذات طبيعة لغوية، وأنه يمكن عدُّ القضايا

الفلسفية قضايا لغوية محضة. فبدلاً من دراسة السؤال الأبدي «ما هي الحقيقة؟» مثلاً يجب دراسة استعمال كلمة «حقيقة» وكيفية مصادفتها في جمل اللغة الإنكليزية، ومعالجة الكلمات والعبارات كافة التي تثير المشكلات. فتميز في إنكلترا بين عامي 1945 و1959 نوعان من الفلسفة التحليلية اللغوية، الأول وهو المذهب الخالص الذي طرحه ڤتنغشتاين في أواخر أيامه في كتابه «أبحاث فلسفية»، وهو تيار التحليل اللغوي، والثاني فلسفة أكسفورد في اللغة العادية .وجون أوستن Ryle [التي كان داعيتها الأكبر غيلبرت رايلر

ومن أهم فلاسفة التحليل اللغوي الذين تأثروا بڤتغنشتاين، فلاسفة كمبريدج آرثر جون ، ولكن بعد موته انتقل الاهتمام إلى فلاسفة أكسفورد، Boole ، وجورج بولWisdom ويزدَم .Strawson وستراوسن Quinton وأهمهم إضافة إلى رايل وأوستن، كوينتن

وقد راد ڤتغنشتاين الحركة الإنكليزية للتحليل اللغوي، فبدأ رسلياً وانتهى موريا، ووافق رسل في نظريته الذرية المنطقية، فرفض الميتافيزيقا واعتبر قضاياها عديمة المعنى وعقيمة، لأنها ليست تجريبية ولا تحصيل حاصل، وهذا ما تبناه فيما بعد تيار الوضعية المنطقية، على الرغم من أن ڤتغنشتاين لم يكن أبداً عضواً في جماعة ڤيينا، لكنه بمرحلته الأخيرة، وبتأثير من مور شدّد لا العلمية (كما جاء في رسالته المنطقية ordinary language على تحليل اللغة العادية الأولى 1921). فقد أيقن أن المشكلات الميتافيزيقية تأتي نتيجة الإخفاق في فهم كيفية توظيف .linguistic anxiety اللغة، وهذا ما أسماه القلق اللغوي

أما جون ويزدَم، وبسبب اهتماماته الدينية، لم ير أن قضايا الميتافيزيقا فارغة من المعنى، بل حاول فهم العيب الذي من أجله يشعر الفيلسوف الميتافيزيقي بضرورة التحدث بأساليبه اللغوية

الشاذة، لهذا ركّز على التماثلات غير الكاملة بين الأنواع المختلفة للعبارات، بغية حل المسائل الميتافيزيقية، فأضاف بعداً جديداً إلى التحليل اللغوي، وهو بعد التحليل النفسي في كتابه «الأصل اللاشعوري في فلسفة بركلي» (1953) لأنه كفيل بالكشف عن الأسس الشعورية التي تقوم عليها الميتافيزيقا.

وقد توافق رأي رايل مع ڤتغنشتاين، بأن العبارات الميتافيزيقية عبارات مضللة، وخالية من المعنى، ولهذا عزا للفلسفة التحليلية وظيفتين: أولهما علاجية والثانية لكشف الصورة الحقيقية للوقائع، وعليه بيّن أن الثنائية بين العقلي والطبيعي إنما هي ناشئة عن اضطراب في الألفاظ قد أخطأ في الترويج لهذه الثنائية[ر]، وقد Descartes [الخاصة بما هو عقلي، وأن ديكارت[ر استخدم رايل منهج التحليل اللغوي في بيان «فساد مفهوم الثنائية».

وعزز أنتوني كوينتن ما جاء في كتاب رايل «صور العقل»، وعدّه مرجعاً قيماً في الفلسفة اللغوية مدة ما بين 1945 -1960، بسبب طرحه أفكاراً مقتبسة من أعمال ڤتغنشتاين المتأخرة، تعبر عن فلسفة العقل وكيفية استخدام اللغة.

ووجد ستراوسن، أن من منافع التحليل اللغوي، كشف أخطاء كثير من المشكلات الفلسفية التقليدية، والكشف عن التفكير الفعلي والأدوات التصويرية واللغوية الفعلية. لهذا سعى في كتابه «الأفراد» إلى تحليل اللغة العادية لبيان كيفية التوصل إلى نتائج عامة تخص العالم. والواقع أن تحليله كان أوسع أفقاً من رايل لأنه لم يساير ڤتغنشتاين في رفض الميتافيزيقا البتة، وإنما اتفق مع مور في إمكانية نوع منها، فلا يوجد في نظره تناقض حقيقي بين التحليل اللغوي

وبين نوع معين من الميتافيزيقا، إذ ميّز بين نوعين من الميتافيزيقا: ميتافيزيقا وصفية descriptive ، وميتافيزيقا تعديلية revisionary.

وأخيراً أوستن الذي أكد أهمية اللغة، والتمييزات النحوية المركبة في الإنكليزية: دراسة النحو عامة من الناحية الفلسفية. وبرأيه أن الوقت لم يحن للتأمل الفلسفي، ولابد أولاً من استيعاب كيفية عمل اللغة الطبيعية قبل محاولة حسم المشكلات الفلسفية، ويجب عدم النظر إلى اللغة ظاهرة منعزلة في حالة تجريد عن سياقها السلوكي الإنساني، فالأسلوب الذي يتبعه بعض الفلاسفة في تناولهم القضايا بمعزل عن السياقات العملية هو مصدر متاعبهم.

ويؤكد كوينتن ضرورة تركيز علم اللغويات على ظاهرة اللغة البشرية، وهذا ما كان يهدف إليه تشومسكي Nodm Chomsky في كتابه «البنيات التركيبية Syntactic Structures» عام (1957) بتقديم نظرية لغوية عامة تنقل علم اللغة من المرحلة الوصفية إلى المرحلة التفسيرية أو النظرية.

أحدثت الفلسفة الإنكليزية ثورة في الفلسفة، ومن شأن تحديد مجال الفلسفة بتحليل اللغة توجيه ضربة قاضية ليس فقط للأبحاث الميتافيزيقية التقليدية، بل أيضاً للدين، لأن الدين ينطوي على علم اللاهوت، وعلم اللاهوت نوع من الميتافيزيقا. لقد استعاضت الفلسفة اللغوية عن العالم الموضوعي بما يقال عنه، فطابقت بين التفكير واللغة.

سوسن بيطار

فلسفة القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية

دائماً بأنها فلسفة براغماتية American philosophy تميزت الفلسفة الأمريكية ، على الرغم من أنها كانت باستمرار فلسفة مستقبلة لكل التيارات الفلسفية pragmatism إلى الطبيعية idealism والمثاليةPuritanism [الأوربية، من التطهرية[ر. البوريتانية ولم تعرف أمريكا البراغماتية بشكلها الصحيح إلا في .positivism والوضعية naturalism أواخر القرن التاسع عشر، لكن التاريخ الأمريكي يحفل بالدلالات التي تشير كلها إلى تغلغل المنهج البراغماتي في التجربة الفلسفية الأمريكية، فما كان من الممكن لأسلوب الحياة الأمريكية وتتابع الهجرة وما كانت تفرضه الحياة الجديدة على السكان إلا أن يطرح هذا النمط من التفكير. وحتى في عصر الاستعمار البريطاني، اتجهت أمريكا إلى مذهب المتطهرين، لأنه يناسب الفردية الأمريكية، فالخلق التطهري (البوريتاني) يدعو إلى النظام والاقتصاد والإقبال على .العمل، وكلها قواعد للسلوك الصناعي العملي، لها مزاياها في المجتمع الأمريكي النامي

Edward ومع ذلك قويت به آنذاك نزعتان: النزعة اللامادية، ويمثلها جوناثان إدوارد أو قدرية Calvinistic ، وكانت نزعة كالفينيةJohnson وصامويل جونسون وبنيامين Golden ، ويمثلها كادولودر غولدنmaterialistic ؛ والنزعة الماديةfatalistic ، وكلاهما من المؤمنين بفلسفة نيوتن[ر] الطبيعية، والتفسير الميكانيكي Franklin فرانكلين التي تؤمن بالله Deism الخالص للعالم. وتفوقت النزعة المادية، وارتبطت بها نزعة الربوبية بغير اعتقاد بالديانات المنزلة. لكن إعلان الاستقلال والثورة الفرنسية أحدثا رد فعل ضد هذه الآراء الليبرالية، ورفض الجنوب مذهب الحقوق الطبيعية الذي دعا إليه جفرسون، وعارض

وقال إن عدم المساواة شرط للتقدم، وعرفت Jefferson مساواة جفرسون Calhoun كالهون المسماة الواقعية الاسكتلندية، التي تنادي بسيادة realism [تلك الفترة مذهب الواقعية]ر العقل وبالمنهج الاستنباطي في التفكير، وواكبتها حركة فلسفية أخرى تعرف بالترانسندنتالية تناهض التشاؤم الكالفيني وتدعو إلى التفاؤل، مضمونها مثالي transcendentalism أخلاقي أكثر منه تأملياً، ورغب الترنسندنتاليون بتحرير الفرد من التقاليد والعادات، واتباع ضميره وبصيرته الشخصية.

وكانت نظرية الارتقاء لداروين[ر] نقطة تحول في الفلسفة الأمريكية، أحالت فكرة الطبيعة من نظام ثابت، من الحقيقة الأزلية إلى واقع متغير باستمرار تغيراً دينامياً، وشجعت التفسيرات العلمية في غير العلوم الطبيعية، وقوضت سيطرة الفلسفة المثالية على الفكر الأمريكي، ومهدت في الفلسفة experimentalism لإدخال التجريبية.

بيد أن العصر الذهبي، كما يسمونه في الفلسفة الأمريكية، كان الفترة الواقعة ما بين سنوات 1880 إلى 1940، بسبب ظهور عدد من المفكرين والحركات الأصيلة في الفلسفة. وكان أهم مفكري ذاك العصر بيرس Peirce وجيمس James وديوي Dewey وروويس Royce ، وكانت البراغماتية والواقعية والطبيعية Whitehead ووايتهد Santayana وسانتَيانا أهم حركاته الفلسفية. وبيرس هو أبو البراغماتية، وصفها بأنها منهج للتيقن من معاني الكلمات الصعبة والمفاهيم المجردة، لكن جيمس طور فكرة بيرس ووصف البراغماتية بأنها لا تحدد معاني الكلمات فقط، لكنها كذلك نظرية للتيقن من صدق الواقع، لكن ديوي وصف تفسير [بيرس بالجمود، وتفسير جيمس بالذاتية، وأقام نوعاً من البراغماتية أطلق عليه اسم الذرائعية]ر ، ووصفها بأنها منهج لاستخلاص النتائج النهائية التي ينبغي التوصل instrumentalism

إليها، لو أخذ في الحسبان كل ظروف المشكلة مثار التفكير. ووصف ديوي التفكير الذرائعي بأنه نوع من التكيف لتحديات البيئة. وكانت أهم إسهامات البراغماتية تقويضها مفاهيم الميتافيزيقا التقليدية، ولذلك تعاطف بيرس وجيمس وديوي مع الواقعية ضد المثالية، وكانت الواقعية مذهباً جديداً أخذ يروج في أواخر القرن العشرين، لكنه تطور إلى حركتين، الواقعية المحدثة ، وكان المحدثون يقولون إن الشيء critical realism والواقعية النقدية new- realism المعلوم له وجوده المستقل، لكن النقديين قالوا إن الإدراك لا يكون للشيء نفسه، لكنه إدراك لمعطيات قد لا تكون أجزاء أو أوصافاً للشيء.

، وميزوا أنفسهم لكونهم حركة. Montague ومونتاغ Perry وتزعَّم الواقعية المحدثة بيري لكن الواقعية .Sellars وسيلارز Lovejoy وتزعم الواقعية النقدية سانتيانا ولفْجوي برافديها توقفت عن أن تكون تياراً مؤثراً بعد عام 1935، وغطّت عليها الفلسفة الطبيعية التي استمرت من العصر الذهبي حتى الوقت الحاضر، مع اختلاف في المضمون والشكل. فالطبيعية القديمة اهتمت بتفسير الظواهر بمسبباتها الطبيعية، وتطور هذا المعنى بوساطة ديوي واتخذ مفهوماً جديداً هو دراسة الظواهر دراسة منطقية تجريدية تحتوي الظاهرة بأكملها طبيعية كانت أم شعورية أم اجتماعية أم من أي نوع كانت، دراسة لا تفرق بين ظاهرها وباطنها ولا بين العقل والجسد. ورفض الطبيعيون مطالب الدين التقليدية، لكنهم لم يكونوا جميعاً ضد الدين، وفرّق ديوي مثلاً بين الدين والصفة الدينية للتجربة، وقال إن الصفة الدينية وحدها شيء له معنى، وإن الإنسان يعي مثله ومطامحه العليا بالتجربة الدينية، وإن الله ليس إلا غايات مثالية وقيماً يخلص المرء لها إخلاصاً كاملاً، ولذلك كان أغلب الطبيعيين إنسانيين، بمعنى أن الإنسان وما يحتاجه ويريده هو أساس القيمة.

ومن الصعب تحديد تاريخ انتهاء العصر الذهبي للفلسفة الأمريكية، فما زالت بعض نظرياته تطرح للمناقشة حتى اليوم، ومع ذلك ما تزال بعض الاتجاهات الفلسفية البارزة حاضرة في المشهد الفلسفي الأمريكي المعاصر، فلا يمكن الإنكار أن التحليل الفلسفي بشقيه - الوضعية المنطقية[ر] والفلسفة اللغوية - قد صار هو الاتجاه السائد في أمريكا اليوم. وقد بدأت الوضعية المنطقية، الأوربية المنشأ، تفعل فعلها في الفكر الأمريكي منذ الثلاثينات، وربما كان مرجع ذلك هروب أقطابها اليهود من ألمانيا والنمسا بعد تولي النازية الحكم، واستقرارهم في أمريكا، ومنهم R.von Mises ، وريتشارد فون ميزِسFrank كارناب[ر]، ورايشنباخ[ر]، وفيليب فرانك ، والجميع غايتهم Tarski ، وألفرِد تارسكيHempel ، وكارل هيمبلFeigl وهربرت فايغل إصلاح الفلسفة بهدف جعلها وسيلة صالحة لتحليل المعاني وتوضيحها، ومن ثم تنقية اللغات الحية وجعلها وسيلة التفاهم المثلى. ومنهجهم في هذا مبدأ القابلية للتحقيق، فالجملة لا تكون ذات معنى إلا إذا كانت ممكنة التحقيق تجريبياً، ومن ثم فكل جمل القضايا الرياضية والمنطقية .وجمل الميتافيزيقا لغو لا مبرر له وحشو بلا معنى، لأنها جميعاً غير قابلة للتحقق منها

فمن المؤكد أن بعض فلاسفة اللغة العادية الذين انطلقوا من نظرية القواعد التوليدية ، حاولوا على ضوء هذه النظرية أن يجدوا Chomsky والتحويلية التي وضعها تشومسكي حلولاً لبعض المشكلات الفلسفية العالقة، خاصة تلك المتعلقة بتحليل القضايا. فقد وضح في مؤلفه «فلسفة اللغة» كيفية تطبيق علم الدلالة التوليدية على تصنيف J.Katz كاتس القضايا في تحليلية وتركيبية، صادقة وصحيحة. لكن المرحلة الأخيرة من تطور اللسانية التوليدية والتحويلية أدت، بغرض تلافي الدلالية، إلى ضرورة الاعتماد على بنية مجردة ذات .صياغة قريبة من تلك التي تأخذ بها الوضعية المنطقية

وبذلك اتهم فلاسفة التحليل اللغوي بالتفاهة، وبأنهم أحالوا الفلسفة إلى تمرينات لغوية [وڤتغنشتاين]ر G.E.Moore [عديمة الجدوى. وشمل الاتهام مور]ر

ومع أن اتجاهاتهم كانت صدى .Austin وجون أوستن Ryle ورايلL.Wittgenstein للاتجاهات المماثلة في أوربا، إلا أن مذاهب أخرى راجت في أوربا ولم ترج في أمريكا، مثل الظاهراتية Marxim. [والماركسية]ر Thomism [والتومائية]ر. الأكويني phenomenology

سوسن بيطار

الفلسفة اليونانية القديمة

إحدى أشهر فلسفات العالم القديم إلى جانب Greek philosophy الفلسفة اليونانية الفلسفة الهندية والصينية، وذلك لوصول عدد كبير من أصولها إلى أيدي المؤرخين المعاصرين، إضافة إلى تعصب بعض الأوربيين المعاصرين لها بوصفها أوربية المنشأ. ويعزو الأوربيون تفوق الفلسفة اليونانية على غيرها - من وجهة نظرهم - إلى الحرية الفكرية التي تمتع بها .الإغريق عامة، قياساً على غيرهم من الأمم التي قيدتها فكرياً مفاهيمها الدينية الغامضة

ويقسم المؤرخون المعاصرون الفلسفة اليونانية زمنياً إلى مراحل ثلاث: مرحلة الفلسفة القديمة (القرن 7 -6ق.م) ومرحلة الفلسفة الكلاسيكية (القرن 5 -4ق.م) ومرحلة الفلسفة الهلنستية (القرون الثلاثة السابقة للميلاد). وتشير المعلومات التي استقاها المؤرخون من وثائق الفلسفة اليونانية القديمة إلى أن فلاسفة تلك المرحلة حاولوا اكتشاف التركيب الأساسي للأشياء المادية والمعنوية في الطبيعة في إطار الواقع الذي يعيشه الإنسان، مع استبعاد كل ما له علاقة بالسحر والخرافات وتفسير الديانات القديمة لماهية الكون، والتي عدّها فلاسفة تلك الفترة مصادر معلومات غير موثوقة أو سطحية جداً، وبذلك جاءت دراساتهم معتمدة على التفكير في معطيات الطبيعة البشرية والظواهر الطبيعية المحيطة ومحاولة معرفة الجوهر الكامن وراء المظهر. ولأن فلاسفة المرحلة القديمة لم يؤمنوا بوجود الآلهة أو أي مخلوقات ذات قوى فوق الطبيعة لتحريك الأحداث والظواهر، فقد نجحوا في إعطاء عدد من الأجوبة المنطقية والمقنعة لمسائل الفلسفة وبعض العلوم، وبما أنه لم تتوافر لديهم آنذاك تقاليد فلسفية ينطلقون منها في

بحوثهم، فقد تحولت نتائج أبحاثهم في هذه المسائل إلى أسس استند إليها فلاسفة العصور اللاحقة.

[ر طاليس] Thales [ويعد المهندس الملطي (القرن السابع ق.م) أول فيلسوف يوناني، ويعزى إليه عنايته بتفسير ثلاث ظواهر طبيعية بعيداً عن التفسيرات الميتافيزيقية، منها ظاهرة المغنطيسية [وظاهرة فيضان نهر النيل وظاهرة كسوف الشمس. ويليه زمنياً تلميذه أنكسيمندر[ر الملطي (610 -547ق.م) الذي عمل في جغرافية المكان والإنسان وحاول Anaximander الربط بينهما، وعمل في تفسير نشوء الإنسان وظواهر الطبيعة بعيداً عن العلل الغيبية والأساطير. وتجلى تأثير فلسفة طاليس وتلميذه في قيام مدرسة حملت اسم مدينتهما ملطية وأدت إلى إنجاز أفكار علمية جديدة فتحت مجالاً رحباً لتقدم العلوم العامة والتطبيقية، فظهر في ما بين (469 - Hippocrates[الطب عدد من أبرز أطباء التاريخ على رأسهم أبقراط[ر القرن السادس) وعدد) Pythagoras [399ق.م)، وعدد من الرياضيين، أبرزهم فيثاغورس[ر .(القرن الخامس قبل الميلاد) Heraclitus [من فلاسفة اللغة والوجود أبرزهم هيراقليطس[ر

[ر سقراط] Socrates [ويقدم مؤرخو الفلسفة على أنه مؤسس المدرسة الكلاسيكية في الفلسفة اليونانية مع أنه لم يخلف أثراً مكتوباً في حياته، وقد تمحور فكره في عدد من المحاورات والمناظرات التي قدمها تلميذه أفلاطون. ويعزى إلى هذا الفيلسوف الذي كان يعلّم تلاميذه في الأسواق العامة وملاعب الرياضة محاولته إيجاد تعريفات دقيقة لبعض المفاهيم التجريبية كالمعرفة والفضيلة والعدل والحكمة، وذلك بطريقة ابتكرها عرفت بطريقة التهكم والتوليد. ومن محاوراته تلك يمكن تبين الأسس الأولى للمذهب المثالي أو الأخلاقي الذي قدمه سقراط ما بين Cicero[للحضارة العالمية، والذي عرّفه الفيلسوف الروماني المشهور شيشرون[ر

(106 -43ق.م) بأنه مذهب أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وجعلها تسوس أفعال البشر منطلقاً من عبارة معبد (دلفي)[ر] الشهيرة (اعرف نفسك)؛ تلك العبارة التي اعتمدها سقراط شعاراً لفلسفته الأخلاقية التي انصرفت إلى دراسة موضوعين رئيسيين هما: النفس البشرية والتصورات الأخلاقية المطلقة، وترجمها فعلياً في قبوله حكم الإعدام الصادر بحقه بتهمة معاداة .الديموقراطية وإفساد عقول الشباب الأثيني بالسخرية من آلهة مدينتهم

وفي فلسفة العصر الكلاسيكي غالباً ما ترتبط فلسفة سقراط بمعاصرته عدداً من محترفي بزعامة Sophists الفلسفة في بلاد اليونان من الذين أُطلق عليهم اسم السفسطائيين ، والذين تخصّص معظمهم بداية في علوم اللغة والخطابة والجدل، Protagoras بروتاغوراس وإن كانت فلسفتهم قد ارتكزت أخيراً على تطوير النزعة الفردية لدى الإنسان للوصول إلى رغباته وتطلعاته في الحياة، فكانوا بذلك طرفاً نقيضاً لأخلاقية سقراط المطلقة في مقابل .أخلاقية نسبية دعا إليها معاصروه من السفسطائيين

ما بين (429 -347ق.م) أبرز تلاميذ سقراط وأكثرهم تأثيراً في Plato][ويعد أفلاطون[ر الفلسفة الكلاسيكية، وارتكزت فلسفته حول فكرة أنه لا يمكن إدراك حقيقة الأشياء في الحياة عن طريق الحواس، لأن المعارف المدركة عن طريق الحواس تتغير بظروف الزمان والمكان. وعليه لا يمكن الوصول إلى المعارف الأصلية إلا فيما يتعلق بالأشياء الثابتة التي لا تتغير بالزمان والمكان مثل الحقيقة والجمال والخير وغيرها. وكان أفلاطون يوضح فكرته بالقول: إن أفكار الإنسان هي فقط التي تماثل الحقيقة إن لم تطابقها في حين تعد أشياء الحياة الأخرى انعكاساً لهذه الأفكار. وقد عرّف مؤرخو الفلسفة هذه الأفكار أنها مثالية أفلاطون التي تهدف إلى تحقيق الخير، ويضيف أفلاطون إن من واجب الإنسان الواعي أن يوقف حياته للتأمل في الحقائق السرمدية لفكرة الحياة

الخيرة، وإذا وصل الإنسان إلى هذا المستوى من الفهم، فعليه العودة إلى الحياة المادية واستخدام معارفه وقدراته التي توصل إليها لخدمة الإنسانية. وكان أفلاطون قد ربط هذه الدعوة بتأكيد خلود الروح بعد هلاك الجسد، وهو أمر أسهم في إثراء الفكر النصراني فيما بعد، عندما احتدم النقاش بين نصارى القرن الرابع الميلادي حول طبيعة السيد المسيح.

شهد العصر الكلاسيكي أولى محاولات البشرية المنظمة لتأطير نظم الحكم السياسية بالفلسفة، فتحدث أفلاطون عن فلسفة السياسة في عصره معتمداً على تجاربه التي كونها من أسفاره، برقة أو (شحات الحالية) وصقلية، وكذلك على محاوراته Cyrene وخاصة إلى مصر وقوريني الخاصة في مدرسته «الأكاديمية». وأقر في كتابه «الجمهورية» نموذجاً عادلاً للحكم يقوم على أساس الديمقراطية.

ما بين (384 -322ق.م) في مقدمة فلاسفة الفترة الكلاسيكية Aristotle[ويأتي أرسطو] من حيث غزارة الإنتاج والتنويع في الموضوعات التي ألقاها أو أملاها على تلامذته في مدرسته التي دعيت «باللوقيوم Lyceon» وراء ما والطبيعة والأخلاق والأحياء الطبيعة ، ويُنسب إليه كتب متعددة في المنطق والتاريخ والنفس البشرية والفن (شعر وموسيقى ومسرح) والحيوان، وأخيراً في السياسة، وكان بارزاً في كل هذه الموضوعات لدرجة أن معظم كتبه ما زالت تُدَّرس في عدد كبير من جامعات العالم مقدمة لكل العلوم التي تفرعت منها فيما بعد.

وقد ترتب على نجاح الإسكندر الكبير في توحيد الشرق والغرب، حتمية تأثر الفلسفة اليونانية فقد انحصرت مشكلات الفلسفة polis بديانات الشرق، وخاصة بعد انهيار نظام دولة المدينة

اليونانية في حينها في البحث عن سعادة الفرد الذي لم يعد انشغاله بأداء واجباته تجاه مدينته، بل أصبحت حريته في الانتقال من أقصى الامبراطورية إلى أقصاها وراء كسب العيش، وهي الأهم، وتبعاً لذلك فقد ضاعت الروابط التي كانت تربط المواطنين بوطن معين، لا بل انتهى الأمر بالمواطن إلى هذا الزهد في شؤون حياته العامة. وقدمت المدارس الفلسفية التي نشأت بعد غياب أسماء الفلاسفة الكبار هذه التوجهات الجديدة للمواطن بتنوع ملحوظ، ولكنها اتفقت كلها على ضرورة السلبية وتقوقع الفرد على ذاته. وبرز في هذا المجال عدد من مدارس الفلسفة stoic [بدعوتها إلى الخلو من الهموم، والرواقية]ر Epicureanism [أهمها الأبيقورية]ر بدعوتها إلى البعد عن scepticism [بدعوتها الخلود من رد الفعل والانفعالات، والشكية]ر والكلبية Cyrenaics تقرير أي حقيقة مهما صغرت، إضافة إلى المدارس السقراطية: قورينائيه .[ر. سقراط] Megarians والميغارية Cynics

ولندرة الابتكار والإبداع الفكري في هذا العصر عموماً، نتيجة سيادة أفكار هذه المدارس, فقد سادت موجة تقليد كبار الفلاسفة من السلف الصالح، ونسب مؤسسو عدد كبير من هذه المدارس نحو (341 -270ق.م) فلسفة Epicurus فلسفاتهم إلى أسماء كبيرة سابقة، فأرجع أبيقور نحو (460 -361ق.م)، كما أرجع زينون الكيتومي Democritus مدرسته إلى ديمقريطس نحو (336 -264ق.م) فلسفته إلى هيراقليس, والمدرسة السقراطية إلى Zeno of Citium سقراط، واستمرت هذه المدارس في عملها حتى دخول العصر الروماني وتألقت فلسفات جديدة .قامت على أسس مدارس العصر الهلنستي السابقة

مفيد رائف العابد

الفولكلور

سنة John Thomas تعبير استخدمه لأول مرة على يد جون توماس folklore الفولكلور 1846 ليدل على الفنون الشعبية التي يتميز بها كل شعب من شعوب العالم، ويعبر من خلالها عن مشاعره وإحساساته وعواطفه، وعلى الرغم من أن الباحثين، فيما بعد، لم يخرجوا عن مضمون هذا التعبير كما جاء لأول مرة، إلا أنهم أخذوا يطورون استخدامه، ويوسعون مدلولاته لارتباط هذه الفنون بالخصيصة الثقافية والتاريخية للجماعات الإنسانية، الأمر الذي يستوجب التمييز بين الفولكلور بوصفه مجموعة المظاهر التي يعبر من خلالها أفراد المجتمع عن مشاعرهم وإحساساتهم وعواطفهم في المواقف المختلفة، وبين الفولكلور بوصفه دراسة علمية لهذه المظاهر بغية تحليلها وفهمها وتفسير اختلافها بين الجماعات.

(رقصة فلكلورية آشورية في الخابور (سورية

إن الجماعات الإنسانية تعبر عن مشاعرها وإحساساتها بطرائق مختلفة من خلال العادات والتقاليد التي تتوارثها الأجيال، فعلاقة الفرد بالأشياء المحيطة به تخضع لمجموعة من المعايير الثقافية والحضارية التي تميز مجتمعه من المجتمعات الأخرى، وتشمل هذه المعايير بتأثيرها مختلف أشكال السلوك الذاتية منها (غير الملاحظة من قبل الآخرين) كآليات التفكير والتذكر والانتباه وتقييم الأشياء، والاجتماعية (التي تظهر آثارها في أنماط سلوكية واضحة)، فما يعد

مصدر سرور وسعادة للفرد في مجتمع ما قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر، وما يسبب التضافر الاجتماعي والترابط بين أفراد جماعة إنسانية قد يكون عاملاً من عوامل انحلال جماعة أخرى، ولهذا لم يعد الحكم على العادات والتقاليد في مجتمع ما ممكناً في ضوء معايير مجتمع آخر، ذلك أن كل مجتمع ينتج من خلال تجربته الخاصة، وخلال فترات طويلة من الزمن، عاداته وتقاليده وقيمه التي يستطيع من خلالها المحافظة على ذاته من جهة، ويعبر الأفراد من خلالها عن مشاعرهم وإحساساتهم في الأفراح والأتراح من جهة ثانية، مما جعل دراسة هذه العادات والتقاليد علماً بحد ذاته، وباتت دراسة الفولكلور مدخلاً أساسياً لدراسة حضارة الإنسان بما تنطوي عليه من جوانب اجتماعية وقيمية وأخلاقية وجمالية وإبداعية.

ومصطلح الفولكلور من أكثر المصطلحات التي اختلف الباحثون حول تحديد موضوعاتها، ففي حين يقصره بعضهم على دراسة الأدب الشعبي، غير المكتوب، وخاصة الشفهي منه، كالقصص الشعبية والأغاني والأساطير، والألغاز الشعبية، والأمثال، يتوسع فيه آخرون ليشمل الثقافة الشعبية كلها، من عادات وتقاليد وميول وأذواق وفنون وحرف شعبية وأشكال التعبير عن الأفراح والأحزان في المناسبات المختلفة، والفولكلور بهذا المعنى واسع وممتد وينطوي على عناصر متباينة ومتعددة، فهو يشمل مجمل الوسائل الثقافية والحضارية التي تتراكم خلال الأجيال وتنتقل من جيل إلى آخر، وتجد نفسها في الأنماط السلوكية التي يمارسها أفراد الجماعة، ويكتسبون من خلالها هويتهم الثقافية والحضارية، ويعبرون عن مشاعرهم وإحساساتهم.

أزياء فلكلورية من بنما

وعلى هذا تتعدد مظاهر الفولكلور بدرجة كبيرة، فهي تعكس مظاهر الحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس في حياتهم اليومية، وتأتي في مقدمتها الأزياء الشعبية، والأغنية الشعبية، والعتابا، والزجل، والموّال، والأغنية الراقصة، والرقص الشعبي، وغيرها، ويكشف التحليل الاجتماعي لكل منها عن وجوه التكامل في الثقافة الاجتماعية الواحدة، التي توحد أعضاء الجماعة الواحدة والمجتمع الواحد، فاللباس حاجة أساسية للإنسان، ولكنه يتصف ببعد اجتماعي في أشكاله وألوانه، وعندما يأخذ الفرد باختيار هذا اللباس أو ذاك فإنه يعتمد المعايير الاجتماعية والثقافية السائدة بدرجة أولى، ولهذا تصبح الأزياء بصورة عامة خاضعة بأشكالها وألوانها للثقافة الاجتماعية، وكما أن الثقافة تحدد الذوق العام، كذلك الأذواق الخاصة بكل شريحة من شرائح المجتمع، فما ترتديه الفتاة من لباس يختلف عما ترتديه المرأة المتقدمة في السن، ولباس الفرد في مكان عمله يختلف عن لباسه في مواضع الاستراحة والاستجمام، فالأزياء بهذا المعنى ليست عشوائية ولا اعتباطية، إنما خاضعة لمعايير اجتماعية وثقافية مستقرة نسبياً في حياة المجتمع، وإن كانت قابلة للتغير، ولكن ببطء شديد، وغالباً ما يطرح الباحث في مجال الفولكلور تساؤلات عدة تشكل منطلقاً للبحث في هذا المجال حول اختلاف اللباس بين الثقافات والجماعات الإنسانية المتعددة في الزمن الواحد، وفي الأوقات المختلفة للثقافة الواحدة، وكذلك الحال اختلاف اللباس بين الأفراد باختلاف العمر والجنس والعمل، حتى في الثقافة الواحدة.

وما ينطبق على اللباس والأزياء، والأزياء الشعبية عامة ينطبق أيضاً على مظاهر الفولكلور الأخرى، كالأغاني والأغاني الشعبية والعتابا، والزجل والمواويل، في مناسبات الفرح، وكذلك مظاهر الحزن والأسى عند حلول المصائب؛ فإن جميع هذه الأشكال تختلف بين الجماعات الإنسانية المتعددة في الزمن الواحد، وضمن الجماعة الواحدة في أوقات متعددة، كما أن السلوك

الممارس في أي مناسبة يرتبط بخصائص الفاعل من حيث العمر والجنس والموقع الاجتماعي وخلافه.

ويأخذ الباحثون في مجال الفولكلور مسارات عدة في تفسير تنوع أنماط السلوك في مناسبات الفرح والحزن للتعبير عن المشاعر والإحساسات والعواطف، ففي حين يأخذ التحليل الوظيفي بدراسة هذه الأنماط في ضوء وظائفها في المجتمع، حيث تكون مدعاة للتغير مع تغير وظائفها الاجتماعية بين حين وآخر، تأخذ المدرسة التطورية بتحليل مظاهر التغير في ضوء مسارات التطور الاجتماعي، حيث تصبح أنماطاً عدة من السلوك غير قادرة على التوافق مع شروط التطور الاجتماعي، الأمر الذي يجعلها غير قابلة للاستمرار في حياة الجماعة، وإلى جانب ذلك تأخذ نظرية الانتشار بتحليل مظاهر التغير بعمليات التواصل الاجتماعي التي يقيمها أفراد المجتمع مع غيرهم، فيكتسبون عادات وتقاليد جديدة، وينقلونها إلى مجتمعهم الأصلي، فتأخذ العادات والتقاليد وأشكال الفولكلور المختلفة بالانتشار من مجتمع إلى آخر، ومن جماعة إلى جماعة تبعاً لدرجة التواصل بين الجماعات، وتبعاً لدرجة التفاعل بينها.

وفي الوقت الذي تكشف فيه الدراسة التحليلية لمضمون الفولكلور عن الوظائف التي تؤديها هذه المظاهر للمجتمع، وتكاملها بعضها مع بعض، فإنها تكشف أيضاً عن الفروق في مستويات العيش بين الشرائح الاجتماعية المختلفة، وعن الفروق في مستويات المعرفة والوعي، كما أنها يمكن أن تكشف عن مواطن القوة والضعف في البنيان الاجتماعي عامة. ولهذا تعد دراسة الفولكلور مقدمة أساسية لدراسة التاريخ الثقافي والحضاري لأي جماعة إنسانية، لما تشمله من تحليل للجوانب القيمية والأخلاقية والجمالية.

هناء برقاوي

(- فيتغنشتاين (لودفيغ

(1889-1951)

فيلسوف وعالم منطق نمساوي، وُلِدَ في فيينا Ludwig Wittgenstein لودفيغ فيتغنشتاين لأسرة عريضة الثراء، عريقة في الثقافة. برزت عنده ميول أدبية وموسيقية منذ الصغر، شُغف بالرياضيات والفلسفة. غادر النمسا إلى إنكلترا بعد دراساته الأولى وانتسب لجامعة مانشستر عام 1908 طالباً للهندسة، وفي عام 1911 كانت بداية حياته الفلسفية إذ التحق بجامعة كمبردج، وتتلمذ على يد كلّ من: رسل[ر] ومور[ر]، ثم حصل على درجة الدكتوراه عام 1929 ، الذي Tractatus Logico - Philosophical «عن كتابه «الرسالة المنطقية الفلسفية عدّ عملاً فلسفياً أصيلاً، وصفه رسل بأنه «حدث مهم في عالم الفلسفة»، ونال فيه شهرة واسعة. ومن أشهر مؤلفاته «الكتاب الأزرق والبني» وهو عبارة عن محاضرات نشرها تلاميذه بعد وفاته، وألفه على مرحلتين Philosophical Investigations «وكتاب «المباحث الفلسفية انتهى من القسم الأول منه عام 1936 ومن قسمه الثاني عام 1948، ونُشر عام 1953 بعد .وفاته

تنقسم حياته الفلسفية إلى فترتين؛ في الأولى كتب رسالته المشهورة في المنطق «الرسالة» متأثراً ، فحصر وظيفة الفلسفة بتحليل اللغة Logical Atomism «بنظرية رسل «الذرية المنطقية فقط، ورأى أن هذه اللغة تخضع لجملة من القواعد المنطقية هي بمنزلة «الصياغة المنطقية للغة». وفي الفترة الثانية: بدأ فيتغنشتاين بنقد «الرسالة» وتطويرها إلى «بحوث فلسفية»، وفيها رفض أي أثر للفلسفة في تقديم تفسيرات للعالم وما يدور فيه. وعلى الرغم من التحول الذي طرأ

على أفكاره الفلسفية الأولى التي وردت في «الرسالة» الثانية؛ فقد ربط اللغة بالأنشطة الاجتماعية لا بالوقائع، وبقي متمسكاً بموقفه من أن الفلسفة تحليلٌ للغة بهدف إزالة الغموض عنها. ففي «الرسالة» ينظر فيتغنشتاين إلى الفلسفة نظرة ضيقة بوصفها منطقاً للغة العالم التجريبي، كما وتتبلور في لغة العلم، فيقدم نظرية عامة في توضيح علاقة اللغة بالعالم يذهب فيها إلى أن المهمة الأولى للغة هي تعزيز الوقائع، مفترضاً ضرباً من التقابل بين بناء «الجملة» التي تؤلف بنية اللغة العادية، وبين «الواقعة» التي تشكل بنية العلم.

فالعالم يتكون من مجموعة من الوقائع لا الأشياء التي يمكن أن يُعبر عنها في جمل لغوية، والواقعة هي الجملة التي بها من الإمكان ما يسمح لها بأن تولد واقعة أخرى أبسط منها أو ما يسمح لها بأن تنحل، بوساطة التحليل المنطقي إلى واقعة أخرى (جملة أخرى) أكثر بساطة منها». والوقائع تنقسم إلى وقائع مركبة ووقائع بسيطة، يسميها فيتغنشتاين «بالوقائع الذرية atomic facts وهي تمثل الحد الذي تقف عنده عملية التحليل، ومنها تتشكل الوقائع المركبة.

وهذه الوقائع هي وقائع لفظية رمزية ينتقل فيها فيتغنشتاين من عالم الوقائع الفعلية إلى عالم الوجود اللفظي القائم على العبارات الوصفية. هذا العالم تتحول فيه صفات الأشياء إلى مجرد علاقات تقوم بين الألفاظ والأسماء، شرط أن يُفهم أن ما يعنيه بالاسم: تمثيل رمزي لموضوع بسيط هو أشبه «بالنقط الرياضية» ويكتسب معناه فقط عند دخوله في جملة أو قضية تصف حالة الموضوعات في الواقع.

واللغة في تعبيرها عن الروابط التي بين الأسماء إنما تستحضر العالم الخارجي كما هو ماثل في الأذهان، وهذا الاستحضار يسميه فيتغنشتاين «تصويراً» أو «صورة الوقائع». ولتوضيح ذلك يرى أن القضية الأولية. وهي جملة تتألف من أسماء لا تقبل التحليل إلى قضايا أخرى. صورة للواقعة الذرية التي تتكون من شيئين بسيطين يدخلان في علاقة معينة، فإذا قيل مثلاً إن «القلم فوق الطاولة» فإن هذه القضية تصوير لواقعة ذرية تتألف من شيئين هما القلم والطاولة وعلاقة فوق. والقضية تصور لغوياً الواقعة وكيفية ترابط عناصرها في الواقع، ومعيار صدق أي قضية يكمن في أنها تصور الأشياء والعلاقة القائمة بينهما، وعملية التصوير هذه تتبع منطقاً معيناً فالأشياء في العالم تترابط فيما .logical form «يسميه فيتغنشتاين بـ «الصورة المنطقية بينها بعلاقات مثلما تترابط عناصر الصورة، والشيء المشترك بين «الواقعة» و«الصورة» هو البناء أو الشكل المنطقي الذي يجمعهما، ولكن هذا الشكل المنطقي المشترك للصورة والواقعة لا يمكن شرح معناه، فهو غير قابل للوصف في قضايا، بل يمكن إظهاره والكشف عنه كما هو موجود بالفعل، فمن الممكن شرح عناصر الصورة وكيفية ترابطها، ولكن لا يمكن وصف ما تعنيه الجملة ذاتها، ومع ذلك يمكن فهمها، لأن القضية وحدها تنطوي على معنى يتقرر بوجود الواقعة التي تقابلها وتجعل منها صورة للواقع. وهذه النسخة، أو «الصورة» يجب أن تكون «نموذجاً» للحقيقة الموضوعية، لأن عناصر الصورة تناظر عناصر الواقعة الخارجية، ومن هذه القضايا البسيطة «الأولية» التي تشير إلى الوقائع البسيطة يتم وصف العالم. إلى جانب القضايا الأولية تتألف اللغة العادية من قضايا مركبة تتولد من القضايا الأولية وتدين بصدقها إلى المركبات الأولية التي تتألف منها. وهناك نوع من القضايا يسميها فيتغنشتاين «بالتكرارية» وينحصر يقينها في .«تحصيل حاصل» مثل قضايا المنطق والرياضيات

ويخص في تحليله المنطقي للغة إلى أن اللغة العادية إذا صيغت بنظام منطقي كامل قائم على فكرة البسائط أو «الواقعة الذرية» ؛ فمن الممكن تجنّب الوقوع في غموض التعبير والخلط والإبهام، واستناداً إلى ذلك فإن مشكلة الفلسفة، حسب فيتغنشتاين، ناتجة من «سوء فهم منطق اللغة».

ولاستكمال صورة العلاقة بين اللغة والعالم يطرح فيتغنشتاين نظريته في «المعنى» وعلاقته بالواقع، إذ ترتبط فكرة المعنى عنده بالواقعة والقضية اللغوية التي تصورها، فالقضية اللغوية الأولية التي تصور الواقعة الذرية هي أصغر وحدة ذات معنى، ومعنى أي قضية هو اتفاقها أو عدم اتفاقها مع إمكانات وجود أو لا وجود الوقائع، ولما كانت قضايا الميتافيزيقا لا تعبر عن وقائع ملموسة ولا يمكن التحقق من صدقها، كانت قضاياها تفتقر إلى الدقة والوضوح، وعديمة المعنى أيضاً وإن لم تكن كاذبة، لذلك فهو يرفض الميتافيزيقيا، وإن لم يرفض إمكان تقريرها.

لكن فيتغنشتاين في كتابه الأخير «مباحث فلسفية» يقدّم فهماً للمعنى ووظيفة اللغة مغايراً لما أتى عليه في «الرسالة» فلم يعد المعنى يمثل الموضوعات التي يشير إليها، بل أصبح معنى الكلمة ينحصر في الطريقة التي تُستخدم بها تلك الكلمة، وأصبح السؤال عن تحليل قول ما هو في الواقع محض سؤال عن الطريقة التي يستخدم فيها القول في سياق ما أكثر مما يكون السؤال عما يعنيه هذا القول، والجمل لا تكتسب معانيها بطريقة واحدة أي «تصوير الواقعة» إنما معنى الجملة ثم استخدامها أو تطبيقها، ففهم معنى أي لفظة لا ينكشف إلا من خلال الظروف والمواقف التي تطبق أو لا تطبق عليها تلك الكلمة، أي السلوك الذي يُستخدم في سياقه «تكنيك» تلك اللفظة، وعندها لا يتولد لغة واحدة معينة ثابتة تحكمها نظم كتلك التي في «حساب منطقي» وإنما هناك صور جديدة في اللغة تتجدد باستمرار هي عبارة عن «لعبات» لغوية جديدة. والمقصود «باللّعبة اللغوية» هي إبراز واقعة أن التكلم بلغة هو جزء من نشاط أو صورة من

صور الحياة تنطوي على مواقف واهتمامات وسلوك. وعلى الرغم من الاستعمالات المتعددة للألفاظ (اللغة) إلا أنها تُشكّل عائلة بحكم «التشابه» العائلي بين تلك الألعاب وتهدف في النهاية إلى إنارة وقائع اللغة.

بهذا المعنى أصبحت مهمة الفلسفة الكشف عن المعاني الدقيقة للعبارات من خلال استعمالاتها في اللغة، فكانت فلسفته الأخرى بذلك عبارة عن تحول نحو فلسفة اللغة العادية، ولكنه بقي مخلصاً لنظرته الأساسية بأن الفلسفة نشاط، وليست نظرية تفضي إلى نتائج ثابتة.

وقد استمرت فلسفة فيتغنشتاين التحليلية في منهج التحليل المنطقي للّغة، وازدهرت من خلال فلاسفة الوضعية المنطقية[ر] التي جعلت من التحليل المنطقي أداة لقيام لغة وضعية جديدة تؤسس لفلسفة العلوم.

سوسان إلياس

(القبطية (الكنيسة.

إحدى الكنائس الأرثوذكسية الشرقية Coptic Church الكنيسة المسيحية القبطية اللاخلقيدونية، وتمثلها بطريركية الإسكندرية وسائر الكرازة المرقصية للأقباط الأرثوذكس، ومقرها القاهرة،في مصر، وتقدر رعيتها بنحو ثمانية ملايين نسمة.

، أحد الإنجيليين الذي كتب أول Markus بنيت الكنيسة القبطية على تعاليم القديس مرقص إنجيل[ر]، وبشَّر بالمسيحية في مصر، في أثناء حكم «نيرون» في القرن الأول للميلاد. ويقدر عمرها بأكثر من تسعة عشر قرناً.

قامت الكنيسة القبطية بدور مهم في اللاهوت المسيحي[ر]، خاصة في الدفاع عن الإيمان والعقيدة المسيحية، وحمايتها من الهرطقات الغنوصية[ر]. فقد كتب قانون مجمع نيقية 325م Nicaea بابا Athanasius ، الذي تقرُّهُ كنائس العالم أجمع، أحد أبناء الكنيسة القبطية أثناسيوس (الإسكندرية، الذي استمر على كرسيه مدة 46 عاماً (373.327م.

وأسهمت الكنيسة القبطية في الحفاظ على آلاف النصوص، والدراسات اللاهوتية والإنجيلية، التي كانت من أهم المصادر في علم الآثار، وعملت على ترجمة الكتاب المقدس[ر] إلى اللغة القبطية في القرن الثاني الميلادي. وتوجد اليوم مئات الآلاف من المخطوطات القبطية في مكتبات العالم أجمع ومتاحفها وجامعاتها.

كما أسهمت مدرسة الإسكندرية المسيحية، التي تأسست نحو عام 190م، في نشر التعليم الديني المسيحي. فكثير من الأساقفة وآباء الكنيسة الأوائل، من شتى أنحاء العالم، قد نهل من تعاليم Origen. ، وأوريجينClement ، وكليمنتAthanagoras هذه المدرسة، أمثال أثناغورَس وقد تم إحياء المدرسة اللاهوتية لمدرسة الإسكندرية المسيحية عام 1893م. ولديها اليوم مبانٍ جامعية في الإسكندرية والقاهرة ونيوجرسي، ولوس أنجلوس، حيث يدرس بها المُرَشَّحون لنوال سِرّ الكهنوت، والرجال والسيدات المؤهلون لعديد من العلوم المسيحية كاللاهوت والتاريخ واللغة القبطية والفن القبطي، إضافة إلى الترنيم والأيقنة (صنع الأيقونات) والموسيقى.

وكان لنشأة الرهبنة[ر] في مصر، في مطلع القرن الرابع، تأثير مهم في تكوين شخصية الكنيسة القبطية في الاتضاع والطاعة، ويعود الفضل في هذا إلى تعاليم وكِتابات آباء برية مِصر العِظام. ومما يذكر أن القديس أنطونيوس، الراهب المسيحي الأول في العالم، كان قبطياً من صعيد مصر. إضافة إلى العديد من مشاهير الآباء الأقباط، أمثال باخوميوس الذي أسَّس نظام الشركة والرهبنة، بولا، ومكاريوس، وموسى الأسود، ومامينا العجايبي. كما أدى بطارِكة وباباوات الإسكندرية دوراً بارزاً في اللاهوت المسيحي، تحت سلطة الامبراطورية الرومانية الشرقية بالقسطنطينية (ضد الامبراطورية الغربية بروما)، فقد ترأس كيرلس بابا الإسكندرية المجمع الذي عقد بمدينة أفسوس في الأناضول سنة Council of Ephesus المسكوني إفسوس الأول 431م، والذي أقر مذهب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حول طبيعة السيد المسيح، التي تقضي أي إن في المسيح monophysitism (بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة (المونوفيزية أقنوم واحد إلهي اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، وأن

السيدة مريم العذراء هي حقاً أم الإله، لأنها لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد، وكان ذلك ردا على المذهب النسطوري[ر].

وفي القرن الرابع، ظهر نزاع لاهوتي بين الأقباط والرومان الناطقين باللغة اليونانية، أو طائفة Council of Chalcedon (رجال الامبراطور) في مصر، فانعكس سلباً في مجمع خلقيدونية عام 451، واتُّهِمَت الكنيسة القبطية (ربما ظُلماً) باتباع تعاليم المونوفيزية، وعلى هذا رفض البابا في مجمع خلقيدونية مذهب أتباع الطبيعة الواحدة (المونوفيزية)، وأقرّ مذهب الطبيعتين والمشيئتين: أي إن للمسيح طبيعتين واحدة إنسانية, وأخرى إلهية - مذهب الكاثوليك (الملكاني) الذي اعتنقته كنيسة روما: أن للمسيح أقنوم إلهي بحت، لكن له ذاتين وكيانين هما الإله والإنسان، وكانت النتيجة أن رفض الأقباط وأغلبية المسيحيين الأقباط في مصر، وكذلك كثير من السوريين قرارات مجمع خلقيدونية، وصاغوا عقيدتهم بالألوهية الكاملة والبشرية عندما أعلن «الطبيعة الواحدة St. cyril (الكاملة للمسيح، مثلما فعل القديس سيريل(444م للرب المتجسد».

ومع بداية القرن الخامس صارت القبطية هي اللغة السائدة في مصر وأصبحت لغة العلم الوحيدة، وبدأت الكنيسة المصرية تؤكد ذاتها إزاء الكنيسة الكاثوليكية، وكره المصريون اتباع الحكومة الامبراطورية (الملكانيين). وعين في عام 536 في الإسكندرية بطريرك أرثوذكسي اعترف به قسم قليل من المصريين ذوي الأصل اليوناني. أما السكان الأصليون المصريون القدماء المعروفون باسم القبط[ر]، والمتمسكون بالمونوفيزية فقد انتخبوا لأنفسهم بطريركاً عليهم المدعو القبطي، وكونوا الكنيسة القبطية المونوفيزية، ودعوا ذاتهم مسيحيين قبطيين، ودعوا

الأرثوذكسيين ملكيين (المتمسكين بتعليم الإيمان الامبراطوري). وبلغ عدد الأقباط المسيحيين آنذاك نحو خمسة ملايين.

ولم تثبت المونوفيزية بقوة في سورية وفلسطين كما في مصر، ومع ذلك فقد تمكن الأسقف السوري يعقوب البرادعي (Jacob Baradai(578م من جمع شمل جميع المونوفيزيين في سورية وما بين النهرين، وتأليف جمعية سورية كهنوتية مونوفيزية تمركزت في أنطاكية بالاشتراك مع البابا القبطي في الإسكندرية، وعُرف السوريون أصحاب الطبيعة الواحدة باسم اليعاقبة. وكانت هذه الخلافات حول طبيعة المسيح من الأسباب التي فصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية.

ويمثل الصليب الفخر الحقيقي للكنيسة القبطية، إذ يرمز للاضطهاد الذي بدأ مع استشهاد القديس مرقص الرسول (68م). وتأكيداً لحبهم للصليب، اتّخذ الأقباط تقويماً، يطلق عليه تقويم الشهداء، يبدأ عهده يوم السبت الموافق 29 آب/أغسطس 284م، إحياءً لذِكرى شهداء الإيمان في عهد الامبراطور الروماني ديوقليسيان Diocletianus، وما يزال هذا التقويم يستعمله المُزارعون في مصر، لتتبع تغيرات الفصول الزراعية وكذلك في «كتاب الفصول» الذي يُستخدم في القداسات والمناسبات الكنسيّة.

وقد ازدهرت الكنيسة القبطية وظلّت مصر مسيحية نحو 4 قرون، بعد الفتح العربي لمصر في القرن السابع، وكان هذا بسبب الوضع الخاص الذي تمتَّع به الأقباط، خاصة أن محمداً نبي الإسلام. كان له زوجة مصرية هي ماريا القبطية أم ولده إبراهيم. فقد تسامح الإسلام مع ٢ .

الأقباط كغيرهم من أهل الكتاب ومنحهم حق ممارسة شعائرهم الدينية بحرية واستقلالية، شريطة دفع الجزية. وهكذا ازدهرت الكنيسة وتمتّعت بفترة مسالِمة، على الرغم من القوانين التي تتطلَّب دفع مبالغ إضافية، كانت قد فُرِضَت عليهم في الفترة من 254.133هـ/868.750م و324.293هـ/935.905م، تحت حكم العباسيين. وظلَّت اللغة القبطية في تلك الفترة هي اللغة الرسمية للبلاد، ولم تظهر الكتابات بكلتا اللغتين العربية والقبطية قبل منتصف القرن الحادي عشر، أي بعد نحو 500عام من الفتح العربي لمصر، ولكن كان استخدام اللغة العربية واتخاذها لغة رسمية في المُعاملات اليومية بطيئاً.

ومع بداية القرن التاسع عشر، مع حُكم محمد علي الذي اتّسَم بالاستقرار والتسامُح، تحسنت حال الأقباط، وتمتعت الكنيسة القبطية باستقلالية ذاتية، خاصة أنها ابتعدت عن السياسة والحكم، وتمسكت بالفصل بين الدين والدولة بناءً على قول السيد المسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.» (متى22:21). كما أنها لم تقاوم السلطات أو الغُزاة بناءً على ماقاله السيد المسيح: «رُدّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون.»(متى 26: 25).

الإيمان الكنسي القبطي: الأسرار المقدسة: تؤمن الكنيسة القبطية بسبعة أسرار، سِر المعمودية، وسر الميرون (التثبيت)، وسر التناول، وسر التوبة والاعتراف، وسر الكهنوت، وسر الزيجة، وسر مسحة المرضى.

الطقوس الإلهية: هناك ثلاثة طقوس أو قداسات أساسية في الكنيسة القبطية: قداس القديس باسيليوس أسقف قيصرية؛ قداس القديس غريغوري نازينزي St. Gregory of Nazianzus أسقف القسطنطينية؛ وقداس البابا كيرلس الأول، البطريرك رقم 24. وتنسب كتب الخدمة المستخدمة في الصلوات إلى القديس مرقص (باللغة اليونانية وقد ترجمه للقبطية البابا كيرلس الأول)، وإلى القديس غريغوري (باللغة القبطية - لهجة الإسكندرية البحيرية). وحتى اليوم، ما تزال هذه القداسات الثلاثة تُستخدم في الصلاة، مع بعض المقاطع المُضافة (مثل الشفاعات). والجدير بالذكر أن القداس الباسيلي هو الأكثر استخداماً في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ويستعمل في طقوس القداس القبطي بضع آلات إيقاع تشبه الآلات المصرية القديمة عرفت من النماذج الجصّية.

الشفاعة: ترفض الكنيسة القبطية تماماً عبادة القديسين، لكنها تطلب شفاعاتهم، (كطلب شفاعة السيدة مريم العذراء[ر])، وهذا أمر ثابت في أي صلاة قبطية، وتسمى كل كنيسة قبطية باسم قديس شفيع.

المواسم والأعياد: يحتفل الأقباط بسبعة أعياد سيدية كُبرى، وسبعة أعياد سيدية صُغرى. فالأعياد السيدية الكبرى هي عيد البشارة وعيد الميلاد (الذي يُحتفل به في 7 كانون الثاني من كل عام)، وعيد الظهور الإلهي (الغطاس)، وأحد الزعف (الشعانين) والقيامة، والصعود، وعيد العنصرة. أما عن الأعياد السيدية الصُغرى، فهي عيد الختان، ودخول السيد المسيح إلى الهيكل، ومجيئه إلى أرض مصر، وعيد عُرس قانا الجليل، والتجلي، وخميس العهد، وعيد تجديد توما. والتاريخ الكنسي القبطي حافِل بأعياد أخرى واحتفالات بذكرى استشهاد أو انتقال القديسين المشهورين (أمثال مار مرقص، مار مينا، مار جرجس، القديس تكلا هيمانوت Hymanot، والشهيدة بربارة، والملاك ميخائيل، عيد النيروز).

الصيام: يؤمن الأقباط بمواسم للصوم غير موجودة في أي طائفة مسيحية أخرى، إذ يصوم الأقباط أكثر من 210أيام وفي الصوم لا يُسمح بتناول أي من منتجات الحيوانات (اللحوم، الدواجن، اللبن، البيض، الزبدة.). وكذلك لا يُسمح بتناول أي طعام أو شراب من شروق الشمس حتى غروبها. وغالباً ما تُبَسَّط قواعد الصوم الانقطاعي الصارمة هذه بصورة فردية، حسب حالة كل شخص من حيث المرض أو الضعف أو السن أو غيره. ويعد الصوم الكبير أهم صوم يهتم به الأقباط، ويبدأ بأسبوع صوم كمقدمة له، يتبعه 40 يوماً كذكرى لصوم السيِّد المسيح الأربعين ، الذي يعد ذروة هذا الصوم. (Pasqua يوماً على الجبل، يتبعها أسبوع الآلام (اسمه البصخة وهو يمثل أحداث أسبوع الآلام كلها وحتى الصلب في الجمعة العظيمة، وينتهي بعيد القيامة المُفْرِح. ومن الصيام صوم مجيء السيد المسيح للعالم بالميلاد، وصوم الرسل، وصوم السيِّدة العذراء .مريم، وصوم يونان

رئاسة الكنيسة: يرأس الكنيسة القبطية بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية، ومقره القاهرة، ومن دونه الآباء الأساقفة، الذين يشرفون بدورهم على الآباء الكهنة بالأبرشيات. ويجب أن يكون كل من البطريرك والأساقفة رهباناً، وجميعهم أعضاء في المجمع المقدس، يجتمعون بصورة دورية. ويوجد اليوم أكثر من 60 أسقفاً قبطياً يباشرون عمل الأبرشيات داخل مصر وخارجها. وتقع المسؤولية الرعوية الرئيسية للمجتمع القبطي في أي أبرشية على عاتق الآباء الكهنة والقساوسة، ويتوجب عليهم الدراسة في الكلية الإكليريكية قبل رسامتهم. وهناك طائفتان أخريان غير كهنوتيتين تهتمان بشؤون الكنيسة. الأولى تُنتَخَب عن طريق المجلس الملي القبطي، الذي ظهر على الساحة عام 1883م، ليصبح هو الطريق ما بين الكنيسة والحكومة، وقد ساعد ذلك الكنيسة الأرثوذكسية القبطية تطوير نظام حكومة ديمقراطي بعد عام 1890،

فقد نظّمت البطريركية و12 من الأساقفة الأبرشيون، بمساعدة المجالس الجماعية، تمويل الكنائس والمدارس وإدارة القواعد المتعلّقة بالزواج والميراث، وأمور أخرى من الأمور الشخصية. والثانية هو مجلس الأوقاف القبطي، وظهر على الساحة عام 1928م. ليباشر ويُراقِب إدارة أوقاف الكنيسة القبطية من خلال القانون المصري.

وفي القرن الماضي، أدت الكنيسة القبطية دوراً مهماً في الحركة المسيحية العالمية، فالكنيسة القبطية أول من أنشأ «مجلس الكنائس العالمي»، وقد ظلّت عضواً في هذا المجلس حتى عام 1948م. وهي أيضاً عضو في «مجلس كنائس إفريقيا»، و«مجلس كنائس الشرق الأوسط». وللكنيسة القبطية دور مهم في إدارة الحوار لحل الخلافات الجوهرية بينها وبين كنائس الكاثوليك، والأرثوذكس الشرقيين، والمشيخيين، والبروتستنت.

وتتوزع الكنائس القبطية في دول عدة بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا وهولندا والبرازيل والعديد من الدول الأخرى بآسيا وإفريقيا كمصر وأثيوبيا والنوبة والحبشة، والقدس، وهناك أسقفية قبطية في الخرطوم (في السودان). كما تتصل الكنائس الأثيوبية والأرمنية والكنائس السورية اليعقوبية بالكنيسة الأرثوذكسية القبطية. وجميعهم يصلي من أجل وحدة كل الكنائس المسيحية، ومن أجل سلام العالم، ومن أجل خير الجنس البشري كله.

سوسن بيطار

القبيلة

القبيلة tribe وحدة مجتمعية متكاملة تتفاعل ضمنها الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وتنتظم من خلالها الحقوق والواجبات المترتبة على الأفراد بوصفهم أعضاء ضمن التنظيم، وعلى الجماعات الفرعية الأقل بوصفها مكونات أساسية للقبيلة، والتي تختلف تسمياتها باختلاف تجارب القبائل وتاريخية كل منها.

تعد القبيلة من أكثر النظم الاجتماعية قدماً في التاريخ الإنساني، إضافة إلى كونها رافقت الأشكال التنظيمية الأخرى التي ظهرت فيما بعد، من خلال الروابط الدينية والاقتصادية والسياسية، وكانت لفترة طويلة من الزمن الأساس الذي تقام عليه معايير التفاعل الاجتماعي من تضافر وصراع وتنافر، لكنها أخذت بالانحسار إثر ظهور أشكال جديدة من التنظيمات الاجتماعية، وخاصة ذات العلاقة بالتنظيمات السياسية القائمة على مفاهيم الوطن والمواطنة، والتي أصبحت اليوم الأكثر انتشاراً في معظم أنحاء العالم.

خصائص التنظيم الاجتماعي القبلي

يمكن التمييز بين مجموعة خصائص أساسية للقبيلة منها:

. وحدة اللغة والثقافة والمكان، فيلاحظ أن أفراد القبيلة الواحدة يستخدمون لغة واحدة ولهجة تميزها من غيرها من القبائل، إضافة إلى تكوُّن -عبر تاريخها - منظومة اجتماعية ثقافية تحدد أوجه التكامل في الحقوق والواجبات بين الأعضاء المكونين لها، كما أن لكل قبيلة حيزاً مكانياً تستطيع استثماره باعتراف القبائل الأخرى، ويعرف ذلك بنظام الحمى.

. تغلب على النشاط الاقتصادي في القبيلة الواحدة وحدة النشاط الاقتصادي المتمثل بتربية الحيوان والاستفادة من المنتجات الحيوانية والاعتماد على الموارد الطبيعية في تأمين الغذاء اللازم للحيوان، مما يجعل الحياة الاجتماعية في القبيلة مبنية على كثرة التنقل والترحال، فتوصف حياة القبيلة بكثرة الترحال والانتقال عبر المساحات المكانية التي تستطيع استثمارها تبعاً لطبيعة ظروف المناخ، وتبعاً للأوقات التي ينمو فيها الكلأ الذي يعد غذاء مناسباً للحيوانات.

. يسود الشعور بين أفراد القبيلة الواحدة بالهموم المشتركة والمصير المشترك، ولهذا يزداد إحساسهم بالانتماء لقبيلتهم الواحدة، على الرغم من تبعثرهم وتشتتهم في حيز مكاني واسع، فالشعور بالانتماء للقبيلة يوحِّد الجماعات المبعثرة، ويجعل منها كلاً واحداً، فيقوم الارتباط العشائري مقام المكان بالنسبة إلى أهل الريف والحضر الذي يعد بالنسبة إليهم عامل الوحدة، ويُنسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب دعوته العرب إلى الانتساب للعشيرة والقبيلة، دون الانتساب للمكان كما الحال بالنسبة إلى الأعاجم: «لا تكونوا كالأعاجم إذا سئل أحدهم قال: أنا من قرية كذا وكذا، قولوا: أنا من قبيلة كذا».

. تنتظم أبناء القبيلة الواحدة في عشائر عديدة، وتنتظم العشيرة في بطون، والبطون في أفخاذ، والأفخاذ في حمولات، والحمولات في أسر ممتدة، والأسر الممتدة في أسر صغيرة؛ وهي الوحدة الأقل التي لاتتجزأ في نظام القبيلة، وعلى رأس كل تنظيم من التنظيمات العديدة من يمثله بالنسبة إلى التنظيمات الأعلى في الترتيب الهرمي، وعلى الرغم من تشعب الأصول إلى فروع، وتبعثر أبناء القبيلة الواحدة بين البطون والأفخاذ والحمولات غير أن المشاعر والأحاسيس تربط هؤلاء مرة أخرى، وتجعل منهم كلاً موحداً منتظماً في علاقاته مع بعضه وفي علاقته مع الآخر.

. تقترن الحياة الاجتماعية للقبائل غالباً بالصراع حول استثمار المكان، فنقص الموارد وشح المياه وجفاف الأرض يدفع القبائل إلى البحث عن المكان الأفضل لاستثماره والاستفادة من موارده الطبيعية، الأمر الذي يجعل قبيلتين أو أكثر تتنافسان على مكان واحد بغية السيطرة عليه، وقد يتحول التنافس إلى صراع، والصراع إلى غزو مما يجعل القبائل الأقوى تحظى بالنصيب الأهم الذي يكافئ قوتها بالنسبة إلى القبائل الأخرى، ويصبح معيار القوة معياراً أساسياً من معايير التفاضل والتفاخر بين البطون والأفخاذ ضمن القبيلة الواحدة، وبين القبائل على مستوى مجموع القبائل المتعددة، وقد تتسع معايير التفاضل؛ لتصبح معايير تعالٍ لدى بعض العشائر على بعضها الآخر، فيسود بين أبناء القبيلة إحساس بدونية الآخرين من العشائر الأخرى أحياناً، وغالباً ما يمنعهم ذلك من إقامة المعاهدات والاتفاقات مع من هو دونهم، وقد يصل الأمر حد الامتناع عن الزواج وعلاقات المصاهرة إلا مع البطون والأفخاذ والعشائر المكافئة.

السلطة الاجتماعية وطبقات المجتمع القبلي

تنتظم مظاهر السلطة في الحياة العشائرية بتسلسل هرمي، فيعد شيخ القبيلة وزعيمها ممثلاً لها في علاقاتها مع غيرها من القبائل والتنظيمات الاجتماعية المختلفة، ويحظى في قبيلته بالاحترام والتقدير اللذين يؤهلانه؛ ليكون زعيماً بما يحويه المفهوم من صلاحيات ومسؤوليات، ويساعده في تنظيم شؤون القبيلة الوجهاء الذين يمثلون بدورهم البطون والأفخاذ والحمولات التي تتفرع عن العشيرة الواحدة، وغالباً ما تأخذ السلطة التسلسل ذاته على مستوى المكونات الأقل، حتى على مستوى الأسرة حيث تبدو سلطة الأب التي تنحدر إلى الأبناء بحسب مواقعهم بالنسبة إلى بنية الأسرة، وبحسب قربهم من رب الأسرة على مستوى الجنس والعمر، فالسلطة تنحدر من الذكور إلى الإناث، ومن الكبار إلى الصغار. ويمكن التمييز بين طبقات السلطة الاجتماعية في القبيلة بين مستويات عديدة منها:

. طبقة الشيوخ: وتأتي أهميتها من الدور القيادي الذي تؤديه بالنسبة إلى القبيلة، فحياة التنقل والترحال، وتحدي الظروف المحيطة بالقبيلة من صد غزوات المعتدين، والبحث عن الماء والكلأ والحاجات التي يتطلبها استمرار القبيلة تفرض وجود قادة يستطيعون التفاعل مع المستجدات بالشكل الذي يضمن انتظام عملية التكامل في النشاطات والفعاليات، وغالباً ما تناط مسؤولية قيادة القبيلة بشيوخها أو من ينوب عنهم.

. طبقة الوجهاء: وهم من الأشخاص الذين يتمتعون بالمكانة الاجتماعية والخبرة التي تؤهلهم للقيام بمهام قيادة القبيلة في حال غياب شيوخها، وهم على معرفة ببطون القبيلة وفروعها وأنسابها، إضافة إلى أنهم يمثلون هذه البطون والفروع؛ ومع ذلك فهم يتفاضلون في أعمارهم وكفاءاتهم بحسب خصوصيات التجارب التي تميز كلاً منهم.

. طبقة الفرسان: وهم من الأشخاص الذين لا يتمتعون بذات الخبرة التي يتمتع بها الوجهاء، وتضم هذه الشريحة مجموعة من الفرسان الذين تناط بهم مهام خاصة تتعلق بحماية القبيلة أو ما يتحدر عنها من فروع، وغالباً ما يكون الشباب الأساس في هذه الشريحة؛ لما يتمتعون به من قوة وقدرة على المثابرة وتحمل الصعاب التي تواجههم في أثناء دفع الغزوات التي تهاجم القبيلة، أو الغزوات التي تقوم بها إزاء الآخرين.

. طبقة العامة من أفراد القبيلة: وتضم مجموعة الأشخاص الذين لم يعودوا قادرين على مجابهة الصعاب، أو القيام بالمهام الخاصة، وغالباً ما يقوم هؤلاء بالأعمال الاقتصادية المتعلقة بتربية الحيوان ورعايته، والعمل على تأمين مستلزمات الإنتاج الرعوي بأشكاله المختلفة، الذي يجد آثاره في تأمين حاجات الأسر من جهة، وفي قوة القبيلة وشدة بأسها من جهة أخرى من خلال ما تفرضه عليهم القبيلة من التزامات مالية وعينية.

. طبقة الخدم: وهم من الموالين للعشيرة الذين يمارسون أعمالاً متممة بحسب مهاراتهم وكفاءاتهم وطاقاتهم، مع أن أصولهم الاجتماعية لا تعود إلى العشيرة نفسها، إنما أصبحوا كذلك لأسباب مختلفة؛ منها طرق البيع والشراء التي كانت سائدة في الماضي، وكان منها الوقوع في الأسر إثر الغزوات وعدم القدرة على التحرر من نتائجه، وتحول الأسير إلى عبد، ومنها هروب من أقدموا على أفعال يعاقب عليها العرف العشائري في عشائر أخرى وطلبهم الحماية من وجوه القبيلة وزعمائها مقابل العمل بخدمتهم لأجل ما.

أجيال القبيلة وتحول الفروع إلى أصول:

الجيل

القبيلة

البطن

الفخذ

الحمولة

الأول

العنزة

ضنأمسلم

الجلاس

الرولا

الثاني

ضنأ مسلم

الجلاس

الرولا

الجمعان

الثالث

الجلاس

الرولا

الجمعان

المرعض

الرابع

الرولا

الجمعان

المرعض

السبتة

(الجدول (1

إن عدداً كبيراً من القبائل المشهورة اليوم التي يقدر عدد أبنائها بالملايين لم تكن كذلك في فترة سابقة، وربما كانت بطناً من بطون قبيلتها الأم، أو فخذاً من أفخاذها، لكنها باتت اليوم بسبب ازدياد عدد أبنائها قبيلة لها بطونها وأفخاذها ولها فروعها المتعددة، حتى أصبح مفهوم القبيلة يتصف بالنسبية، فقبيلة العنزة اليوم ليست هي نفسها قبيلة العنزة التي كانت قبل مئة عام، وهي غيرها بعد مئة عام، ويتضمن الجدول رقم (1) توضيحاً لتحول الحمولة في الجيل الأول إلى فخذ في الجيل الثاني، وإلى بطن في الجيل الثالث، وإلى قبيلة في الجيل الرابع، الأمر الذي يفسر الخلط في التمييز بين العشيرة والفخذ والبطن، فيسمى البطن عشيرة أحياناً، وتسمى الحمولة فخذاً أحياناً أخرى تبعاً لسرعة انتشارها وتفرعها وانقسامها.

القبيلة ومظاهر الاستقرار الاجتماعي والسكاني:

تعد القبيلة بتنظيمها الاجتماعي الذي حافظت عليه خلال حقبة طويلة من الزمن استجابة لمجموعة واسعة من العوامل المحيطة بها الاقتصادية والثقافية والسياسية التي كانت تحيط بها، غير أن التحولات الحالية في الحياة الاقتصادية والسياسية وتطور استخدام التقانات ووسائل الاتصال ونمو الإنتاج بأشكال مختلفة تسهم في تقويض دعائم القبيلة، وتفرض عليها أشكالاً جديدة من التنظيم الاجتماعي الذي لم تكن تعرفه في الماضي، فقد أصبح أبناء القبيلة يقيمون في المدن والمراكز الحضرية، ويمارسون أعمالهم في التجارة والمال والتأمين والعقارات، ولهم تنظيماتهم السياسية والاجتماعية والثقافية، كما أن لهم ممثليهم في البرلمانات ومجالس الشورى، الأمر الذي بات يهدد البناء الاجتماعي لمفهوم القبيلة ولكيانها السياسي، وعلى الرغم من كل ذلك لم يستطع أبناء القبائل التحرر من سلطة الروابط العشائرية التي تربوا عليها، فأخذت هذه الروابط تؤثر في أنماط سلوكهم الاجتماعي والسياسي، حتى أخذت تصبغ الصراعات السياسية والاجتماعية بطابعها العشائري الخاص، وتؤثر في الأداء الوظيفي للمؤسسات العامة التي يعملون فيها.

أديب عقيل

القصدية

تصور فلسفي يصف توجه ونزوع الوعي أو الفكر نحو موضوع ما، intentionality القصدية والذي بفضله يصبح الموضوع واقعة داخلية أو معطى للوعي، تنعكس فيه ماهيته وجوهره، بهدف الوصول إلى معرفته. والقصدية ليست فكرة جديدة بحال من الأحوال، كما يشير إليها أصل اسمها نفسه، ففي الفلسفة الإغريقية كانت القصدية تشير إلى «قوة الروح العليا»، كما كان العقل عند الرواقيين حاملاً التوجه والاهتمام. أما في الفلسفة المدرسية (العصور الوسطى)[1] فقد تمت معالجة القصدية في معرض التمييز بين العلوم النفسية والمنطق، فكانت الموضوعات والظواهر النفسية هي مقصودات أولى للفكر، يحصل عليها بالتوجه نحو الموضوع وإدراكه له مباشرة، أما التفكير في هذه المدركات وذلك برجوع الفكر إلى نفسه، فيسمى بالقصد الثاني وهو يفهم القصدية أداة للإدراك والوعي Aquinas موضوع علم المنطق، فالقديس توما الأكويني حيث يصبح الذهن بإمكانياته الباطنة معقولاً بما يطابق الواقع فيتم استيعاب الموضوع في الفكر على مستوى الحس وفي الشق العقلي. ولتفسير انتقال العقل إلى ما هو عام وكلي يضع أوكام مفهوم القصدية في إشارة منه إلى توجه الفكر والأفعال والرموز المنطقية Ockham والسيكولوجية نحو موضوع ما. أما حديثاُ فقد تم استعمال هذا المصطلح عند الألمان مثل وكلاهما يرى أن هدف النظرية Husserl [وهوسرل]و Brentano [فرانتس برنتانو] القصدية وصف وتحليل ارتباط الفكر بموضوع ما؛ للكشف عن ماهية ذلك الموضوع أو الشيء. ولهذا فإن نظرية هوسرل في القصدية تدعى أحياناً «بالموضوعية».

حاول برنتانو في فلسفته أن يدخل القصدية في صلب النشاط النفسي -الذاتي، فقصد بها تركيز الوعي على بعض الظواهر النفسية التي تتمايز نوعيا، بفضل قصديتها، من الظواهر الفيزيائية باعتبارها موجهة إلى شيء ما، أي تكون دائماً وعياً لشيء ما، فإذا قيل عن إنسان إنه قلق فلابد أن يكون هناك شيء ما يرتبط بقلقه. وبحسب برنتانو: لكل ظاهرة نفسية وجهان اثنان: أحدهما التوجه والارتباط بموضوع ما(سواء كان واقعيا أم متخيلاً)، والآخر «إدراك باطني» ينكشف مباشرة، يكون فيه الإدراك هو نفسه الفعل مضمون الإدراك، وتبعاً لعلاقة الوعي الفردي بالموضوع يميز برنتانو ثلاث فئات أساسية من الظواهر النفسية: التصور وفيه يظهر الموضوع حاضرا أمام العقل، والحكم فيه يقبل الموضوع على أنه واقع أو تقرير للواقع ويحكم عليه بالرفض إذا كان غير ذلك، والإدراك والنزوع (ويرتبطان بالرغبة والكراهية) وهما دائماً بعلاقة مع موضوع ما. وإذا كان برنتانو في كتابه «علم النفس من وجهة نظر تجريبية» قد فسر القصدية «بالانكشاف المباشر» لوجود الموضوع في النفس، فإنه في أعماله المتأخرة يسلم بأن قصدية الظاهرة النفسية ليست متصلة فقط بالعقل كموضوع له وجود واقعي، بل وترتبط أيضا«بالعلاقة» التي لاتستتبع عادة وجوده على النحو السابق. أما هوسرل فيعطي للقصدية معنى فينومينولوجي (ظاهراتي)[ر] فالوعي أو الشعور عنده يتجه دوماً إلى موضوع آخر خارجه، فالشعور يقصد موضوعه الذي يغايره في كل لحظة من لحظاته، وبه ميل تلقائي يحيله إلى هذا الموضوع الذي يوجد في حالة «معية». ويعني هوسرل بالقصدية العلاقة الثابتة في ارتباط أفعال الوعي مع الموضوع المعني، والموضوع كما يظهر في الوعي،الموضوع القصدي هو حصيلة تركيب أفعال الوعي في وحدة الوعي بالموضوع، وليس هو الموضوع المستقل واقعياً، أي هو الموضوع الذي تم استيعابه قصدياً فاكتسب وجوداً و«معنى»، وذلك بالنظر إلى تلك الفاعلية التي يمارسها الذهن في التوجه إلى الموضوع للإحاطة به. ولإدراك الموضوع بوصفه ظاهرة قصدية لابد عند هوسرل من الارتقاء بالموقف الطبيعي إزاء العالم إلى الموقف الفينومينولوجي، وهو ما يعرف لديه «بالرد الظاهراتي». في الموقف الطبيعي نصدر أحكاماً على الأشياء كما هي في ذاتها، لكن في

الموقف الظاهراتي يضع هوسرل «العالم بين قوسين» وفيه نمتنع عن إصدار أي حكم على الوجود، مما يجعل تأمل الوعي المحض من دون أحكام مسبقة أمراً ممكناً، أي تأمل ما هو معطى للشعور كظاهرة قصدية يرتبط فيها الاتجاه الباطني أو القصد الشعوري بالموضوع المقصود، ويستعين للتعبير عن القصدية الظاهراتية للوعي، وفيه يلغي Epoch «هوسرل بمفهوم «التوقف افتراض ذات حقيقية وموضوع حقيقي لكي يستبقي القصدية بموقعها بين هذين القطبين. وبتطبيق مبدأ القصد إلى الموضوع والشعور بوجود الموضوع توصّل الوجوديون إلى القول بوجود مثلاً يستعير مفهوم «الإحالة» من أستاذه هوسرل Heidegger [العالم ووجود الذات. هيدغر ليؤكد أن وجود الإنسان يحيلنا دائماً إلى العالم، وهذه الإحالة تجعل من العالم معطى من معطيات الخبرة المباشرة التي يحياها الإنسان في صميم خبرته الواعية، كما تجعل من الوجود الإنساني «وجوداً في قلب العالم» فهناك ثمة تركيب في الوجود يشير إلى أساس مطلق للعالم يكمن فيه الأساس المشترك لكينونة العالم وكينونة الإنسان. والقصدية تصدق على مجالات الشعور كافة، فهي تطال الجوانب الانفعالية أو العاطفية؛ فالمشاعر التي أحسها نحو شخص ما كالحب والكراهية لست أنا من خَلَق هذا الشعور، بل إن الشعور له موضوع يقصده يتعدى مجرد عاطفتي الذاتية ويجعله مستقلاً عني على نحو ما، وهذه الموضوعات القصدية للوجدان عدها العنصر الأولي في الحياة الانفعالية» وهي القيم. ويرتبط » Max Scheler [ماكس شيلر اليوم مفهوم القصد في بعض الدراسات السلوكية المعاصرة بالأفعال الإرادية من حيث النية .والهدف منها

سوسان إلياس

(القومية (مفهوم.

القومية nationalism مذهب سياسي قوامه إيثار المصالح القومية على كل شيء، ويظهر هذا الإيثار في منازع الأفراد، أو في منهج حزب سياسي، يناضل في سبيل قومه، ويدافع عنهم، ويعتز بهم، والقومية قوميتان: ضيقة وواسعة. الأولى تضع نفسها فوق كل شيء، وتتعصب لجنسها أو دينها أو لغتها أو ثقافتها أو تاريخها تعصباً أعمى؛ والثانية تمد بصرها إلى العالم للاقتباس منه أو للإسهام في تقدمه الحضاري. وبين هذه القومية الواسعة والإنسانية الكاملة وحدة عميقة، إذ لايمكن للفرد أن ينمّي ذاته إلا داخل الإطار القومي، كما أنه لايستطيع أن يكون مخلصاً لقوميته بحق إلا إذا عمل على توكيد إنسانيته الكاملة.

وبهذا يعبّر مفهوم القومية عن حالة عقلية لجماعة من البشر تؤلف بينهم صلة اجتماعية عاطفية تتولد من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والثقافة والتاريخ والحضارة والآمال والمصالح المشتركة، ويكون فيها ولاء الفرد للدولة القومية واجباً أسمى.

ويرادف هذا المفهوم للقومية مفهوم «الأمة nation» بوصفها تمثّل مجموع الخصائص المميزة لوجود أمة ما، وحركتها السياسية والثقافية، التي تجعلها مختلفة عن الأمم الأخرى، فلكل أمة كيان متفرد، يختلف عن سواه، لاختلاف اللغات والتجارب التاريخية. ولا تكتسب القومية إلا بالانتماء التاريخي إلى أمة معينة.

مفهوم القومية أيضاً، حين تتخذ صفة حقوقية تنشأ من nationality «وقد ترادف «الجنسية الاشتراك في الوطن الواحد، أي الجنسية الأصلية التي تكتسب بالانتساب إلى أمة، أو إلى أقلية قومية ملحقة بدولة قومية، وتقع ضمن حدودها الرسمية، كالقول: الجنسية الألمانية، والجنسية الفرنسية؛ أو حسب حقوق اكتساب الجنسية التي ينص عليها القانون في كل بلد، كالجنسية الأمريكية. وتغلب الجنسية في هذه الحالة على القومية، على الرغم من تباين الأصول الإثنية للسكان.

للدلالة على وجوب principle of nationalities ويؤخذ بمبدأ القوميات أو الجنسيات اعتبار كل أمة شخصاً معنوياً له الحق في الوجود والتقدم وفقاً لطبيعته. ومن مستتبعات ذلك إقامة دولته الخاصة.

ليس هناك اتفاق تام على الروابط والمقومات الأساسية لتكوين القومية، فساطع الحصري[ر] (1880.1968)، ممثل القومية العلمانية يرى أن «الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو وحدة اللغة والتاريخ (لا وحدة الأصل). لأن الوحدة في هذين الميدانين هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع ووحدة الآلام والآمال ووحدة الثقافة، وبذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى». في حين يركز مفكرون آخرون على العامل الاقتصادي المشترك، ويعطي بعضهم الآخر الأهمية الأولى للعامل الديني والأصل المشترك (الوحدة العرقية)، والإرادة المشتركة. وهذه العوامل ذاتها هي التي يعدّها الحصري عوامل ثانوية، ليس لها تأثير مباشر في القومية.

فالدين لايكوّن عاملاً من عوامل الوجود القومي، فالقومية العربية مثلاً لم تنتشر انتشار الإسلام، كما لم تقتصر اليهودية والنصرانية على قومية واحدة. ولم يجعل قيام باكستان وإسرائيل الدين عاملاً أساسياً في القومية، فما هو إلا استثناء للقاعدة له ما يبرره. وهذا حسب قول الحصري «يفوّت على الأجانب سلاح اللعب بالطائفية، وعلى الصهاينة اعتماد اليهودية أساساً في إطار دعوتها إلى فصل laicism [للقومية». وانطلاقاً من هذا التصور طرحت العلمانية[ر الدين عن الدولة. شعارات القومية الأساسية: الوطن واللغة والتاريخ بديلاً من الدين.

نشأت القومية في أوربا في القرن الثامن عشر، واحتلت دوراً بارزاً في الفكر السياسي منذ الثورة الفرنسية 1789م، في حين تأخر دورها في الشرق حتى منتصف القرن التاسع عشر، وامتد تأثيرها إلى الوطن العربي في الربع الأخير من القرن المنصرم، معلناً يقظة قومية عربية.

وقد مهّد للقومية بمفهومها المعاصر عدد من العوامل والحركات القومية التي امتدت عبر مرحلتين. ارتبطت المرحلة الأولى منها بالحركات القومية التي شهدتها أوربا الغربية (الإقطاعية) ما بين عامي 1300.1800، وقد أسهم بظهورها قيام دولة واسعة ومركزية (بريطانيا وفرنسا)؛ وقيام حركة الإصلاح الديني[ر]؛ وبدء الثورة الصناعية؛ وظهور مفكرين أحرار يؤكدون الهوية القومية. فتولّدت أنظمة جديدة، بدأت بشكل ملكية مطلقة ثم تحولت إلى ملكية دستورية، ثم إلى جمهورية ديمقراطية. وشهدت إثرها بريطانيا في القرن السابع عشر أول ثورة قومية حديثة من خلال الثورة البيوريتانية. واتسمت القومية الإنكليزية، في بدايتها، بدعوة إنسانية عامة، نحو الحرية وحقوق الفرد وقيام مجتمع إنساني يسمو فوق التقسيمات القومية.

وتأثرت المستعمرات الأمريكية في أمريكا الشمالية بالثورة البيوريتانية البريطانية من جهة .من جهة أخرى فقامت فيها حركات قومية مماثلة Enlightenment [وبفلسفة التنويرار

أما فرنسا فقد شهدت مع الثورة الفرنسية 1789 انطلاقة أخرى اتسمت بمفاهيم وشعارات جديدة نادت بحقوق المواطن، وإرادة الأمة، وتحرير الأمم المستعبدة. ثم تلتها الحركة القومية في الولايات المتحدة الأمريكية بطابعها الداعي إلى فكرته العالمية، وهي الحرية والمساواة، ونظام الإرادة الشعبية والديمقراطية. بيد أن الغزوات النابليونية هدمت النظام القديم وأثارت ردود فعل مغايرة، وانقلاباً في المفاهيم، قاد إلى ثورات وحروب، أسهمت في تكوين أوربا القومية الحديثة. لكن هذا لم يحرر ألمانيا وإيطاليا ولم يوحدهما. فانهزمت الحركة القومية الديمقراطية الألمانية عام 1848، كذلك لم يقيض لحركة «الوحدة» إيطاليا القومية الديمقراطية إنجاز الدور المأمول .لها

والمرحلة الثانية تتعلق بالقومية في أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا ما بين عامي 1962.1800. وقد تميزت بالتوسع الاستعماري الكبير الذي بدأته بريطانيا وفرنسا، والذي امتد نحو أرجاء مختلفة من العالم، فأطاح بالامبراطوريات القديمة (العثمانية والإسبانية والنمساوية والهنغارية)، وجرد الشعوب من استقلالها ونهب ثرواتها، وحقق في الوقت ذاته توازن بعض القوى .في العالم

وقد شهدت هذه المرحلة كثيراً من الحروب والغزوات والتنافس بين الدول الكبيرة على المستعمرات، كما شهدت الحربين العالميتين الكبريين، الأولى والثانية، الأمر الذي فجّر قيام

الحركات القومية، في الأقطار المستعمَرة، والتي قادتها نخب ثقافية تعلمت في الغرب، وتبنت أفكار الثورة الفرنسية والألمانية والإيطالية وبرامجها وشعاراتها في الحرية والإخاء، والمساواة، أمثال حركة تركيا الفتاة والعربية الفتاة.

ومع تضارب الاتجاهات السياسية لهذه النخب المثقّفة، تعزز دور الفئات الدينية المحافظة ليمزج الديني بالسياسي، والقومي بالديني، كما أدى فقدان هذه النخب سيطرتها على قيادة الجماهير الشعبية إلى إحباط هذه الحركات القومية، فتولّت نخب من الشيوعيين قيادة هذه الحركات، كما حدث في الصين وڤـييتنام، أو نخب برجوازية كما حدث في الهند.

واهتمت القوى الاستعمارية برسم حدود مستعمرات تضم أقليات قومية وإثنية ودينية متناحرة كما حصل في البلقان وأوربا الشرقية حالياً، والوطن العربي (الأكراد وجنوبي السودان). فأنشأت في الشرق سلطات مركزية محتلة، تقسّم، وتغذّي الانقسام وتعززه عند الحاجة للتناحر والتطاحن، فكانت القيادات البرجوازية التي نمت في ظل الاحتلال وارتبطت به، مساومة ومسالمة عموماً وحريصة على الارتباط بالسلطة الامبريالية. فبرزت حركات قومية عديدة، أهمها الحركة القومية الهندية التي قادتها برجوازية متنوّرة فضّلّت تقسيم الهند على أن تكون أقلية في الحكم الجديد. والحركة القومية العربية بقيادة تحالف عام 1916، الذي ضمّ الشريف حسين وبعض البرجوازيين الصغار، وقد أخفق هذا التحالف بسبب اتفاق قيادته مع بريطانيا، وكذلك نيل بعض الأقطار استقلالها. ثم كان قيام حزب البعث العربي الاشتراكي[ر]، الذي مهّد له زكي الأرسوزي[ر] عام 1940، بدعوته إلى تأليف حزب عربي قومي شعاره بعث الأمة العربية ووحدتها، صاغ منطلقاته النظرية وقواعده البناءة في كتابه الأول «العبقرية العربية في لسانها». ثم حدث انفجار الثورة في مصر، سنة 1952. ومع ذلك فإن الوحدة القومية لم تتحقق على الرغم من

التأييد الشعبي الذي حظي به جمال عبد الناصر[ر] في حياته. كما ظهرت الحركة القومية التركية التي قادها حزب الاتحاد والترقي المحافظ، ثم تولى قيادتها مصطفى كمال أتاتورك الذي قام بإلغاء الخلافة وإقرار العلمانية. وكذلك الحركات القومية التي قادتها الأحزاب الشيوعية في الصين وڤييتنام وكوريا، من أجل تحقيق الاستقلال والوحدة، والتي حققت أهدافها القومية في الصين (1924.1949)، وفي ڤييتنام (1945.1975)، لكنها لم تنجح في كوريا بسبب التدخل الامبريالي المباشر.

وتسعى دول العالم الثالث التي نالت استقلالها، إلى مواصلة نضالها ضد الهيمنة التي تفرضها الامبريالية بالإخضاع العسكري أو السياسي أو الاقتصادي لتحقيق الوحدة القومية. ومن هذه الأمم العرب والأكراد والكوريون. كما تحاول الأقليات التي ألحقت بدول من غير قوميتها، المحافظة على هويتها الثقافية، والعمل للحصول على استقلاليتها وحكمها الذاتي، أمثال «الباسك» في فرنسا وإسبانيا. كما يسعى النضال القومي اليوم في العالم الثالث، إلى استكمال عملية بناء الأمم، بتحريرها من التبعية الخارجية ومن بقايا التخلف الداخلي. وهي عملية تتم بالمواجهة مع الامبريالية عامة، والأمريكية خاصة، كونها تسعى جاهدة إلى تكريس الصراعات الدينية والطائفية في العالم الثالث أمثال الهند والباكستان، وتركيا وإيران، والوطن العربي وبعض دول آسيا.

سوسن بيطار

القياس

في المنطق الصوري هو نوع من الاستدلال الاستنباطي غير المباشر، وضعه syllogism القياس أرسطو، وعرفه أنه «قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم شيء آخر من الاضطرار لوجود تلك الأشياء الموضوعة بذاتها» كالقول: «كل إنسان حيوان»، كل عاقل إنسان، إذن «كل عاقلٌ حيوان».

والقياس المنطقي قسمان:اقتراني حملي واستثنائي شرطي.

أولاً: الاقتراني الحملي، وهو استدلال أو برهان مؤلف بالكلية من قضايا حملية، ولكل قياس مقدمتان ونتيجة واحدة.

والقضايا الحملية أنواع أربعة:

الكلية الموجبة (كل إنسان فان) ورمزياً (كل أ هو ب).

الكلية السالبة (لا إنسان خالد) رمزياً (لا أ هو ب).

.(. الجزئية الموجبة (بعض الأمراض معدية) رمزياً (بعض أ هو ب

.(. الجزئية السالبة (ليس بعض الأمراض معدياً) رمزياً (ليس بعض أ هو ب

، هو استلزام قضية حملية تسمى النتيجة من categorical syllogism فالقياس الحملي قضيتين حمليتين هما المقدمتان، وتشترك كل من المقدمتين بأحد الحدين مع المقدمة الأخرى، وبالحد الآخر مع النتيجة، والحد المشترك بين المقدمتين هو الحد الأوسط، أما الحدان الباقيان فما كان منهما موضوعاً للنتيجة سمي الحد الأصغر، وما كان محمولاً في النتيجة الحد .الأكبر

:ويكون القياس سليماً منتجاً إذا حُقِّق بالقواعد العامة للقياس وهي الآتية

. أن يتألف القياس من ثلاث قضايا، اثنتين منها تشكلان المقدمتين، والثالثة تلزم عنهما ضرورة، .وهي النتيجة

.. أن يتألف القياس من ثلاثة حدود فقط

.. أن يستغرق الحد الأوسط في واحدة من المقدمتين على الأقل

.. ألا يستغرق في النتيجة حد ما لم يكن مستغرقاً في إحدى المقدمتين

.. ألا يكون إنتاج من مقدمتين سالبتين

.. ولا إنتاج هناك من جزئيتين

.. وإذا كانت إحدى المقدمتين سالبة؛ فالنتيجة سالبة

.. وإذا كانت إحدى المقدمتين جزئية؛ فالنتيجة جزئية

.. ولا إنتاج من مقدمة كبرى جزئية وصغرى سالبة

.أشكال القياس وضروبه: للقياس أشكال أربعة تبعاً لموقع الحد الأوسط في المقدمتين

.وهو في الشكل الأول: موضوع في المقدمة الكبرى ومحمول الصغرى

.وفي الثاني: محمول المقدمتين

.وفي الثالث: موضوع المقدمتين

.وفي الرابع: الحد الأوسط محمولاً في مقدمته الكبرى وموضوعا في مقدمته الصغرى

:وقد حدد أرسطو قواعد خاصة لكل شكل من أشكال القياس، وهي

.. أن تكون المقدمة الكبرى كلية، والمقدمة الصغرى موجبة، في الشكل الأول

.. وأن تكون إحدى المقدمتين سالبة، والكبرى كلية في الشكل الثاني

.. وأن تكون المقدمة الصغرى موجبة، والنتيجة جزئية في الشكل الثالث

أما الشكل الرابع فقواعده: إذا كانت كبراه موجبة وجب أن تكون صغراه كلية، وإذا كانت صغراه موجبة وجب أن تكون نتيجته جزئية، وإذا كانت إحدى المقدمتين سالبة وجب أن تكون الكبرى كلية.

ولكل شكل من هذه الأشكال الأربعة ضروب تتوقف على اختلاف الكم والكيف في القضايا التي تتألف منها، وقد يتحد الكم والكيف في شكلين مختلفين، وقد يختلفان في الشكل الواحد، وبعض هذه الضروب منتج، وبعضها غير منتج. وقد وضع المناطقة منذ العصور الوسطى للضروب قواعد ردّها بأسماء لاتينية لامعنى لها، ولكنها تساعد على الحفظ والتذكر، ولذلك أسموها المنشطة للذاكرة.وضروب الشكل الأول المنتجة أربعة وهي:

ضرب Barbara . هو ما كانت مقدمته الكبرى كلية موجبة والصغرى كلية موجبة، ونتيجته أيضاً كلية موجبة.

ضرب Celarent . هو ما كانت مقدمته الكبرى كلية سالبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته كلية سالبة.

والضرب الثالث، هو ما كانت كبراه كلية موجبة وصغراه جزئية موجبة ونتيجته جزئية موجبة.

والضرب الرابع، هو ما كانت كبراه كلية سالبة وصغراه جزئية موجبة ونتيجته جزئية سالبة.

ضروب الشكل الثاني: المنتجة أربعة كذلك وهي:

الضرب الأول: Camestres ونتيجته كلية سالبة وصغراه كلية موجبة وكبراه كلية سالبة، هو ما كانت نتيجته كلية سالبة.

والثاني: Cesare ونتيجته كلية موجبة وصغراه كلية سالبة وكبراه كلية سالبة، هو ما كانت نتيجته كلية سالبة.

والثالث: Baroco ونتيجته جزئية سالبة وصغراه جزئية موجبة وكبراه كلية موجبة، هو ما كانت نتيجته جزئية سالبة.

والرابع: Festino ونتيجته جزئية سالبة وصغراه جزئية موجبة و كبراه كلية سالبة، هو ما كانت نتيجته جزئية سالبة.

في حين ضروب الشكل الثالث المنتجة ستة:

الأول Darapti ونتيجته جزئية موجبة وصغراه كلية موجبة وكبراه كلية موجبة، هو ما كانت نتيجته جزئية موجبة.

الثاني Datisi ونتيجته جزئية موجبة وصغراه جزئية موجبة وكبراه كلية موجبة، هو ما كانت نتيجته جزئية موجبة.

، هو ما كانت كبراه كلية سالبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته جزئية Felapton . الثالث سالبة.

، هو ما كانت كبراه كلية سالبة وصغراه جزئية موجبة ونتيجته جزئية Ferison . الرابع سالبة.

، هو ما كانت كبراه جزئية موجبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته جزئية Disamis . الخامس موجبة.

، هو ما كانت كبراه جزئية سالبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته جزئية Bocard . السادس سالبة.

وضروب الشكل الرابع المنتجة خمسة ويكون:

الضرب الأول: كبراه كلية موجبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته جزئية موجبة.

والثاني: كبراه كلية موجبة وصغراه كلية سالبة ونتيجته كلية سالبة.

.والثالث: كبراه جزئية موجبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته جزئية موجبة

.والرابع: كبراه كلية سالبة وصغراه كلية موجبة ونتيجته جزئية موجبة

.والخامس: كبراه كلية سالبة وصغراه جزئية موجبة ونتيجته جزئية سالبة

ويعدُّ الشكل الأول أكمل الأشكال وجميع ضروبه يقينية، أما الأشكال الباقية فتعد أشكالاً ناقصة، لايمكن التأكد من يقينيتها إلا بردها للشكل الأول.

ثانياً: القياس الشرطي conditional:

:وهو القياس الذي يحوي قضية شرطية واحدة على الأقل، وهو أنواع عدة

وهو ما كانت قضاياه الثلاث شرطية سواء أكانت :pure (.القياس الشرطي الخالص (المطلق شرطية متصلة أم شرطية منفصلة.

:وهو نوعان (mixed) . القياس الاستثنائي المختلط

وهو ما كانت مقدمته الكبرى hypothetico-categorical: . القياس الفرضي الحملي

.قضية شرطية متصلة و صغراه حملية و نتيجته حملية

وهو ما كانت مقدمته الكبرى شرطية منفصلة disjunctive: . القياس المنفصل الحملي

.ومقدمته الصغرى حملية ونتيجته حملية

dilemma: . قياس الإحراج

وهو ما كانت مقدمته الكبرى مؤلفة من قضيتين شرطيتين متصلتين ومعطوفتين ومقدمته الصغرى قضية شرطية منفصلة،إما أن تثبت مقدمة الكبرى أو أن تنكر التاليتين منها، وتكون

.نتيجته إما حملية أو شرطية منفصلة

:وسواء كان القياس اقترانياً أم استثنائياً فله أنواع أهمها

.. البرهاني: الذي يتألف من مقدمات واجب قبولها، ويؤدي إلى تصديق يقيني

. الإقناعي: وهو جدلي وخطابي: الجدلي مؤلف من القضايا المشهورة المسلمة لإلزام الخصم، وهو يؤدي إلى تصديق أقرب إلى اليقين، أما الخطابي: فمؤلف من قضايا ظنية ومقبولة ليست .مشهورة، لإقناع من هو قاصر عن إدراك البرهان

. الشعري: وهو الذي لا يوقع تصديقاً البتة، ولكن تخيلاً فقط، فيرغب النفس في شيء أو ينفرها .منه

.«. السوفسطائي: «وهو الذي يتراءى أنه برهاني أو جدلي ولا يكون كذلك

:وهو صنفان polysyllogism أما القياس المركب

الأول: يجمع بين قياسين أو أقيسة عدة تكون نتيجة مقدمة للقياس الثاني ونتيجة الثاني مقدمة .للثالث، لهذا سمي بالقياس المركب الموصول النتائج

؛ ومؤلف من قياسين أو أكثر حذفت Sorites أما الثاني فهو القياس المركب المفصول النتائج .جميع نتائجه ما عدا النتيجة الأخيرة و صورته الرمزية

وهو قياس لايتبع القواعد المعروفة ويكون بحذف إحدى enthymeme: وهناك القياس المضمر المقدمتين أو النتيجة بحيث يفهم الجزء المحذوف ضمناً، فإذا كانت المقدمة الكبرى هي المحذوفة سمي إضماراً من الدرجة الأولى مثال: أنا أديت واجبي، إذن أنا سعيد.

وإذا كانت المقدمة الصغرى هي المحذوفة سمي الإضمار من الدرجة الثانية، مثال: كل من يؤدي واجبه فهو سعيد، إذن أنا سعيد.

وإذا حذفت النتيجة فقط سمي إضماراً من الدرجة الثالثة، مثال: كل من يؤدي واجبه فهو سعيد، وأنا أديت واجبي.

القياس والعلم

الاستنتاج القياسي وسيلة من وسائل العلم، تساعد على إنجاز العمل العلمي من دون أي خطأ،لأنه يبني قضاياه بناء أكسيوومياً (استنباطياً)، بحيث تكون بعض القوانين مقدمات(مسلمات) ويستنتج منها قضايا جديدة مستمدة بعمليات منطقية ملزمة. ولاسيما أنه لايمكن إضفاء صفة الضرورة المنطقية على بعض القوانين في شروط معينة إلا على أساس استنتاجي، إذ إن نتائج الاستنتاج المنطقي تتصف باليقين التام، لأنها تلزم لزوماً ضرورياً عن المقدمات، في حين نتائج الاستقراء أو غيره من الأساليب تبقى في مستوى الاحتمال، وقلما ترقى إلى درجة اليقين العلمي.

فالقياس بالتآزر مع جميع الأساليب والوسائل العقلية المنهجية يسير بنا إلى اكتشاف الحقائق وسبر المجهول لزيادة آفاق المعرفة والتطور.

فاطمة درويش

(- كانْت (إمانويل

(1724-1804)

فيلسوف ألماني ومؤسس «المثالية الكلاسيكية Immanuel Kant (إمانويل كانْت أو (كانط في Königsberg الألمانية»، و«المثالية النقدية» أو «المتعالية». ولد في مدينة كونيغسبرغ في روسيا) لأسرة من البورجوازية الصغيرة. Kaliningrad بروسيا الشرقية (حالياً كالينينغراد درس في جامعة كونيغسبرغ، وعمل فيها محاضراً ثم أستاذاً ثم مديراً لها وكان يجيد الإنكليزية والفرنسية. لكنه لم ينل درجة الأستاذية إلا بعد عامه السادس والأربعين، وظل في مدينته إلى أن تقاعد على أثر مرض ألمَّ به عام 1799، مات بعدها بأربع سنوات.كان كانْت أول فيلسوف يقضي حياته مدرساً للفلسفة، وطبعت حياته فلسفته، وجاءت كتاباته مرتبة ومنظمة أكاديمياً، فأثرت في عصره وشطرت الفلسفة الحديثة شطرين، «ماقبل كانْت» و«مابعد كانْت»، وسيطرت فلسفته على القرن التاسع عشر برمته، وكانت نتاجاً أصيلاً لما استقاه من سابقيه. تأثرت فلسفته بتيارين كبيرين من تيارات الفلسفة الأوربية، أحدهما النزعة العقلية، كما صاغها Baumgarten وباومغارتن Wolff [، وفولف[ر Leibniz [لايبنِتس[ر ، والتيار الآخر هو النزعة التجريبية التي قرأها عند هيوم[ر Hume [وكان تأثيره شديداً فيه، حتى وصفه أنه «أيقظه من سباته الاعتقادي».

وتنقسم فلسفة كانْت إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة ما قبل 1770 وتسمى «قبل النقدية»، وما بعد 1770 وتسمى «النقدية». وكلمة نقدية وضعها كانْت نفسه، إذ وصف فلسفته الناضجة أنها «مثالية نقدية تقوم على نقد الفلسفة العقلية». وفيها كتب «نقد العقل الخالص» Kritik der reinen Vernunft عام (1781) «مقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلية» Prolegomena zu einer jeden künftigen Metaphysik عام (1783)، و«تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق» Grundlegung der Metaphysik der Sitten عام (1875)، والمبادئ الميتافيزيقية للعلم الطبيعي Metaphysische Anfangsgründe der Naturwissenschaft عام (1786)، و«نقد العقل العملي» Kritik der praktischen vernunft عام (1788) و«نقد ملكة الحكم» Kritik der Urteilskraft عام (1790) و«الدين في حدود العقل المحض» Die Religion innerhalb der Grenzen der blossen vernunft عام (1793) و«السلام الدائم» Zum ewigen Frieden عام (1795). و«ميتافيزيقا الأخلاق» Metaphysik der Sitten عام (1797) في جزأين، الأول «المبادئ الميتافيزيقية للحق»، والثاني «المبادئ الميتافيزيقية للفضيلة».

ويجمع كانْت في كتابه «نقد العقل النظري» بين النزعة العقلية والتجريبية في مركب واحد، كمحاولة لتبيان قدرة العقل على التفكير في قضايا ما بعد الطبيعة ونسبة الحقيقة في هذا التفكير، عن طريق تبيان حدوده وقدراته، والوقوف عند حقيقة ادعاءاته بمعارف تجاوز الطبيعة. ولم يشك كانْت في المعرفة الرياضية، لكنه شك في المعرفة الميتافيزيقية وفي قدرة العقل على الحصول على هذه المعرفة. ويحسم كانْت هذه المفارقة بمناقشة الأحكام، لأنها أفعال عقلية تتجلى فيها المعرفة الحقة وتحتمل الصدق والكذب ويعتمد عليها العلم، فإذا أمكن تعرف

خصائصها والطريقة التي تتألف بها، أمكن قيام ميتافيزيقا علمية، فيميز بين الأحكام التحليلية والأحكام التركيبية. فالأحكام التحليلية يكون محمولها جزءاً من موضوعها كما القول: «الكل أكبر من الجزء». وتعتمد مبدأ عدم التناقض، وهي أحكام مستقلة عن كل خبرة حسّية، فالحكم فيها أولي قبلي وضروري أي صادق أو كاذب بالضرورة من دون حاجة للتجربة، وكلي لا احتمال ولا استثناء فيه، لهذا فهي أحكام تفسيرية لا تفيد في إقامة العلم.أما الأحكام التركيبية: فيزيد محمولها معرفة على موضوعها، لأن المحمول غير متضمن بالموضوع كالقول: «بعض الأجسام ثقيلة»، ويستدل بالتجربة على أن الجسم ثقيل أو خفيف، وهو حكم تركيبي ذاتي، أما القول: «الأجسام تتمدد بالحرارة» فهو حكم تركيبي لكنه موضوعي لأنه يعبر عن علاقة ضرورية بين الموضوع والمحمول، وهو صادق، فهو حكم أولي قبلي مع كونه تركيبياً. وفي اعتقاد كانْت أن الأحكام التركيبية القبلية تتمثل في الأحكام العلمية (الفيزيائية) وفي الأحكام الرياضية، والتركيب في الأولى يقوم على الإدراك الحسي وفي الثانية يقوم على الخيال. أما الأحكام في الميتافيزيقا فهي تركيبية أولية لكن التركيب فيها ظاهري لايعتمد على الحس ولا على الخيال .وليست أحكاماً موضوعية ولاتستحق أن تسمى علماً

ويرى كانْت أن المعرفة العلمية الحقيقية هي المعرفة التي تُقوم بالحس والفهم، أو التي مصدرها الإدراك الحسي والتفكير، أو التي يكون موضوعها الوجود الخارجي، وما يضيفه الفكر من عنده على التجربة. ومهمة النقد معرفة ما يأتي من الخارج، وما يضيفه الفكر عليه، ويسمي كانْت إضافات الفكر صوراً أو إضافات صورية، ويسمي مذهبه بالفلسفة المثالية التصورية، أو المتعالية ويميزها من التصورية المطلقة التي تصف المدركات (transcendental (الترانسندنتالية الحسية بأنها ظواهر، وتجعل العقل حدسياً، بينما الحقيقة عند كانْت في التجربة ومدركات .العقل ظواهر، والعقل نفسه صوري ووظيفته معاينة توحيد التجربة

ويوضح كانْت أن للتفكير قوة الحساسية الصورية، وهي غير الحساسية التجريبية التي تدرك ما يصلها من أحاسيس مصدرها العالم الخارجي كالكيفيات البحتة: اللون، الصلابة، الحرارة. في الزمان والمكان. أي إن الحساسية الصورية تضفي صورتي الزمان والمكان على المدركات الحسية الخارجية، وترتبها ترتيباً مكانياً وزمانياً، فالمكان والزمان[ر] مدركان عقليان قبليان يطبقان في مجال الرياضة وبهما تكون الرياضيات الخالصة ممكنة. وتكون الرياضيات علوماً أولية، فالحساب هو علم الزمان لأن العدد يتكون من آنات الزمان المتعاقبة، والهندسة هي علم المكان، ولو لم يكن الزمان والمكان حدسين خالصين أوليين لكانت المقادير الرياضية تجريبية وكانت قضاياها نسبية وانهارت الرياضيات البحتة.أما دور الفهم الصوري فله مقولاته المختلفة - وهي تصورات أولية خالصة - التي يصيغ بها تلك الإحساسات بدقة أكثر حيث يتعقل الفهم الموضوعات التي يعرضها الحس عليه لكي يجد المقولة التي بوساطتها يربط الظاهرات بعضها ببعض، فلكل ظاهرة سبب وهو ما أطلق عليه مبدأ السببية[ر]، ثم يضع كانْت جدولاً للمقولات مسايراً تصنيف أرسطو لمقولات (الكم والكيف والجهة والإضافة)، ولكل واحدة منها ثلاثة مبادئ تنظمها شبه وحدة مركزية هي وحدة الوعي الإنساني أو(الأنا المتعالية) بوصفها مبدأً منظماً قبلياً للتجربة وشرطاً أساسياً لتنسيق الظاهرات وجمعها في علاقات كلية ضرورية. ويخلص كانْت إلى أنه ليس في الطبيعة مصادفة أو علّية عمياء، وإنما يتوقف كل شيء فيها على شروط ويحدث بضرورة معقولة، ومبادئ الكمية والكيفية رياضية تبرر تطبيق الرياضيات على العلم الطبيعي، ومبادئ الإضافة والجهة تعني الأشياء بعلاقاتها فيما بينها أو بعلاقاتها بالقوى المدركة، فهي مبادئ حركة وتغير تقوم عليها قوانين الطبيعة. ولكي تكون الطبيعة معلومة لابد أن تتطابق مع شروط الفكر، أو بمعنى آخر (الاستنباط الصوري أو الترانسندنتالي)، إن شروط الطبيعة تستنبط من شروط الفكر.

والميتافيزيقا عند كانْت هي العلم الذي يدّعي إدراك موضوعات خارج نطاق التجربة، وليست .علماً بالشيء بالذات. ولاتكون علماً إلا بامتلاك حدس عقلي

ويحلل كانْت الأفعال الأخلاقية فيجد أن صورة الفعل الأخلاقي إنما هي إرادة العمل وفقاً لقانون عام، والإرادة العاقلة التي هي «خيّرة بذاتها» هي المبدأ أو القانون الأخلاقي، فالإنسان إذا احترم عقله، احترم إنسانيته وكان إنساناً طيباً خيراً، فالإرادة العاقلة هي بعينها الإرادة الخيّرة التي تقصد الخير من أجل ذاته، وأفعال الإنسان الصادرة عنها غير مشروطة بغايات أو مقاصد أو شهوات خارجية، والذي يدفع الإنسان لسلوك الإرادة الخيرة، هو صوت الواجب. وأفعال الإنسان تصدر إما عن الشعور بالواجب أو تكون مطابقة للواجب، في الأولى يكون الإنسان بصراع مع نزعاته الطبيعية، أما في الثانية ففعله منزّه عن الأغراض والغايات مما يعطي للواجب معنىً عقلياً، إنها إذاً عاطفة احترام الواجب لذاته، وهي عاطفة أصيلة تدفع المرء في أفعاله لاحترام الواجب كقانون أخلاقي، لايتجه إلى شيء خارج عنه إلا بوصفه قانوناً، لكن الإرادة الإنسانية ناقصة وتخضع لدوافع حسية تعارض القانون الأخلاقي (الواجب) فينقلب الواجب إلى أمر مطلق يقيد الإرادة مباشرة من دون قيد أو شرط، ويستحيل إلى Katagorischer Imperativ ضرورة كلية عامة يصبح معها الفعل الأخلاقي قاعدةً عامة لجميع البشر، وهذا مضمون قول كانْت «اعمل دائماً بحيث يكون فعلك قانوناً كلياً»، وعندها يتحرر الفعل من الدوافع والرغبات والميول الذاتية ويصبح كلياً. وإذا كان هناك ثمة غاية للفعل الإنساني، وليس فقط قوة العمل بناءً على تصور القانون، عندها ستكون غاية يضعها العقل وحده ولا ترجع إلى شيء خارجي، وستكون الإرادة هي المشرِّع الوحيد والكلي للقانون الأخلاقي بالعودة إلى العقل وحده. فالواجب ليس ممكناً إلا بالحرية لأنه إذا كان على الإنسان واجب لابد من أن تكون له القدرة على أدائه،

والقانون لا يعمل إلا بالنسبة إلى كائن حر فالقانون علّة الحرية، والحرية علّة وجود القانون. ويجب أن يفعل الإنسان الخير، لكن هناك الخير الخلقي هو إرادة العمل وفقاً للواجب، والخير الطبيعي القائم على الميول الحسية، ومنهما يتركب الخير الأسمى وهو مركب من الفضيلة والسعادة، وهما معنيان متغايران: فالفضيلة معنى عقلي وهي كلية ترجع إلى القانون الأخلاقي، وللسعادة معنى حسي جزئي، ولكي يتحقق الخير الأعظم لابد من التسليم بعالم علوي وفاعل تتحد فيه الفضيلة والسعادة وهو الله، فوجود الله ضروري يستلزمه العقل العملي (الأخلاق) عندما عجز العقل النظري عن البرهنة عليه، فالحرية والله والخلود مسلمات عملية ومن ثمّ عقائد لا شخصية. وإذا كان الواجب صادراً ليس فقط عن العقل بل أيضاً عن الله، عندها يكون الدين قائماً على الأخلاق التي مصدرها العقل وليس الدين هو المفضي إلى الأخلاق.

لقد أثر المذهب الكانْتي (الكانطي) تأثيراً كبيراً في التطور اللاحق للفكر الفلسفي والعلمي، التي ظهرت في النصف الثاني Neo-Kantism «خاصة في المثالية الألمانية «الكانْتية الجديدة من القرن التاسع عشر تحت شعار «العودة إلى كانْت»، والتي مثلتها أكبر مدرستين ألمانيتين ر:الفلسفة] Baden أو بادن Freiburg ، ومدرسة فرايبورغMarburg هما: مدرسة ماربورغ الألمانية].

سوسان إلياس

(كروتشه (بنديتو.

(1866 1952.)

، فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي إيطالي من أتباع المدرسة Benedetto Croce بنديتو كروتشه إيطاليا)، وتوفي في نابولي. نجا) Pescasseroli الهيغيلية الجديدة. ولد في بسكاسيرولي بأعجوبة مع أخيه من الزلزال الرهيب الذي ضرب كازاميشيولا (جزيرة إسكيا) سنة 1883، والذي ذهب ضحيته أفراد أسرته جميعاً. وكانت حياته عملاً دؤوباً من الدراسات الفلسفية رفعت .ذكره في مجالات النقد الأدبي وعلم الجمال وتاريخ الثقافة وعلم التاريخ

اهتم كروتشه بالسياسة، وشغل مناصب مهمة عدة، منها عضوية مجلس الشيوخ (1910)، ووزارة التعليم العام بعد الحرب العالمية الأولى (1920)، ورئاسة الحزب الليبرالي بعد الحرب .(العالمية الثانية (1944.1974

بقي نشاط كروتشه خارج نطاق الأوساط الأكاديمية الرسمية، فقد أصدر بالتعاون مع زميله La Critica «مجلة «النقد Giovanni Gentile (جوفاني جنتيله (1875.1944 ، كما أسس في سنة 1946 معهداً للدراسات التاريخية في نابولي، وتولى بنفسه تقديم (1903) .المقر والمكتبة

كتب كروتشه كثيراً من الأبحاث والكتب، وقد تنوعت الموضوعات التي كتب فيها، وتوزّعت بين الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والسياسة والنقد الأدبي، ومن أهم هذه المؤلفات:

Estetica come scienza (كتابه «الأستطيقا كعلم للتعبير وعلم اللغة العام» (1902 del'espressione e linguistica generale ، الذي كان بمنزلة إعلان ببعث المثالية Logica «التاريخية في إيطاليا، في الفترة ما بين 1900 . 1920. وكتابه «المنطق Chióche evivue (، و«ما هو حي وما هو ميت في فلسفة هيغل» (1907(1905) cioche e morto nella filosofia de Hegel ، و« فلسفة العمل في الاقتصاد والأخلاق Filosofia della pratica,economia ed etica (» (1909 ، و« المجمل في علم Breviario di estetica1917) (، و«نظرية وتاريخ كتابة التاريخ» (الجمال » (1913 Teoria e storia della storiografia1932) (، و«تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر» La storia (، و«التاريخ فكراً وحركةً» (Storia d'Europa nel secolo xix1938 come pensiero e come azione.

عند هيغل [ر]، غير أن الروح عند كروتشه der Geist تأثرت فلسفة كروتشه بفلسفة الروح ليست هي الله أو الفكرة، لكنها الواقع أو الخبرة، وتاريخها هو تاريخ الخبرة أو المعرفة، والخبرة أو المعرفة درجات، وهي أربع: أولها الخبرة الإدراكية التي يدرك بها ما هو جزئي وهي حدسية عيانية، عن طريق الخيال؛ وهي المعرفة الجمالية وميدانها علم الجمال، وثانياً: الخبرة الإدراكية التي يدرك بها ما هو كلي، أي معرفة الكلمات، وهي منطقية صورية وميدانها علم المنطق، وثالثاً: الخبرة العملية التي تهدف إلى غايات فردية وميدانها علم الاقتصاد، وأخيراً الخبرة العملية التي تهدف إلى غايات كلية وميدانها علم الأخلاق. ومن ثم يكون للنشاط الروحي مستويات أربعة

هي: الجمال، الحق، المنفعة، الخير. والتاريخ هو وصف نشاط الروح في هذه المستويات أو المراحل، وهذه هي الحقيقة بكاملها عند كروتشه، ويطلق عليها اسم اللحظات الأربع، وهذه اللحظات ليست منفصلة بعضها عن بعض، بل إن كل لحظة تمثّل الحقيقة العيانية كاملة.

أما في فلسفة الفن [ر]؛ فيرى كروتشه أن الفن رؤية وحدس كموضوع خارجي (شيء أو شخص) أو كموضوع داخلي (عاطفة أو مزاج)، يعبر عنه الفنان باللغة أو اللون أو النغم أو الحجر، ولا ينفصل التعبير عن الرؤية، حيث يمزج بينهما العمل الفني، ومن ثم يستوي القول إن الفن مضمون أو إنه شكل. والعمل الفني هو صورة ذهنية يؤلفها الفنان ويعيد متذوقو الفن تأليفها، وليس الفن سوى عرض الشعور مجسماً في صورة ذهنية.

ولا ينبغي الخلط بين الفن وبين المعرفة الجمالية التصورية، فالفن ليس سوى نشاط الروح، والجمال غير موجود في الطبيعة؛ لأن الجمال والفن فكرة واحدة من الممكن التعبير عنهما بلفظين مختلفين، وعلم الجمال [ر] هو العلم الذي يدرس تجلي الروح في جميع مظاهره والذي تعبر فيه الروح عن نفسها في أمثلة جزئية مجسمة. وليس المعنى الأخلاقي أو الديني في الأثر الفني هو الذي يُكّون الجمال، لأن الجمال لا يوجد فقط في المضمون، إنما في الشكل والمضمون معاً، وهذه الرابطة تقوم في العاطفة والخيال معاً، باعتبارها تركيباً قبلياً للعيان الجمالي الحسي. ولا يوجد موضوع فني خارج الوحدة العضوية بين الخيال والعاطفة، والصورة الخالية من العاطفة هي شكل خاوٍ، وكذلك العاطفة من دون صورة هي مادة عمياء، فهنالك وحدة بين الخيال العقلي وبين التعبير عنه، فلا توجد صورة جميلة من دون ألوان وخطوط، كما لا توجد صورة موسيقية من دون نغمات وتوافقات، ويعتبر كروتشه أن الشعر هو الدرجة الأولى في الفن.

مارست فلسفة كروتشه الغنية تأثيراً قوياً في الفلسفة الإيطالية والأوربية برمتها، واحتلت أعماله مكانة بارزة في كلاسيكيات مثالية القرن العشرين، فكان له أثر كبير في معظم من أتى بعده من المفكرين والفلاسفة.

عصام عبود

(كونت (أوغست.

(1798 1857.)

فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، ولد في مدينة مونبلييه Auguste Comte أوغست كونت ، وشغل وظيفة معيد بمدرسة الهندسة بعد إتمامه دراسته الجامعية، وسكرتيراً Montpellier لسان سيمون[ر]، فساعده على إخراج كتبه ومؤلفاته وأبحاثه إلى حيز الوجود، وسرعان ما أصبح .من المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع الحديث

تأثر أوغست كونت في فلسفته الاجتماعية بمن سبقه من مفكرين وفلاسفة في القرن الثامن عشر، وتفاعل مع الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي شهدتها بدايات القرن التاسع عشر، وعاصر تقدم العلوم والاكتشافات التي شهدتها تلك الفترة، واستطاع أن يكون لنفسه فلسفة اجتماعية هدفها إعادة تنظيم المجتمع؛ لما وجد فيه من تناقضات وتوترات دفعته إلى التفكير في .أسس التنظيم الاجتماعي أكثر من اهتمامه بمظاهر التغير وأشكاله

أخذ كونت بدراسة المشكلات الاجتماعية بروح عقلية مبنية على فلسفته في التغير الاجتماعي، وعلى تصوراته أهمية علم الاجتماع بالمقارنة مع العلوم الأخرى، ومن مؤلفاته المهمة في هذا الذي كتبه في ستة Cours de philosophie positive «السياق «الفلسفة الوضعية «أجزاء، وبدأ نشره في عام 1830 وانتهى منه عام 1842، و«دروس في الروح الوضعية

Système «عام 1844 و«نسَق السياسة الوضعية Discours sur l'esprit positive في أربعة أجزاء نشرها بين عامي 1851 - 1854، و«عقيدة de politique positive «عام 1852، و«التأليف الموضوعي Le Catéchisme positiviste «الدين الوضعي Synthèse subjective 1856 عام.

كونت والدعوة إلى تأسيس علم الاجتماع

يميز كونت في دراسته للعلوم بين ستة علوم أساسية يرتبها من الأبسط إلى الأكثر تعقيداً على النحو الآتي: الرياضيات، علم الفلك، علم الطبيعة، علم الكيمياء، علم الحياة، علم الاجتماع، ويرى أن هذه العلوم مبنية على الاستقراء الذي يعني بالنسبة إليه دراسة الواقع؛ للخروج بنتائج وقضايا نظرية، وعلى هذا فإنه لا يوجد لدى كونت علم عقلي بحت، وأن الفلسفة الواقعية هي جملة العلوم التي تعتمد على الواقع في تقرير نتائجها، ويعد علم الاجتماع بالنسبة إليه آخر هذه العلوم وأكثرها تعقيداً وتركيباً، ويقوم على دراسة المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية؛ مما يستوجب تطبيق المنهج الموضوعي في دراسة الظواهر على أساس الملاحظات التي يمكن أن تنتهي بعلم الاجتماع إلى قوانين اجتماعية عامة تفسر الظواهر المنتشرة في حياة الناس، وكثيراً ما يسميه بالفيزياء الاجتماعية أو العلم الاجتماعي الطبيعي ليدلّ من خلال ذلك على المنهج الاستقرائي في هذا العلم.

لقد دفعته رغبته القوية في إصلاح المجتمع - لإنقاذه من مظاهر الفوضى المنتشرة في مختلف شؤون الحياة من سياسية واقتصادية وأخلاقية وتربوية - إلى التفكير بإنشاء هذا العلم ووضع

معالمه الأساسية، إيماناً منه بأن الفلسفة ليست غاية مطلقة بذاتها، إنما هي وسيلة للوصول إلى غايات عملية تخدم أغراض الإصلاح الاجتماعي، وتسهم في الارتقاء بالمستويات الاجتماعية والأخلاقية والدينية.

كونت والنظرية الوضعية في علم الاجتماع

حاول كونت في دعوته إلى تأسيس علم الاجتماع أن يسبغ عليه طابع الفلسفة الوضعية، وسرعان ما ظهر ذلك على البدايات الأولى لعلم الاجتماع، فالفلسفة الوضعية تدَّعي أن الحقائق الاجتماعية يجب أن تعامل بوصفها أشياء، وأن الباحثين فيها يجب أن يعتمدوا مدخلاً موضوعياً، وبهذا يمكن الوصول إلى تعميمات ميدانية تُستمد منها القوانين المفسِّرة للمجتمع، وتصنف هذه القوانين في نوعين أساسيين: الأول خاص بقوانين التغير الاجتماعي، والثاني خاص بقوانين الثبات الاجتماعي.

كما قدم كونت قانونه الشهير بقانون الحالات الثلاث الذي يبين فيه المراحل الأساسية التي مر بها الفكر الإنساني حتى بلغ حالته الراهنة، وهي تظهر تطور الفكر الإنساني بصورة تدريجية، من المرحلة الأولى التي يتميز فيها الفكر في كل فرع من فروع المعرفة برؤيته الدينية واللاهوتية للأشياء، إلى المرحلة الثانية التي يأخذ فيها الإنسان بتفسير الظواهر على أساس ميتافيزيقي مجرد، أما المرحلة الثالثة والأخيرة التي توصل فيها الإنسان إلى التفكير العلمي أو الوضعي فهي المرحلة التي يعيشها الإنسان في العصر الحديث، وتتصف بأنها مرحلة نهائية وحتمية، وقد أعطى كونت فكرة واضحة عن الهدف النهائي للوضعية عندما أشار إلى أنه في كل مرحلة من مراحل

تطور الفكر البشري يصل الفكر إلى قمته في رؤيته للأشياء، ثم ينتقل بعدها إلى المرحلة التالية برؤية جديدة، ففي نهاية المرحلة الأولى توصل الفكر البشري إلى فكرة التوحيد التي دفعته إلى المرحلة الثانية التي انتهت أيضاً بفكرة أنه من خلال الطبيعة يمكن تفسير الظواهر والأشياء، وفي المرحلة الأخيرة يعتقد كونت أن كل الظواهر الطبيعية تصبح مفهومة بالقوانين التي تحكم حركتها وسيرورتها في الطبيعة، مثل قانون الجاذبية الذي أصبح يفسر عدداً كبيراً من الظواهر التي لم تكن مفهومة في الماضي.

طلال مصطفى

كوندورسيه

(1743 1794.)

Marie Jean Antoine ماري جان أنطوان نيقولا كاريتا، المركيز دي كوندورسيه Nicolas Caritat, marquis de Condorcet، فيلسوف ورياضي وموسوعي فرنسي، وأحد أبرز المشاركين في الثورة الفرنسية عام 1789، ومن أشد أنصار فولتير حماسة، وصديق بمقاطعة بيكاردي بفرنسا. تسلّم العديد من المناصب Ribemont دالمبير. وُلد في بلدة ريبمون الإدارية الرفيعة، كان آخرها رئيساً للجمعية التشريعية في باريس عام 1791. وعمل محرراً في جريدة «أخبار باريس» ثم أسس «جريدة المجتمع». وقد نادى كوندورسيه بإصلاحات عديدة على مستوى التعليم والدستور والمساواة والديمقراطية، لكن اتهم عام 1793 بالخيانة والخروج على مبادئ الثورة، والتآمر ضد اتحاد وتماسك الجمهورية الفرنسية، فهرب ولزم مخبأً في باريس، Esquisse «كتب فيه تحفته وكتابه الشهير «مجمل صورة تاريخية لتقدم العقل البشري نشر عام) d'un tableau historique des progrès del l'esprit humain 1795 بعد وفاته)، وكان ينوي أن يكون مقدمة لكتاب أكبر في تاريخ العلوم وآثارها الاجتماعية، لكن القدر عاجله إذ خرج من مخبئه فقبضت الشرطة عليه وأودع أحد السجون القريبة من باريس، ومات في الليلة نفسها، ربما من الإرهاق أو مسموماً.

يُعدّ كتابه «مقال في تطبيق التحليل على احتمالات رأي الأغلبية» (1785) سابقاً لزمنه، وما تزال آراؤه حيّة، وكان يريد به أن يجعل لعلم الإنسان يقيناً كيقين العلوم الطبيعية الذي قال به

؛ وذلك بتطبيق حساب الاحتمالات عليه، وإنشاء ما (1596-1650) Descartes [ديكارت
،أطلق عليه علم السلوك mathématique sociale «أسماه «علم الرياضيات الاجتماعية
.الإنساني

وقد ترك كوندورسيه كثيراً من الأبحاث والكتب، التي اتسمت بروح البساطة والسهولة والأسلوب
.البليغ منها

. مقالة في الحساب التكاملي (1767)، مذكرة عن مسألة الأجسام الثلاثة (1767)، حياة توغو
(1776)، حياة فولتير (1787)، رسالة فلسفية وسياسية (1790)، أفكار عن ثورة (1688)،
. (وثورة أغسطس (1792

تنوعت أفكار كوندورسيه ونظرياته وشملت موضوعات عدة تركزت حول المعرفة والحرية
والمساواة والتعليم العام والتقدم، ومستقبل الإنسانية، والحضارة العربية وتأثيرها في النهضة
.الأوروبية، وأخيراً فلسفة التاريخ التي تعدّ من أهم إنجازاته نظراً لأصالتها

John Locke [وتأثر كوندورسيه في نظريته عن المعرفة الحسية بأفكار جون لوك
ورأى أن الإنسان مزود باستعداد فطري نابع عن تلقي الإحساسات، التي تقسم (1632-1704)
إلى نوعين: بسيطة ومركبة، وقد ألغى المبادئ العقلية الفطرية لأن المعرفة عنده ترجع إلى
الحواس التي تبدأ بسيطة ثم تتجمع في صورة إحساسات مركبة، وعارض بهذا نظرية ديكارت في
.المعرفة التي تعتمد أساس المعرفة المبادئ العقلية النظرية

كما دعا كوندورسيه إلى تخليص التفكير الإنساني من سيطرة رجال الدين والخرافة والأفكار المسلم بها سابقاً، ونادى بتحقيق المساواة بين الجميع في الملكية والمستوى الاجتماعي والتعليم والحقوق السياسية، والمساواة بين الرجل والمرأة، ونادى بحرية العقيدة والتسامح بين جميع الأديان. وطالب بفصل التعليم عن الحكومة والدين وحماية التعليم من أهواء الحكام، بحيث تدرّس العلوم الموضوعية في المدارس، ويدرّس الدين في المعابد. ورأى أن وظيفة التعليم في المرحلة الابتدائية ترسيخ قيم الحقوق والواجبات وخلق المواطن الصالح عقلاً وروحاً، ومهمة التعليم العالي توفير المتخصصين والفنيين في العلوم والآداب. وأكد أن التقدم أمر حتمي للحياة الإنسانية في جميع جوانبها، وأن أساس تقدم الإنسانية هو تقدم العقل البشري، الذي به تتقدم الجوانب الإنسانية المادية والاجتماعية.

وقد وجد كوندورسيه في دراسته للحضارة الإسلامية والنهضة العربية إبان العصور الوسطى أن للدين الإسلامي دور أساسي في تطوير وتهذيب أخلاق وعادات العرب، ولاحظ أهمية العرب ومكانتهم في تقدّم التاريخ الإنساني من حيث دراستهم أرسطو وترجمتهم كتبه. فقد وضعوا أسس علم الفلك والبصريات والطب، وزودوا هذه العلوم بالحقائق الرئيسية، وإليهم يرجع الفضل في تعميم استعمال الجبر واختراع الكيمياء. ويرى كوندورسيه أن ازدهار علوم العرب يعود إلى أجواء الحرية والمساواة التي كانت سائدة في المجتمعات العربية، ولم يُنكر كوندورسيه استفادة الغرب من بعض آثار العرب التي أدت إلى النهضة الأوربية وسيادة مبادئ الحرية في أوربا.

وقد ربط كوندورسيه فكرة التقدم بنظريته في فلسفة التاريخ، فوضع قانوناً عاماً لسير التاريخ الإنساني، يرى فيه أن الإنسانية تسير تاريخياً في طريق التقدم العلمي وأساسه العقل، ويستند هذا

القانون العام على أساس النظر إلى المجتمعات الإنسانية وتاريخ البشر نظرة كلية عامة، وقد قسّم مسيرة تقدّم الإنسانية إلى عشر مراحل تبدأ بالإنسان الصياد، فالإنسان الرعوي، فالإنسان الزراعي، ثم مرحلة الثقافة العلمية التي بدأت في القرن السادس عشر، ومن ثم مرحلة الثورة الفرنسية، أما المرحلة العاشرة فما تزال في حيز المستقبل.

عصام عبود

كونفوشيوس والكونفوشيوسية

(551 ق.م 479.)

هو الاسم الأشهر بالصيغة اللاتينية للاسم الصيني كونغ فو تسو Confucius كونفوشيوس ويعني الأستاذ أو المعلم «كونغ فو»)، وهو واحد من أكبر معلمي العالم (Kung Fu-Tzu القديم وفلاسفته، وأشهر حكماء عالم شرقي آسيا وخاصة الصين واليابان وكوريا وڤـييتنام، والمنظِّر السياسي الأول في امبراطوريات الصين القديمة، وصاحب أقوى تأثير في المجتمعات الآسيوية الشرقية منذ القرن الثاني ق.م حتى اليوم، وإليه تنسب المدرسة الكونفوشية ، أولى المدارس الفكرية الصينية القديمة، وهي فلسفة ومذهب تربوي من Confucianism .أكبر المذاهب في العالم

الصينية في الإقليم الذي يعرف حالياً باسم سو - شويه Lu (ولد كونفوشيوس في مقاطعة (لو Kung وقد عرفه الصينيون بأسماء أخرى هي: كونغ تسو .(Shun-Tung (شون - تونغ لايعرف كثير عن أسرته ويرجح .Chung-Ni وتشونغ ني Kung Chiu وكونغ تشيو Tzu أنه كان ينتمي إلى عائلة نبيلة فقدت ثروتها. توفي والده وهو صغير، ولعدم تمكنه من الإنفاق على تعليمه، انحصر طموحه في تعليم بسيط يكفل له الانتماء إلى حاشية أحد ولاة الأقاليم أو حكام الصين في محاولة لتطبيق أفكاره الإصلاحية في مجتمعه، لكنه أخفق، فانصرف إلى العمل معلماً أو موظفاً ثانوياً، في الوقت الذي عانت فيه الصين انقسامَ ولاياتها وصراع بعضها مع بعض صراعاً أودى بكثير من المعايير الأخلاقية. وقد وجد كونفوشيوس أن التهاون في معالجة هذه الظواهر اللاأخلاقية يمكن أن يدمر مجتمع الصين بجميع مظاهره الحضارية الخاصة، ورأى أن

خير طريقة لمعالجة هذا الوضع المتردي الذي انحدر إليه مجتمعه، هو إعادة تشكيل قيم الإنسان وصياغة فكره للوصول إلى مجتمع متماسك قادر على بناء حضارته من جديد، وذلك عن طريق استعادة معايير السلوك الموضوعية عن الفرد، إضافة إلى توسيع حدود المسؤولية عند المواطن والجماعة والحكومة في آن واحد.

ودعا كونفوشيوس الناس في المجتمع الصيني من مواطنين ورجال حكم إلى السعي من أجل تكوين (المواطن المحترم)، قائلاً: «عندما يكون المواطن محترماً فإن الوطن سيقدم وقتها الحاكم المحترم، وإذا أصبح الحكام محترمين، فإن سلوكهم سيكون دافعاً أقوى بمرات عديدة من العقوبات في توجيه المواطن، لأن نموذجهم هذا سيلهم المواطنين التزام أساليب الحياة الطيبة التي أساسها احترام الآباء كما الحكام إضافة إلى الصدق في العبادة». وخلص كونفوشيوس إلى القول: إنه ليس من الضروري والحالة هذه أن ينتسب المواطن المحترم إلى سلالة أو نبالة أو طبقة اجتماعية معينة، بل أن تكون تربيته في أسرته وتوجيهه في مجتمعه مرتكزة على القاعدة الذهبية القائلة ر:] Tao «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به»، ووصف هذا الإطار كله بأنه الطريق أو الطاو [الطاوية.

ويُعتقد أن فترة شيخوخة كونفوشيوس كانت الفترة الأخصب في حياته، إذ تنسب إليه فيها وضع خمس كتب قانونية حملت أسماء كتاب «القصائد أو شي كينغ»، وكتاب «الوثائق القانوني أو شوكينغ»، وكتاب «التحولات أو يي كينغ»، و«مذكرات حول الطقوس أو لي كي»، و«حوليات الربيع والخريف أو تشوين تسيو»، والكتاب الأخير أكثر الكتب التي يعزو المؤرخون كتابتها إلى لكونفوشيوس.

Min- وهو الصيغة اللاتينية للاسم الصيني مين تزو) Mencius ويعد الفيلسوف منشيوس أي المعلم) (371 -289ق.م) أشهر أتباع كونفوشيوس في العصور القديمة؛ المعلم الثاني Tzu في المدرسة الكونفوشية. وقد تضمنت تعاليمه إلى طلابه فلسفته المرتكزة على فكرة أن البشر يولدون بطيبة فطرية، ولهذا من الضروري أن يحافظ المجتمع على هذه الطيبة وتطويرها ما أمكن لتأكيد إنسانية البشر واستبعاد زلاتهم الشريرة، ودعا دائماً إلى استلهام الماضي لأنه منهل الخير والمثل العليا في الحياة، وكذلك النموذج الذي يجب مقاربة المشكلات الحاضرة إليه من أجل اختيار الأفضل، وعلى النقيض من ذلك اعتقد كونفوشيوسي آخر يدعى هسون تزو (298 ، وهو المعلم الثالث في المدرسة، أن طيبة البشر تكتسب اكتساباً من Hsun-tzu (- 238ق.م ممارسة شؤون الحياة، وهي بهذا تكون أقوى وأوقع في النفس البشرية لأنها تكون نابعة من تجربة، .وتتأكد هذه الطيبة بالتعليم الصالح ورعاية المجتمع العادلة

وعلى هذا ارتكزت المدرسة الكونفوشية في تعاليمها على الكتب التي عرفت باسم «الكتب الأربعة أو سوشو»، وتضم «الدرس الأكبر أو تاهيو»، و«المحاورات أو لوين يو»، و«كتاب الوسط الصحيح أو تشونغ ونغ» إضافة إلى كتاب منشيوس، ويعد كتاب الوسط الصحيح الذي ألّفه ابن أخ كونفوشيوس ثبتاً أميناً لأفكار كونفوشيوس التي كانت تميل إلى تبرير تفوق الطبقات العليا .وتعظيم إرادة السماء

وقد لاقت هذه الفلسفات والأفكار وقعاً حسناً في نفوس أباطرة الصين بدءاً من نهاية أسرة تشين (ووصلت ذروتها في فترة أسرة هان (206 ق.م - 220م Chin dynasty ((221 - 206ق.م ، ثم تطورت وسميت بالكونفوشية Taoism [، وتشبعت بالميتافيزيقا الطاوية]Han dynasty وهي مزيج من التعاليم الدينية، تقول بمبدأ كلي واحد، قطباه قوى) syncretic التوليفية

وكان أبرز فلاسفتها تونغ .(Yin-Yang السالب والموجب، أو السلب والإيجاب: أو الين واليانغ Wu «الذي أقنع الامبراطور «وو Tung Chung-Chu (شونغ تشو (176 - 104ق.م Wang- (بتبني الكونفوشية أيديولوجية رسمية للدولة، ووانغ تشونغ (27ق.م - 100م .، الذي أنكر القدر، وقال بقانون لكل كائنChung

في العقول وهيمنت على الشعب الصيني قرابة 800 عام منذ Buddhism [وتغلغلت البوذية]ر سنة 960م، وبات هناك اعتقاد بين كل Sung سقوط أسرة هان (220م) حتى قيام أسرة سونغ المثقفين والسياسيين بأن التفكير الكونفوشي قد مضى إلى غير رجعة، ولكن حركة البعث الكونفوشية، والمعروفة باسم «الكونفوشية المحدثة» بدأت حركة وطنية ضد البوذية الهندية ، Hu Yuan (الدخيلة، وقد مثلّها أصدق تمثيل كل من الحكيم هو يوان (993 - 1059م .Iou Yang Hsiu (والحكيم إيو يانغ هسيو (1007 - 1070م

وقد لجأ فلاسفة الكونفوشية المحدثة إلى اقتلاع البوذية من جذورها وإحياء الكونفوشية في الفكر rationalistic الصيني، وتم ذلك من خلال مسارين متميزين، تمثل الأول في المدرسة العقلية الملقب بتشو لين هسي (1130 - Chu- Tuni أو مدرسة المبدأ وكان أول فلاسفتها تشو توني (، وتشِنغ يي وأخوه الأكبر تشِنغ هاو (1032 - 1085م Chu- Lien- Hsi (1200م وشاو يونغ Chang-Tsai (وعمهما تشانغ تساي (1020 - 1077م Cheng Hao وتمثل الثاني في المدرسة المثالية الحدسية .Shou-Yung ((1011 - 1077 Lu التي تزعمها لو هسيانغ شان School of Mind أو مدرسة العقل Intuitionism وهو اتجاه .Lu-Chu- Yang (أو لو تشو يانغ (1139 - 1193م Hsiang Shan معارض للأول، وقد ظهر فيه أثر البوذية وتعاليم منشيوس. وكان من أبرز أتباعه وانغ يانغ مينغ

، Wang- Shu-Jen ولقبه وانغ شو جن Wang Yang Ming ((1472 - 1529م الذي عمّق الاتجاه البدهي للكونفوشية المحدثة، وحثّ تلاميذه على التعمق في البحث عن التنوير .عن طريق المزج بين التوسط العملي والممارسة الأخلاقية

(وامتد أثر الكونفوشية حتى القرن السابع عشر، ومثّلها وانغ فوتشيه (1619 - 1692 Fung-Yu-Lan واشتهر من فلاسفة الصين الحديثة فونغ يولان .Wang-Fu-Chih المولود (1895)، الذي تعلم في جامعة كولومبيا الأمريكية، وقال بمثالية منطقية، ووصف Hsiung-Shih-Li الأفكار الكونفوشية بأنها مفاهيم صورية، وكذلك هسيونغ شيه لي .المولود (1885)، الذي سمى فلسفته بمذهب الوعي

على أن الفلسفة التي سادت نحو ألفي سنة في ثقافة المجتمع الصيني، ما لبثت أن نزلت عن هذه السيادة لعدد من الأسباب أولها: بداية احتكاك الصين بالحضارة الغربية (منتصف القرن التاسع Ching Dynasty (عشر) وثانيها: خسارتها الدعم السياسي بسقوط أسرة تشينغ (1911م وبداية العصر الجمهوري، وثالثها: ظهور الأفكار الاشتراكية التي اتهمت الكونفوشية بتبجيل الماضي والتمسك بأخلاقياته التي أودت بقوة الصين على حساب الحتمية التاريخية للفكرة الاشتراكية. على أن قدسية الفكر الكونفوشي في المجتمع الصيني تمكنت من النفوذ حتى إلى مبادئ الماركسية الصينية وأكسبتها طابعها الخاص، وهو أمر دفع الحكومة الاشتراكية في الصين سنة 1977 إلى تخفيف وطأتها عن أتباع هذه الفلسفة، مما أدى إلى استعادة الكونفوشية .تدريجياً بعضاً من بريقها القديم

مفيد رائف العابد

اللاسامية

من التسمية «الساميون»، وهي Anti-Semitism نشأ مصطلح اللاسامية أو معاداة السامية في عام 1781م عندما كان يبحث Schlözer مصطلح توصل إليه العالم النمساوي شلوتزر عن اسم جامع للغات العبرية والعربية والآرامية والأثيوبية التي وجدها متشابهة في كثير من خصائصها اللفظية والصوتية والصرفية والمعنوية، فرأى أن التوراة تذكر نوحاً وأولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، وتُعدّد أبناءهم وأحفادهم فيما يسمى بجدول الأنساب. فدعا الأقوام من نسل سام الذين تذكرهم التوراة (سفر التكوين، الإصحاح العاشر) وهم: عابر ونسله العبريون (أو العبرانيون)، وآشور أي الآشوريون، وآرام أي الآراميون، ويقطان وهو تحريف لاسم قحطان كما يبدو، أي العرب، دعاهم ساميين [r]، ودعا لغاتهم التي يتحدثونها «اللغات السامية»، وتوصل من ذلك إلى رأي مفاده أن الشعوب التي سكنت مناطق بلاد الرافدين وبلاد الشام (سورية الكبرى)، وشبه الجزيرة العربية كلها تتكلم لغة واحدة هي اللغة السامية، وأن تلك الشعوب تنحدر من أصل واحد، وتنتسب إلى جد واحد هو سام بن نوح بحسب الرواية التوراتية. وقد شمل المصطلح فيما بعد إضافة إلى الشعوب المذكورة في النص التوراتي الشعب الأكادي والبابلي وشعب أوغاريت، وقسماً كبيراً من أهل الحبشة وإبلا التي تم اكتشاف آثارها الكتابية وتبين أن لغاتها سامية.

الجذور السياسية والاجتماعية والاقتصادية: بدأ الحديث عن «اللاسامية» أو «معاداة السامية» في القرن التاسع عشر، وخاصة منذ عام 1880 عندما ظهر هذا المصطلح أول مرة على يد ، وقصد به معاداة اليهود Wilhelm Marr صحفي ألماني من مدينة هامبورغ، يدعى فْيلهلم مَرْ

أينما كانوا في أوربا الشرقية أو الغربية، وذلك بعد الحرب البروسية الفرنسية التي تسببت بانهيار كثير من الماليين الألمان؛ ما جعلهم يلقون اللوم على اليهود، فقد عدّ هؤلاء ممثلين للسامية، وظهر ذلك على شكل حركة معادية لليهود الذين كانوا يتصفون في آداب الشعوب الأوربية وفي نظرتها إليهم من خلال تعاملهم بالجشع والاستغلال المالي وحب المال وجمعه بطرق غير أخلاقية أو مألوفة عند الأوربيين، كما يبدو في شخصية شايلوك في قصة شكسبير «تاجر البندقية»، وفي قصة «بائع الحليب» الروسية، وغيرها. وقد نشأت هذه العداوة بين الأوربيين - وهم مسيحيون - واليهود الذين يعيشون معهم متأثرة أصلاً باعتقاد ديني، وهو أن اليهود هم الذين صلبوا السيد المسيح بعد أن عادوه وعذّبوه وهزئوا به. ثم تطورت هذه الحركة الدينية إلى (Ghettos حركة سياسية. وقد وجد الأوربيون اليهود يعيشون في أحياء خاصة بهم (غيتو يعزلون أنفسهم عن الناس الآخرين (ولم يعزلهم الناس في أي مكان في العالم حتى في محيطهم الشرقي والغربي) لاعتقادهم الجازم بأنهم فوق البشر، وأنهم «شعب الله المختار»، فاجتمع السبب الديني مع السبب الاجتماعي الانعزالي لليهود، ومع السبب الاقتصادي الذي يتمثل بجشع اليهود وجمعهم المال بكل الطرق المتاحة، وسيطرتهم على السوق برؤوس أموالهم (وهم اليوم يملكون أغنى مصارف العالم، ويمتلكون أكثر أسهمها، وأكبر متاجره ومؤسساته المالية نتيجة حرصهم وقدراتهم المادية).

مظاهرها المختلفة: كان رد فعل الأوربيين أن شككوا في اليهود «الساميين»، فظهرت في ألمانيا جماعات معادية رفعت شعاراً عرقياً اعتزت به، وهو العرق الآري والعصبية الآرية مقابل السامية. وحذر المفكر الألماني هاينريش فون ترايتشكه Heinrich von Treitschke من تدخل اليهود في الثقافة الألمانية ولاسيما بعد أن صاروا يملكون رؤوس الأموال ومن المتنفذين في البلد، وحمّلهم وزر كل المصائب التي تحل بالألمان. وظهر في العام 1912 كتاب لاقى انتشاراً واسعاً في ألمانيا عن

وصم فيه اليهود Werner Sombart اليهود والحياة الاقتصادية، كتبه فـِرْنَر سومبارت بأنهم ممثلو الرأسمالية الطفيلية والمحتكرة. وفي ذلك الوقت كان نشوء اللاسامية يظهر في فرنسا أيضاً ويتنامى الشعور بالعداء لليهود، فظهر كتاب «فرنسا اليهودية» للكاتب إدوار دريمون عام 1886 الذي طبعت منه مئتا طبعة حتى عام 1914، ويعبر عما Édouard Drumont يجيش في صدور الفرنسيين من عداء للسامية رداً على تأسيس الوكالة الإسرائيلية العالمية في باريس عام 1860 التي حددت أهدافها في السيطرة على العالم، وعلى نشر وثائق بروتوكولات حكماء صهيون التي ترسم صورة جلية عن المؤامرات اليهودية التي جعلت هدفها الرئيس إحكام سيادة اليهود على العالم. ولم يهل القرن العشرون حتى كانت اللاسامية تنتشر في كل مكان من أوربا.

اللاسامية في الرايخ الثالث: وصل الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) في ألمانيا إلى الحكم قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، فبلغت مناهضة السامية A.Hitler بزعامة أدولف هتلر قمتها إذ صار الألمان يعدون اليهود بتآمرهم مع الحلفاء سبب نكبة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وسبب تدهور الاقتصاد الألماني بعد الحرب؛ فأصدرت الحكومة الألمانية النازية عام 1933 تشريعات عدة للتحرر من السيطرة المالية اليهودية، وصارت تلاحق اليهود وتنكّل بهم، اعتقاداً منها بأنهم سماسرة الحروب في العالم ولاسيما في الحروب الأوربية الأولى، وفي حرب جنوب إفريقيا، وفي حرب الأفيون، وفي إشاعة روح العالمية عن طريق الماسونية [ر] التي يديرونها، وعن طريق عدد من الهيئات التي تسعى إلى القضاء على القوميات لفرض سيطرتهم غير المباشرة على الشعوب، كما هي الحال في العصر الراهن من خلال اللوبي اليهودي الإسرائيلي الناشط في الولايات المتحدة الأمريكية وفي معظم الدول الأوربية. وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، ورجحت كفة الميزان لمصلحة الحلفاء، وانهزمت دول المحور وعلى رأسها ألمانيا كثر الحديث

بتأثير من الصهيونية العالمية عن الهولوكوست (محارق اليهود) التي حصدت أرواح الملايين منهم على حد زعمهم. وترتب على ذلك محاسبة الألمان وكل من كان مسؤولاً منهم في أثناء الحرب، وصار لزاماً على الألمان دفع مئات الملايين من الدولارات (نحو 70 مليوناً كل عام مدة اثنتي عشرة سنة) تعويضاً لليهود جراء هذا الادعاء – بعد أن قامت الدولة الألمانية الجديدة باسم ألمانيا الاتحادية وانتهى الرايخ الألماني – وأصيب بعض الألمان بعقدة الذنب التي استغلها اليهود أسوأ استغلال. وصارت اللاسامية التي تعني معاداة اليهود فحسب دون غيرهم من الساميين جريمة يعاقِب عليها القانون الألماني وأكثر القوانين الأوربية. وصدر تشريع في فرنسا يجرّم من يُكذّب أو يشكك في أرقام ضحايا الهولوكوست، وقد حُوكم المفكر الفرنسي روجيه غارودي R.Garaudy لأنه فعل ذلك. وفي مؤتمر «معاداة السامية» الذي استضافته منظمة الأمن والتعاون في أوربا عام 2004 في برلين، وحضرته 55 دولة من أوربا وأمريكا الشمالية وآسيا الوسطى توصل المؤتمر إلى ما يسمى إعلان برلين. وقد تعهد هؤلاء بمحاربة الأشكال الجديدة من العداء للسامية، ومكافحة جرائم الكراهية ضد اليهود. وألزم الدول الموقعة عليه بتعزيز تشريعاتها، وزيادة إحكام إنفاذ القانون في كل ما يتصل بمعاداة اليهود، وقدم وزير الخارجية البلغاري وهو رئيس المؤتمر إلى وزير الخارجية الألماني قميصاً أصفر طبعت عليه نجمة داود، قال إن جده – وهو يهودي – كان يرتديه في أثناء الحرب العالمية الثانية حين كان النازيون يفرضون ذلك على اليهود.

اللاسامية سلاح في يد الصهيونية: تحول عداء الأوربيين الديني لليهود إلى عداء سياسي واضح بعد الحرب العالمية الثانية، وصار يحمل هذا العداء اسم اللاسامية في كل أوربا، واستمر كذلك ولاسيما بعد أن أفتى رأس الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح. وعندما أقام الصهاينة دولة لهم في فلسطين بمساعدة بريطانيا التي كانت دولة انتداب على فلسطين،

وتنفيذاً لوعد بلفور بإقامة وطن لليهود فيها نصبت إسرائيل نفسها ممثلة لليهود أينما كانوا، وصارت تدّعي التجسيد القومي لليهود في كل أنحاء العالم. وبعدما كانت معاداة المسيحية لليهودية «لاسامية» صارت بعد قيام إسرائيل عام 1948 معاداتها لاسامية؛ إذ صار كل من يعادي أو ينتقد إسرائيل وحكامها لسلوكهم وسياستهم الهمجية في الأراضي المحتلة هو لاسامي، وكذلك كل من يؤيد حق الفلسطينيين في أرضهم، وكان ذلك لمصلحة اليهود ولمصلحة الكيان الصهيوني في فلسطين. وقد أحسنوا استغلال ذلك لترسيخ فكرة جديدة في المحافل الدولية، وهي أن العداء لإسرائيل هو بمنزلة العداء للسامية، واستطاعوا أن يقنعوا الدول الكبرى بهذه الفكرة، وعدوا إسرائيل ملجأ لكل يهود العالم الذين تعرضوا للاضطهاد ولاسيما اضطهاد النازيين، وعدّوها نموذجاً للدول الأوربية. وانحازت دول الغرب إلى إسرائيل، وساندت الحركة الصهيونية الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية واتخذت طابعاً سياسياً في أثناء الحرب الباردة .(بين الكتلتين الشرقية والغربية، بين دول حلف وارسو ودول حلف الناتو (شمال الأطلسي

تسعى إسرائيل اليوم إلى كسب تأييد اليهود في كل مكان، فتصور ليهود الشتات أن المعاداة الأوربية القديمة قد بعثت من جديد اليوم، وليس لهم من نصير وحامٍ غير الدولة اليهودية التي يجب أن تكون وطنهم الوحيد. ومن الواضح أن النازيين روّجوا هذه الفكرة قبل قيام إسرائيل من دون أن يقصدوا، فقد عقد هتلر اتفاقية مع الصهاينة تقضي بالسماح لليهود بالهجرة مع الإفراج عن أموالهم مقابل تخلي الصهاينة عن مقاطعة شراء البضائع الألمانية. وقد تكفلت الوكالة اليهودية Gestapo وفرق الصاعقة ووزارة الاقتصاد بتنفيذ الاتفاقية بمساهمة الغستابو الألمانية. فهاجر تنفيذاً لهذه الاتفاقية أكثر من ستين ألف يهودي إلى فلسطين في العام 1942. ويقول إسرائيل شاحاك في كتابه «التاريخ اليهودي المكشوف والمستور»: «كانت تقوم على الدوام بين الصهاينة وأعداء السامية علاقات وثيقة، وهناك أمثلة عن أمثال هذه التحالفات مشهورة

جداً. منها أن هرتزل نفسه، وهو رئيس الحركة الصهيونية ومؤتمرها الأول في العام 1897 في مدينة بال السويسرية قد تحالف مع الكونت فون بلهفي الوزير المعروف بمعاداته للسامية لدى ، وهو من أكبر زعماء الصهاينة عقد Jabotinsky القيصر نقولا الثاني. كما أن جابوتِنسكي الزعيم الأوكراني الرجعي الذي قتلت قواته نحو مئة ألف يهودي Petlyura ميثاقاً مع بتليورا فيما بين 1918 -1921، وكذلك بن غوريون الذي كان حلفاؤه بين اليمين الفرنسي المتطرف إبان الحرب الجزائرية، وبينهم أشد أعداء السامية الذين يصرحون بعدائهم لليهود، ولكن ليسوا أعداء اليهود في إسرائيل» . وباتت إسرائيل تكيل التهم لكل من يعارض سياستها، وتتهم السياسيين الذين ينتقدونها باللاسامية؛ ومنهم الأمين العام السابق للأمم المتحدة النمساوي عندما صار رئيساً للنمسا. وسقط المرشح الأمريكي K.Waldheim كورت فالدهايم الجمهوري بول كلوسي عام 1982 لدعوته الأمريكان إلى كبح جماح إسرائيل، وكذلك Mahathir لتشككه في المحرقة. واتهم مهاتير محمد P.Buchanan المرشح بوكانن ، رئيس وزراء ماليزيا السابق بأنه معادٍ للسامية لأنه صرح بأن إسرائيل تحكم Mohamad العالم بالوساطة. وصارت إسرائيل تهاجم زعماء الدول التي تظهر فيها حوادث تدنيس أو تفجير للمعابد والمدارس والمقرات اليهودية بتقصيرهم وبأنهم معادون للسامية. وفعلت ذلك عندما نشر البرلمان الأوربي تقريراً في العام 2003 يشير إلى أن نزعة معاداة السامية تشهد ازدياداً في عدد من دول الاتحاد الأوربي ولاسيما في فرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وبريطانيا في السنوات الثلاث الماضية. ولجأت إلى محاربة كل الكتّاب الذين لاتعجبها آراؤهم ويميلون إلى الحديث السلبي عن واقعها، وتصادر كتبهم إن استطاعت، ووقفت موقفاً عدائياً من فيلم «آلام المسيح» واتهمت مخرجه باللاسامية، وهو يصور الساعات الأخيرة من حياة السيد المسيح. وسعت إسرائيل ومازالت تسعى إقناع العالم بأن العرب والمسلمين لاساميون، وهي تقود اليوم هذه الحركة المعادية للعرب والمسلمين، وتجد من دون شك من يساندها في الغرب. وتؤدي دور النازيين الذين كانوا يكرهون .اليهود ويضطهدونهم، وتتقمص دورهم العنصري، فيتحول بذلك المُضطهَد إلى مُضطهِد وجلاّد

أحمد هبو

(اللاهوت (علم.

اللاهوت مصطلح لغوي من أصل سرياني، يعني: الأُلوهَة. أصله «لاهٌ» بمعنى: إله، زيدت فيه الواو والتاء مبالغةً كما زيدتا في جبروت وملكوت وناسوت. ودخل المصطلح اللغة العربية في عصر التدوين مع حركة الترجمة التي قام السريان بجزء كبير منها. وعلم اللاهوت يبحث في العقائد ، وهو اشتقاق يعود إلى القرن السادس عشر للميلاد theology المتعلقة بالله، يقابله بالإنكليزية ، أي «علم الآلهة، قصص الآلهة، شؤون الآلهة»، من theo-logia :من اليونانية واللاتينية معاً Theos- :، أي «العارف بشؤون الآلهة» أوtheo-logos الاسم والصفة اليونانية القديمة ، أي «المتكلم في شؤون الآلهة» وبهذا المعنى الأخير استخدمت الكلمة في الأدب اليوناني légein القديم وفي الأساطير، إلى أن تحدد معناها دينياً في كتاب «أنساب الآلهة» عند هِسيودُس [ر]، ثم انتقلت إلى الفلسفة. وفي سياق تطوراتها زمنياً صارت تعني العلم الإلهي، والحكمة النظرية، والعلم الأعلى؛ لأنه يبحث في الله وصفاته، وتعني أيضاً الفلسفة الأولى؛ لحصولها من العلة الأولى «الله»؛ والعلم الكلي، لأنه علم الكليات الشاملة لجميع الموجودات (العالم والإنسان والآخرة) ، ويقابله deism ، ومذهب الربوبيةmonotheism وعلاقتها بالله. ويرادفه مذهب التوحيد عند المسلمين علم الكلام (أو علم أصول الدين - الفقه). وعموماً تنطوي كلمة «اللاهوت» على تعبير منظم للمعتقدات، وبيان مصادرها وسلطتها، وتوضيح علاقتها بمعتقدات أخرى. والسمات البارزة لعلم اللاهوت هي القطعية المتطرفة والنزعة التسلطية المدرسية، ومحاولة التوفيق بينه ر] Plato وبين العلم؛ لذلك تعرض اللاهوت في كل الأزمنة للنقد الشديد. كتب أفلاطون ر] معنىً عقلانياً، فصارت الفلسفة] Aristotle محاورات عدة عن الآلهة، واتخذت مع أرسطو .الإلهية أحد أقسام الفلسفة النظرية

في سياق فكرة التمييز بين طبيعة الألوهية christology وبدأ تطور علم اللاهوت المسيحي في شخص السيد المسيح، خاصة مع بروز الهرطقات human وطبيعة الناسوتية divine الأريوسية [ر] والمونوفيزيقية [ر] والنسطورية [ر] في القرون الأولى لانتشار المسيحية، فظهرت فلسفات جديدة تسعى إلى الدفاع عن العقيدة وتضع حدوداً للتفسيرات والشروح تحفظ للدين جوهره.

في شرح تعاليم الإيمان المسيحي الوضعي، patristics واجتهد علماء الكنيسة وآباؤها الأوائل وحل ألغاز جميع القضايا والحقائق الدينية على أسس منطقية عقلية مستفيدين من أسس الفلسفة اليونانية لدحر أي هرطقة أو بدعة بالسلاح نفسه، فبرز في هذا الصدد اتجاهان مختلفان، الأول أنكر صلاحية العقل والفلسفة في الدفاع عن العقيدة، واستعار براهينه من الكتاب المقدس والتقليد المقدس ليدافع عن تعاليم الإيمان المسيحي، وقد تمثل هذا في موقف وتلميذه St.Irenaeus (130-202) مدرسة آسيا الصغرى التي تزعمها أسقف ليون إيريناي أسقف روما (ق3)، ومدرسة شمالي إفريقيا التي تزعمها ترتوليان Hippolyte إيبوليت المحامي الغيور على العقيدة، وأشهر كتاب الكنيسة اللاتينية؛ Tertullian (160-222) والموقف الثاني أشاد بدور العقل وأهمية الفلسفة في بناء قاعدة متينة للعقيدة، وتنقيتها من الوثنية، وقد تمثل هذا الموقف في مدرستي الإسكندرية Gnosticism [المؤثرات الغنوصية [ر أسقف الإسكندرية Clement وأنطاكية، وكان من أشهر أعلامها آباء الكنيسة كليمنت [، ثم الأسقف ديونيسيوس المجهول [ر(251-185) Origen (150 -215) وأوريجين negative الذي كان لكتابه «اللاهوت الصوفي» (اللاهوت السلبي Pseudo- Dionysius نفي الصفات عن الذات الإلهية) بالغ الأثر في صياغة علم اللاهوت الوسيط، theology واعتمده آباء الكنيسة اللاتين في مناقشة مضمون الدين المسيحي والتقليد اللاهوتي ودلالات

«في كتابه «الأحكام Peter Lombard اللغة الدينية، فاعترف بفضله بطرس اللومباردي ثم سار على نهجه أشهر لاهوتيي العصر الوسيط Augustine [، وأوغسطين لرSentences Eckhart [ويوهانس إيكهارت لر Erigena [، وجون سكوت إريجينا لرAnselm [أنسلم لر ، كما فعل ذلك الفلاسفة واللاهوتيون والمتصوفون اللاحقون Bonaventura [وبونافنتورا لر ، وأخيراً توما Albert the Great وألبرت الكبير Grosseteste أمثال روبرت غروستيست الذي أفرد علماً خاصاً سماه «اللاهوت الطبيعي»، تناولت موضوعاته Aquinas [الأكويني]ر طبيعة الله ووجوده، والصفات الإلهية والخلق وعلاقة الله بالعالم والحرية وخلود الإنسان، وسعى فيه إلى شرح الحقائق الدينية الاعتقادية بالعقل وتبريرها، وفهم الألغاز والأسرار الإيمانية كالثالوث المقدس والتجسد. وقد عدّ الأكويني هذا العلم أساساً لفهم الدين المسيحي عقلانياً، وتفنيد كثير من المسائل للرد على الهرطقات وإيجاد مسوغات عقلية للعقيدة المسيحية. وقد تأثر الذي تناول موضوع الإلهيات باهتمام بالغ، فبحث Leibniz [بمنهجه كثيرون أمثال ليبنتز لر في العناية الإلهية والحرية الإنسانية وأسباب وجود البشر.

وقد أدّت المدارس والمؤسسات الرهبانية والأديرة التي أُسست في العصر الوسيط دوراً مهماً في تكوين معظم الجامعات والمعاهد الأكاديمية ونشأتها في أوربا الغربية كجامعة باريس وأكسفورد، وتفرّد علم اللاهوت بأولوية التعليم فترة طويلة. وقد اعترف الفكر الغربي بنوعين من اللاهوت: المبني على التجربة والعقل، وعلم اللاهوت الديني natural theology علم اللاهوت الطبيعي الأساسي أو الاعتقادي revelational or dogmatic theology المبني على الوحي، وهو قريب من الإيمانية fideism.

ولكن مع عصر التنوير تغير الأمر عما هو عليه خاصة في ألمانيا، وتنوعت الاتجاهات الإنسانية وموضوعات الدراسة، وبدأ علم اللاهوت بالتمايز شيئاً فشيئاً وصار أكثر تخصصاً، فتوزعت فروعه وعلم exegetical في الكليات والجامعات بين أربعة أقسام رئيسة هي علم اللاهوت التفسيري وعلم اللاهوت العملي systematical وعلم اللاهوت المنظم historical اللاهوت التأريخي تناول القسم الأول تحليل محتويات الكتاب المقدس والتحقيق في أصولها، وبحث .practical الثاني في تطور علم اللاهوت المسيحي منذ عهد آباء الكنيسة وما بعدها مروراً بالإصلاح[ر] حتى الزمن الحاضر، أما الثالث فقد تناول counter- reformation [والإصلاح المقابل[ر اللاهوت المذهبي الاعتقادي أو الفلسفي وموضوعاته الله والثالوث والعناية الإلهية والإنسان ، وعالج الأخير اللاهوت الأخلاقي الكنسيeschatology والتبرير والعلم الأخروي .missiology الطقوس والتبشير pastoral والرعوي ecclesiology

وقد أدت انقسامات علم اللاهوت هذه في الفكر المعاصر إلى نشوء حركات متنوعة، لها سماتها neo- والأرثوذكسي الجديد dialectical المتميزة من غيرها كعلم اللاهوت الجدلي ، holocaust [وعلم لاهوت المحرقة [ر Karl Barth الذي تبناه كارل بارث orthodoxy ، ومن ecumenical movement كما يمكن الحديث عن لاهوت عالمي، أي الحركة العالمية .منظور أوسع في الحوار بين الأديان هناك علم لاهوت شامل

فلم يكُن نشاط علم اللاهوت مقصوراً على الدين المسيحي وحسب، بل اتسع مجاله ليشمل دراسة معتقدات الأديان الأخرى، إذ تناول علماء الكلام (المعتزلة وغيرهم) وفلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد بعض الموضوعات الإلهية في سياق نقده للغزالي [ر] في كتابه «تهافت التهافت»، وكذلك في مؤلفه «فصل المقال بين الحكمة والشريعة» لاقتناعه أن: «الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت

الرضيعة. وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة»، ولقوله تعالى: {فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِي الأَبْصَار} (الحشر2)، {أَوَ لَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمواَتِ وَالأَرْضِ} (الأعراف 185). أما العلم الإلهي (الإلهيات) عند ابن سينا فهو مرادف للفلسفة الأولى وعلم مابعد الطبيعة (الميتافيزيقا[metaphysics) لأن موضوعه الموجود المطلق.

كما كان لعلم اللاهوت ظهور نشط في الفكر اليهودي، تمثل في تعاليم رجال الدين اليهودي والتعليقات التوراتية اليهودية Jewish biblical rabbinical literature commentaries[وقدم الفيلسوف اللاهوتي موسى بن ميمون Maimonides] خير مثال على ذلك في كتابه «دلالة الحائرين». كذلك لا تخلو الفلسفة البوذية والهندوسية من بعض الإرهاصات اللاهوتية.

سوسن بيطار